مِنْ أساليب التّعْبير القرآني

دراسة لغويَّة وأُسْلوبيَّة في ضَوْءِ النصّ القُرْآني

تأليف

د. طالِب محمَّد إسماعيل الزوبَعي
أُستاذ البلاغة والنقد
كُليّة الآداب والتربية - جامِعَة قاريُونس

دار النهضة العربية
للطباعة والنشر
بيروت - ص.ب ١١٠٧٤٩

اصدارات
الجوهرة

مِنْ أساليب التّعْبيرِ القُرْآنيّ

دراسة لغويّة وأسْلوبيّة في ضوْءِ النصّ القُرْآني

تأليف

د. طالب محمّد إسماعيل الزوبعي
أستاذ البلاغة والنقد
كُليّة الآداب والتربية - جامِعة قاريُونس

دار النهضة العربية
للطباعة والنشر
بيروت - ص.ب ١١٠٧٤٩

اصدارات
الجوهرة

الطبعة الاولى 1996 م .

اصدارات
الجوهرة

دار النهضة العربية
للطباعة والنشر
بيروت - ص.ب ١١-٧٤٩

الادارة : بيروت - شارع مدحت باشا - بناية كريدية
تلفون : 743166- 743167 - 736093
برقيا : دانهضة - ص .ب 749-11
فاكس : 232 - 4781 - 212 - 001
فاكس : 735295 - 1 - 00961

المكتبة : شارع البستاني - بناية اسكندراني رقم 3
غربي جامعة بيروت العربية
تلفون : 316202 - 818703

المستودع : بئر حسن - خلف تلفزيون المشرق - سابقا
بناية كريدية - تلفون : 833180

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الإهــداء:

أَخي عبد الرحمن الشريدي.

أَنا أَعْلَمُ أَنَّ عَطاءَكَ أَكبَرُ مِن كلماتٍ تَمْشِي عَلَى ٱستحياء من صَبرِكَ وأَنْتَ تَحْتَضنُ أَفْكَارَنا فتآزرها لتستوي على سوقها.

وأَعْلَمُ أَنَّكَ عَشَقْتَ الحرْفَ والمعروفَ عِشْقاً سرمدياً...

ومنعتَ أَنْ تَخْتَرِقَ أَسوارَ دنياكَ كلماتُ الثناء...

ومَنَعْتَ أَنْ تَتَسَلَّلَ إِلى عالَمِكَ عباراتُ الإِطراءِ والمَدِيحِ.

فَالعُشّاق العذريون لا يُحَبِذُون الإِفصاحَ عن أَسرارهم ولكنِّي وَضَعْتُ أُورَاقي على جنحي حمامة تغني:

فإِنَّكَ مِثْلُ الكتابِ أَخفاهُ طيٌّ   فٱستدلُّوا عليهِ بالعنوانِ

فَعُذراً أَخي عبد الرحمن...

فإِنَّكَ لَنْ تستطيع منع حمامتي مِنَ «النوح»

ولن تَقْدِرَ على مَنعي مِنَ البوح...

فتقبَّل هديتي...

أخــــوك

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة:

يضم هذا الكتاب القسم الأول من دراسة شرعت فيها منذ أكثر من ثلاث سنوات آثرت أَنْ يكون ميدانها النصّ القرآني الكريم، فحاولت تتبع بعض أساليب التعبير البياني في الإعجاز القرآني المبين معتمداً على استقراء مواضع كل أسلوب، واستقصاء تراكيبه، وتوزيع هذه المواضع على أنماط وصور، ثم دأبت ـ قدر استطاعتي ـ على تحليل البنية النصية لكل الشواهد الكريمة، رغبة في الكشف عن بعض أسرارها البلاغية والدلالية والأسلوبية محاولاً بيان الأَثر النفسي، والفضيلة الفنية لكل شاهد. وقد اعتمدت في هذا المنهج على القراءة المتأنية المتأملة لمعاني النص الكريم مستنيراً بومضات المفسرين ـ القدامى والمحدثين ـ متتبعاً لما كتبه كثيرٌ من علماء اللغة العربية في مجال هذه الدراسة التي تضمنت عدة أساليب موزعة على ستة فصول، هي:

الفصل الأول: درست فيه «أسلوب التضمين» وهو ميدان رحب تلتقي في ساحته علوم اللغة العربية وقد قدمت له دراسة تناولت مفهوم «التضمين» عند النحويين والبلاغيين، ثم عرضت بعض الملاحظات في ضوء الواقع اللغوي القرآني لبنية التضمين. وفي القسم الثاني: حاولت استقراء مواضع

هذا الفن وقسمتها على أنماط بحسب مستوى تعدي أفعال «التضمين»، مراعياً ترتيب السور في القرآن الكريم، وترتيب الأفعال حسب الترتيب (الألف بائي).

أما الفصل الثاني: فقد تعرضت فيه لأسلوب عدَّه أَهلُ اللغة من شجاعة العربية، وهو «أسلوب الالتفات»؛ بدأت بمدخل تناولت فيه مفهوم الالتفات في اللغة والاستعمال وحاولت دراسة فنون هذا الأسلوب باستقراء مواضعه في القرآن الكريم، ثم قسمت هذه الدراسة إلى أربعة مباحث، عرضت في **المبحث الأول، والثاني والثالث**، من فنون الالتفات التي ذكرها ـ أو أشار إليها ـ أهل البلاغة وبعض علماء اللغة، ومنها «الالتفات الضميري»، في المبحث الأول والالتفات العددي في المبحث الثاني، وأساليب أخرى من الالتفات في المبحث الثالث، أما **المبحث الرابع**؛ فقد عرضتُ فيه فنوناً جديدة من أسلوب الالتفات وحاولت الكشف عن بعض الأسرار البلاغية والدلالية لهذه الفنون. ثم قصدت بيان الأثر النفسي العظيم لمثل هذا الفن في التعبير وأشرت في نهاية الفصل إلى مواضع أخرى لهذا الأسلوب في القرآن الكريم.

ودرست في الفصل الثالث: «أسلوب الاعتراض» ـ وهو من الأساليب التي لم تنل حظها في كتب النحويين ولا مؤلفات البلاغيين. بدأت بتوضيح المقصود من الاعتراض في اللغة والاستعمال ثم عرضت في **المبحث الأول** أنماط البنية النصية لهذا الأسلوب. وفي **المبحث الثاني**، حاولت تتبع الأثر البلاغي لهذا الفن الأصيل، ثم ثبتُّ في نهاية الفصل المواضع التي ورد فيها أسلوب الاعتراض في القرآن الكريم.

وفي الفصل الرابع: حاولت التقرب من أسلوب شاع في القرآن الكريم، هو أسلوب الحوار ولقد قدمت له مدخلاً ثم تبعته بمبحثين: درست في الأول بعض ما يحققه نظم الحوار القرآني من قيم تربوية، ونكت بلاغية

عظيمة، ودروس رائعة في أَدب الحوار وفي الآخر، حاولت بيان دور السياق في الوصول إلى الغرض من الحوار.

ودرست في الفصل الخامس: «**البنية النصية لأسلوب المبنى للمجهول**» وتضمن هذا الفصل ثلاثة مباحث، عرضت في **المبحث الأول** آراء النحاة وعلماء الصرف في «الصيغ» المبنية للمجهول، ثم ثبت مواضع هذه الصيغ الواردة في القرآن الكريم في «معجم»، وقد راعيت في تسجيل هذه المواضع، أمرين: الأول ترتيب السور في القرآن، ثم الترتيب (الألف البائي) للأفعال في السورة الواحدة. وفي **المبحث الثاني**: درست الأنماط الواردة لما يقوم مقام الفاعل ـ «أي: نائب الفاعل» بعد استقرائها وتسجيل مواضعها ـ في القرآن الكريم ـ.

وفي **المبحث الثالث**: حاولت الكشف عن بعض أسرار عدول السياق الكريم إلى أسلوب المبنى للمجهول.

وختمت هذه الدراسة بمحاولة لدراسة بعض «**القيم الصوتية في الأسلوب القرآني**»، تضمنت هذه الدراسة «**مقدمة**» تتبع فيها إشادات اللغويين والمفسرين، إلى أَثر القيم الصوتية في الاستعمال القرآني، ثم قسمت الفصل إلى مبحثين، حاولت في **المبحث الأول**: تتبع أثر القيم الصوتية للفظة المفردة في دلالة السياق وجمال النظم، فتتطلب ذلك تأمل القيم الصوتية: «للحركات» ـ الإعرابية ـ ولدلالة الصيغ ـ في الألفاظ المزيدة ـ، ثم «تجانس القيم الصوتية للفظة»، وفي **المبحث الآخر**: تابعت دراسة القيم الصوتية للفظة داخل التركيب.

وتطلبت هذه المتابعة دراسة القيم الصوتية للفظة داخل التركيب، بدون تكرار ودراسة قيمها الصوتية داخل التركيب، مع تكرار بعض الوحدات الصوتية في «الفاصلة القرآنية»، وأَثر التآلف اللفظي والنغمي في تحقيق

الفضيلة الفنية لهذا التكرار.

وقد أوضحت في أثناء هذه الدراسة العلاقات التركيبية والسياقية «البنية النصية» التي تلتقي فيها هذه الفنون البلاغية.

وتعمدت وضع أسماء أهم المصادر والمراجع في نهاية كل فصل تيسيراً للدارس في العودة إليها وفي الختام أدعو الله ـ العلي القدير ـ أن يجعل هذه المحاولة خطوة تترك أثراً نافعاً في طريق الدرس الجامعي ـ البلاغي والأسلوبي ـ الذي نتوخاه وأن تكون مساهمة مفيدة في خدمة لغة القرآن الكريم. والله وليُّ التوفيق.

❋ ❋ ❋

الفصل الأول

التضمين

التضــميــن:

التضمين في **اللغة**: من ضمن الشيء أودعه إياه، كما تودع الوعاء المتاع[1].

وضمن المال منه: كفل له به.

ومن المجاز: ضمن الوعاء الشيء وضمنته إياه، وهو في ضمنه، يقال: ضمن كتابه وكلامه معنى حسناً[2].

أو: إعطاء الشيء معنى الشيء الآخر[3].

والتضمين في **الاستعمال** متعدد الدلالات:

ـ فالتضمين في (العروض):

هو (أن يبنى بيت على كلام يكون معناه في بيت يتلوه من بعده مقتضياً له)[4].

وذكر بعض العلماء القدامى، أن هذا التضمين من العيوب: لأن خير الشعر ما قام بنفسه، وكمل معناه في بيته، وقامت أجزاء قسمته بأنفسها واستغنى ببعضها أو سكت عن بعضها.

---

(1) لسان العرب ـ مادة (ضمن).

(2) أساس البلاغة ـ الضاد مع الميم (ضمن).

(3) القاموس المحيط ـ فصل النون ـ باب الضاد ج 4/243.

(4) مفتاح العلوم ص 273.

هذا الرأي نقله ابن الأثير (ت 637) ورد عليه أنه (ليس في ذلك عيب)[1] وقصر أبو هلال العسكري (ت 395) التضمين على الشعر، فذكر أنك (قد تسمى استعارتك الإنصاف والأبيات من شعر غيرك وإدخالك إياه في أثناء أبيات قصيدتك «تضميناً» وهذا حسن)[2].

وذهب ابن رشيق (ت 456) إلى أنه (كلما كانت اللفظة المتعلقة بالبيت الثاني بعيدة عن القافية كان أسهل عنها من التضمين)[3].

أما محمد بن علي الجرجاني (ت 729) فيرى أن التضمين (هو أن يضمن ـ أي الشاعر ـ في شعره شعر غيره فإن كان المأخوذ بيتاً أو أكثر، سمي: استعانة. وإن كان مصراعاً فما دونه، سمي: إيداعاً أو رفواً)[4].

وذهب ابن الأثير إلى أن التضمين (لا يشمل الشعر والكلام المنثور فقط، وإنما يشمل ـ أيضاً ـ «النص القرآني» و «الأخبار النبوية»). وذكر أن هذا النوع فيه نظر؛ بين حسن يكتسب به الكلام طلاوة، وبين معيب عند قوم، وهو عندهم معدود من عيوب الشعر، ولكل من هذين القسمين مقام. فأما الحسن الذي يكتسب به الكلام طلاوة، فهو أن يضمن الآيات والأخبار النبوية وذلك يرد على وجهين:

أحدهما: تضمين كلي.

والآخر: تضمين جزئي.

فأما التضمين الكلي، فهو أن تذكر الآية والخبر بجملتهما.

---

(1) المثل السائر ج 3/342.
(2) كتاب الصناعتين ص 42.
(3) العمدة ج 1/88.
(4) الإشارات والتنبيهات ص 317.

وأما التضمين الجزئي، فهو أن تدرج بعض الآية والخبر في ضمن كلام فيكون جزءاً منه.

وأما العيب فهو عند قوم تضمين الإسناد، وذلك يقع في بيتين من الشعر، أو فصلين من الكلام المنثور على أن يكون الأول منهما مسنداً إلى الثاني، فلا يقوم الأول بنفسه ولا يتم معناه إلا بالثاني، وهذا المعدود من عيوب الشعر وهو عندي غير معيب[1].

ولا نزعم الخوض ـ هنا ـ في هذه الدلالة «العروضية» للتضمين، ولكن نرى من المفيد الإشارة إلى أن هذا الفرع ـ أو النوع ـ من التضمين يحفظ الأثر الحسن من القول البليغ من النسيان، لأن ترصيع الكلام بأثر بليغ يجعل الأثر محفوظاً، ويظهر جمال التعبير وفنية الاختيار.

وقد ذكر الزركشي[2] (ت 794هـ) أن بعض علماء اللغة أطلق «التضمين» على إدراج كلام الغير في أثناء الكلام لتأكيد المعنى أو لترتيب النظم ويسمى «إيداعاً»، كإيداع قول الله ـ تعالى ـ في حكايات أقوال المخلوقين، كقوله ـ عز وجل ـ حكاية عن قول الملائكة ﴿**قالوا: أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء**﴾ [البقرة: 30].

ـ واختارت جماعة من اللغويين العرب، دلالة أخرى للتضمين، فقد ذكر الرماني (ت 386هـ)[3]، وأبو بكر الباقلاني (ت 388)[4] أن التضمين؛ هو حصول معنى في الكلام من غير ذكر له باسم أو صفة هي عبارة عنه ويدل الكلام عليه دلالة إخبار أو دلالة قياس، ويقسم إلى قسمين:

---

(1) المثل السائر ج 3/20.
(2) البرهان في علوم القرآن ج 3/344.
(3) رسالة النكت في إعجاز القرآن ص 94 ـ 95 ضمن «ثلاث رسائل في إعجاز القرآن».
(4) إعجاز القرآن ص 412 ـ 413.

أحدهما: ما يفهم من البنية.

الثاني: من معنى العبارة من حيث لا يصلح إلا به كالصفة.

وقد استعملت هذه الدلالة للتضمين في (الكتب البلاغية منذ عهد مبكر)[1] وصار هذا الاستعمال مشتركاً بين اللغويين والبلاغيين وبعض المفسرين. فقد عقد ابن قتيبة (ت 276هـ) باباً سماه «باب دخول بعض الصفات مكان بعض» في مؤلفيه «أدب الكاتب»[2] و «تأويل مشكل القرآن»[3] وقدم شواهد قرآنية وشواهد شعرية.

وميز القزويني (ت 739) بين «الاقتباس» و «التضمين»، فذكر أن الأول: يخص القرآن والحديث على أن لا يدمج قوله ـ تعالى ـ أو كلامه ﷺ بكلام الآخرين. الثاني: يخص الشعر[4].

وذهب شراح التلخيص مذهب القزويني[5] ولخص السيوطي (ت 911هـ) دلالات التضمين، فقال: (إنه يطلق على أشياء):

الأول: إيقاع لفظ موقع غيره، فتضمنه معناه وهو نوع من الإيجاز.

الثاني: حصول معنى فيه من غير ذكر له باسمه، وهو عبارة عنه، وهذا نوع من الإيجاز.

الثالث: إدراج كلام الغير في أثناء الكلام لقصد تأكيد المعنى أو ترتيب النظم. وهذا هو النوع البديعي[6].

---

(1) معجم المصطلحات البلاغية ج 1/263.

(2) أدب الكاتب ص 394 ـ 414.

(3) تأويل مشكل القرآن ص 426 ـ 432.

(4) الإيضاح ص 416 ـ 422.

(5) شروح التلخيص ج 4/514.

(6) معترك الأقران ج 1/398، ينظر ـ أيضاً ـ الإتقان ج 2/40، 55، 90.

واختارت جماعة أخرى من أهل اللغة، دلالة ثالثة للتضمين، هي، أن «التضمين» توسع في الحرف وأنه واقع موقع غيره من الحروف، وقد ذهب بعض المحققين إلى أن «التضمين»؛ توسع في الفعل وتعديته بما لا يتعدى لتضمنه معنى ما يتعدى بذلك الحرف، لأن التوسع في الأفعال أكثر[1].

ويبدو أنه لا خلاف بين الرأيين، فالتوسع واقع بسبب عنصر من عناصر التركيب سواء أكان اسماً أم فعلاً أم حرفاً، وهذا ما يحدده السياق. أما الدلالة التي قصدت بحثها في هذه الدراسة، فهي ـ التي ذكرها كثير من أهل اللغة، وتعني ـ: (إعطاء الشيء معنى شيء). أي: تؤدى كلمة مؤدى كلمتين. أو كما يقول ابن هشام (ت 761هـ): (قد يشربون لفظاً معنى لفظ فيعطونه حكمه ويسمى ذلك تضميناً)[2].

ونقترح تسميته «الدلالة النصية للتضمين» وذلك، لتكون هذه الدلالة مقابلة للدلالة «العروضية» للتضمين. ولأن دلالته «النصية» تتعلق بأجزاء التركيب ـ أي بنيته ـ وبعلاقة كل جزء بما قبله وما بعده.

ودلالة التضمين ـ هنا ـ تشمل:

(أ) الأسماء: وهو أن تضمن اسماً معنى اسم لإفادة معنى الاسمين معاً: كقوله ـ تعالى ـ: **﴿حقيق عليَّ ألا أقول على الله إلا الحق﴾** [الأعراف: 105] فمن وجوه تفسير ﴿حقيق﴾ أنْ يضمّن ﴿حقيق﴾ معنى «حريص»، كأنَّ سيدنا موسى ـ عليه السلام ـ يقول: (واجب عليَّ قول الحق، وأَنا حريصٌ عليه)[2].

(ب) الحروف: وهو وقوع حرف موقع غيره من الحروف، من باب التوسع.

---

(1) البرهان في علوم القرآن ج 3/238.
(2) مغني اللبيب ج 2/685.

(ج) الأفعال: ـ ويقصد بالتضمين ـ هنا ـ (أن يتضمن فعل معنى فعل آخر، ويكون فيه معنى الفعلين جميعاً وذلك بأن يكون الفعل يتعدى بحرف فيأتي متعدياً بحرف آخر ليس له من عادته أن يتعدى به، فيحتاج إلى تأويله أو تأويل الفعل ليصح تعدّيه به).

أي أن يقصد بلفظ فعل معناه الحقيقي، ويلاحظ معه معنى فعل آخر يناسبه ويدل عليه بذكر شيء من متعلقاته، وفائدة التضمين تتجلى في إعطائه مجموع المعنيين، فالفعلان مقصودان معاً قصداً وتبعاً بمعنى أن العرب (يضمون الفعل معنى فعل آخر فيجرونه مجراه.. والتضمين كله إيجاز استغنى به عن التفصيل)[1].

وأرى من المفيد في ختام هذه المقدمة عرض الملاحظات التي تفيدنا في هذه الدراسة، وهي:

الملاحظة الأولى: من مزايا هذه اللغة وجزالتها (أن يذكر المتكلم فعلاً متضمناً معنى فعل آخر، ويجري على المضمن أحكامه وأحكام الفعل الآخر)[2].

الملاحظة الثانية: لا تُقْصَد الدلالة النصية للتضمين إلا لتحقيق نكتة بلاغية وقيمة جمالية، وملحظاً فنياً.

الملاحظة الثالثة: إن البنية النصية التي يقع فيها التضمين، تكون أبلغ في إجراء اللفظ على مدلوله الوضعي، لدلالتها على معنى الفعلين فكأن الفعل المذكور في قوة الفعلين دلالة، مع الاختصار في الكلام.

الملاحظة الرابعة: الدلالة النصية للتضمين تشمل مسألتين لغويتين.

---

(1) البرهان في علوم القرآن ج 3/238.
(2) الإتقان في علوم القرآن ج 3/123.

الأولى، نحوية: لأنها تتعلق ببنية النص، إذ (ينقل الفعل إلى أكثر من درجة، وذلك بأن يأتي الفعل متعدياً بحرف ليس من عادته التعدي به، فيحتاج إلى تأويله أو تأويل الحرف ليصح التعدي به، والأول: تضمين الفعل. والثاني: تضمين الحرف)[1] والأكثر أن يراعى في التعدية ما ضمن منه، وهو المحذوف لا المذكور[2].

الثانية، بلاغية: لأن التضمين؛

(أ) **مجاز**: فاللفظ لم يوضع للحقيقة والمجاز معاً، أما الجمع بينهما فهو مجاز خاص يسمونه «التضمين»[3].

يقول ابن منير الإسكندري ـ في هامش الكشاف ـ: (فإن قلت اللفظ إذا كان مستعملاً في المعنيين معاً كان جمعاً بين الحقيقة والمجاز، وإن كان مستعملاً في أحدهما فلم يقصد به الآخر فلا تضمين قلت: هو مستعمل في معناه الحقيقي فقط، والمعنى الآخر مراد بلفظ محذوف يدل عليه ذكر ما هو من متعلقاته، فتارة يجعل المذكور أصلاً في الكلام المحذوف حالاً، وتارة يعكس فيجعل المحذوف أصلاً والمذكور مفعولاً أو حالاً)[4].

(ب) **إيجاز**: فقد ذكرت فعلاً، وقصدت معنى فعلين، (فإن قلت: إذا كان المعنى الآخر مدلولاً عليه بلفظ محذوف لم يكن في ضمن المذكور، فكيف قيل أنه ضمن إياه؟ قلت: لما كان مناسبة المعنى للمذكور بمعونة ذكر صلته قرينة على اعتباره جعل كأنه في ضمنه، ومن ثم كان جعله حالاً وتبعاً للمذكور أولى من عكسه)[5].

---

(1) البحر المحيط ج 129/4.
(2) البرهان في علوم القرآن ج 342/3.
(3) المصدر السابق ج 339/3.
(4) هامش الكشاف ج 126/1.
(5) الكشاف ج 127/1.

يقول الزمخشري (فإن قلت: أي غرض في هذا التضمين؟ قلت: الغرض فيه إعطاء مجموع معنيين، وذلك أقوى من إعطاء معنى فذ)[1].

الملاحظة الخامسة: تخص الخلاف في قضية «القياس» في مسألة التضمين.

فقد ذكر أبو حيان أن (التضمين لا ينقاس عليه عند البصريين وإنما يذهب إليه عند الضرورة)[2].

وذهب السيوطي إلى أنه (يقاس عليه لكثرة ما يسمع منه)[3].

وأرى من المفيد اختيار الرأي القائل: إن التضمين يقاس عليه. وذلك:

(أ) لكثرة وروده في اللغة العربية.

يقول ابن جني (ت 393هـ) ـ واصفاً هذه الكثرة ـ (إن في اللغة من هذا الفن شيئاً كثيراً لا يحاط به، ولعله لو جمع أكثره لا جميعه لجاء كتاباً ضخماً)[4].

(ب) يشكل هذا الفن ظاهرة لغوية توجب التنبيه عليها في الاستعمال القرآني يقول ابن قيم الجوزية (ت 751هـ): (ومن تدبر هذا وجده كثيراً في كلام الله ـ تعالى ـ)[5]، وستتضح في هذه الدراسة دقة هذا القول: (خلافاً لما أجمع عليه أهل البيان)[6] من ندرة وجوده في القرآن الكريم.

فقد حاولت استقراء مواضع هذا الفن في الكتاب العزيز[7]، في ضوء

---

(1) المصدر نفسه ح 17/2.
(2) البحر المحيط ح 119/6.
(3) همع الهوامع ج 130/2.
(4) الخصائص ج 309/2.
(5) البيان في أقسام القرآن ص 151.
(6) البرهان في علوم القرآن ج 343/3.
(7) (القرآن الكريم/ بالرسم العثماني ـ براوية حفص عن عاصم) ـ رضي الله عنهما.

كتب التفسير، وآراء اللغويين القدامى والمحدثين، ثم قسمت هذه المواضع على ثلاثة أنماط، تضمن «النمط الأول» الأفعال المتعدية[1] إلى مفعول به واحد بأسلوب التضمين. أما «النمط الثاني» فقد تضمن الأفعال المتعدية إلى مفعولين بالأسلوب نفسه وقد حاولت في هذين النمطين ترتيب الأفعال:

(أ) حسب ترتيب السور الكريمة في القرآن.

(ب) ترتيبها في السورة الواحدة حسب الترتيب «الألف بائي» وحاولت كشف بعض الأسرار البلاغية والجمالية لكل تضمين.

أما **النمط الأخير «النمط الثالث»** فقد عرضت فيه لما يقرب من فن التضمين في إيقاع فعل موقع فعل آخر، مثل إيقاع «الظن» موقع «اليقين»، أو التجوز عن «الظن» بـ «العلم» وغير ذلك.

أتمنى أن تكون هذه الدراسة خطوة في كشف معالم هذا الفن العريق في اللغة العربية.

والله ولي التوفيق

---

(1) ضمت الدراسة الفعل وما اشتق من صيغته، مثل صيغة (فاعل) وصيغة (مفعول) وصيغ المصدر وغيرها.

بسم الله الرحمن الرحيم

النمط الأول: ـ

من مواضع التضمين في الأفعال المتعدية إلى مفعول واحد في القرآن الكريم.

ذكر القاضي أبو بكر في كتاب «إعجاز القرآن» أن قوله ـ تعالى ـ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ـ الذي نستفتح به قراءة كل سورة كريمة من القرآن الكريم ـ من (باب التضمين لأنه تضمن تعليم الاستفتاح في الأمور باسمه على جهة التعظيم لله ـ تعالى ـ أو التبرك باسمه)[1].

سورة البقرة:

1 ـ **﴿يؤلي﴾**: قال ـ تعالى ـ: **﴿للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر﴾** [البقرة: 226].

قال بعض علماء اللغة: ضمن ﴿يؤلون﴾ معنى «يمتنعون» من وطء نسائهم بالحلف فلهذا عدي بـ ﴿من﴾[2] وقال الشيخ ابن عاشور: عد فعل «الإيلاء» بـ ﴿من﴾ مع حقه أن يعدى بـ «على»؛ لأنه ضمن ـ هنا ـ معنى «البعد»، فعدي بالحرف المناسب لفعل «البعد» كأنه قال: (للذين يؤلون

---

(1) إعجاز القرآن ـ للباقلاني ص 413.

(2) البرهان في علوم القرآن ج 3/341. ينظر ـ أيضاً ـ مُغني اللبيب ج 2/685.

متباعدين من نسائهم)[1].

2 ـ ﴿تتلوا﴾: قال ـ عز وجل ـ ﴿**واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان**﴾[البقرة: 102].

جاء الفعل ﴿تتلوا﴾ متضمناً معنى «تفتري» أو «تكذب» فعدي بـ ﴿على﴾.

3 ـ ﴿**تجزي**﴾: قال ـ تعالى ـ: ﴿**واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً**﴾ [البقرة: 48].

ذكر الزمخشري أن ﴿تجزي﴾ ضمن معنى «تقضي» أي: (لا تقضي عنها شيئاً من الحقوق، ومنه الحديث في جذعة بن نيار «تجزي عنك ولا تجزي عن أحد بعدك»، ﴿شيئاً﴾ مفعول به...)[2].

وقال الزمخشري ـ أيضاً ـ في «أساس البلاغة» (هذا رجل جازيك من رجل، أي: كافيك. وهذا لا يجزي عنك، أي لا يقضي، ومنه جزية أهل الذمة، لأنها تقضي عنهم)[3].

4 ـ ﴿**خلا**﴾ قال ـ عز وجل ـ ﴿**وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا: إنا معكم**﴾ [البقرة: 14].

فالفعل ﴿خلا﴾ يعدى بـ «الباء» وبـ ﴿إلى﴾، وتعديته بـ «الباء» أكثر استعمالاً، وعدي ـ في النص الكريم ـ بـ ﴿إلى﴾، وذلك لأنه إذا عدي بـ «الباء» احتمل معنيين: أحدهما: الانفراد والآخر: السخرية، إذ يقال في اللغة «خلوت به» أي سخرت منه و (خلا به: سخر منه وخدعه، لأن الساخر

(1) التحرير والتنوير ج 2/385.
(2) الكشاف ج 1/278 ـ 279.
(3) أساس البلاغة «جزى» ص 123.

والخادع يخلوان به يريانه النصح والخصوصية)[1].

أما تعديته بـ ﴿إلى﴾ فلا يحتمل إلا معنى واحداً. و ﴿إلى﴾ ـ هنا ـ على دلالتها الأصلية، وهي «انتهاء الغاية»، أي: صرفوا خلاهم إلى شياطينهم.

وقد نقل عن الأخفش (ت 221هـ) قوله: («خلوت إليه»: أي: جعلته غاية حاجتي وهذا شرح معنى ـ كما يقول أبو حيان في مؤلفه: «البحر المحيط»)[2].

ويبدو أن ﴿خلا﴾ قد عدي ـ هنا ـ بـ ﴿إلى﴾ ليشير إلى أنها كانت في مواضع هي مآبهم ومرجعهم وأن لقاءهم للمؤمنين إنما هو صدفة ولمحات قليلة، أفاد ذلك كله قوله: ﴿لقوا﴾، وتضمين «خلا» معنى «آب» أو «خلص». أما قوله ـ تعالى ـ ﴿**وإذا خلا بعضهم إلى بعض**﴾ [البقرة: 76]. فيجوز أن يكون ﴿خلا﴾ ـ في النص الكريم ـ متضمناً معنى «انضوى»، أو تكون ﴿إلى﴾ بمعنى «مع»[3].

ونقل الزركشي عن مكي بن أبي طالب القيسي (ت 437هـ) قوله: (إنما لم تأت «الباء» لأنه يقال خلوت به، إذا سخرت منه فأتى بـ ﴿إلى﴾ لدفع هذا الوهم)[4].

وذكر الزركشي ـ أيضاً ـ (إنما يقال خلوت به، ويكن ضمن ﴿خلوا﴾ معنى «ذهبوا وانصرفوا»، وهو معادل لقوله: ﴿لقوا﴾. وهذا القول أولى من قول من قال: إن ﴿إلى﴾ ـ هنا ـ بمعنى «الباء» أو بمعنى «مع»)[5].

---

(1) أساس البلاغة «خلو» ص 249.
(2) البحر المحيط ج 1/68 ـ 69.
(3) المصدر السابق ج 1/273.
(4) البرهان في علوم القرآن ج 3/239 ينظر ـ أيضاً ـ البحر المحيط ج 2/48.
(5) المصدر السابق.

﴿ترى﴾: قال ـ تعالى ـ ﴿**ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم**﴾ [البقرة: 243].

فقد تضمن الفعل «ترى» معنى ما يتعدى بـ ﴿إلى﴾ أي: ألم تنظر أو تنتبه؟ أي (عدي «ترى» بـ ﴿إلى﴾ حملاً على النظر، كأنه ـ تعالى ـ قال: (ألم تنظر؟) وإن شئت كان المعنى: ألم ينته علمك إلى كذا؟)[1].

ومثله قوله ـ تعالى ـ ﴿**ألم تر إلى الملأ**﴾ [البقرة: 246].

﴿**ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم**﴾ [البقرة: 258].

﴿**ألم تر إلى ربك**﴾ [الفرقان: 45].

يقول الزمخشري: (هذا الكلام جرى مجرى المثل في معنى التعجب)[2] ويبدو أن فعل الرؤية قد عدي بـ ﴿إلى﴾ فتضمن (معنى النظر، ليحصل الادعاء أن هذا الأمر المدرك بالعقل كأنه مدرك بالنظر لكونه بين الصدق لمن علمه، فيكون ﴿ألم تر إلى﴾ في قوة جملتين: ألم تعلم كذا وتنظر إليه)[3].

﴿**الرفث**﴾: قال ـ عز وجل ـ ﴿**أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم**﴾ [البقرة: 187].

فأنت ترى أن ﴿الرفث﴾ قد عدي بـ ﴿إلى﴾ وإن كان أصله بـ «الباء» لتضمن لفظ ﴿الرفث﴾ ـ المصدر ـ معنى: الإفضاء[4]، و «رفث إلى امرأته: أفضى إليها»[5]. قال ابن الشجري (ت 542)[6]: (جاءت تعدية ﴿الرفث﴾

---

(1) المصدر نفسه.
(2) أساس البلاغة ص 311.
(3) التحرير والتنوير ص 416.
(4) الكشف ج 1/328.
(5) أساس البلاغة (رفث) ص 354.
(6) الأمالي الشجرية ج 1/147.

بـ ﴿إلى﴾، فأنت لا تقول: «رفث إلى النساء» ولكنه جيء به معمولاً على «الإفضاء» الذي يراد به؛ الملامسة، في مثله قوله ـ تعالى ـ: ﴿**وقد أفضى بعضكم إلى بعض**﴾ [النساء: 21]. فلا يقال: «رفث إلى المرأة» ولكنه لما كان بمعنى «الإفضاء» ساغ ذلك[1] بمعنى أن ﴿الرفث﴾ لا يتعدى بـ ﴿إلى﴾ إلا ليؤدي معنى «الإفضاء»).

﴿**سفه**﴾: قال ـ عز وجل ـ ﴿**ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه**﴾ [البقرة: 130].

ذكر بعض علماء اللغة (أَنَّ لفظ ﴿نفسه﴾ مشبه بالمفعول، أو مفعول به به لأن الفعل ﴿سفه﴾ يتعدى بنفسه. أو: ضمن معنى «جهل» أو: على إسقاط حرف الأجر، فقيل معناه: سفه في نفسه، فحذف الجار. والصحيح ـ والله أعلم ـ أن ﴿سفه﴾ يتعدى بنفسه، وقد تضمن معنى «جهل»)[2].

﴿**ظلل**﴾: قال ـ تعالى ـ ﴿**وظللنا عليكم الغمام**﴾ [البقرة: 57].

فقد تضمن الفعل ﴿ظلل﴾ معنى «جعل» أي: (وجعلنا عليكم الغمام، فيكون ﴿عليكم﴾ مفعولاً ثانياً متقدماً. ويجوز أن يكون ﴿الغمام﴾ منصوباً على نزع الخافض، أي: بالغمام)[3].

﴿**تعزم**﴾: قال ـ عز وجل ـ ﴿**ولا تعزموا عقدة النكاح**﴾[البقرة: 235].

فقد تضمن الفعل ﴿تعزم﴾ تنوي أي «لا تنووا»، ولهذا عدي بنفسه، لا بـ «على»[4] ومثله قوله ـ تعالى ـ: ﴿**وإن عزموا الطلاق فإن الله سميع عليم**﴾

---

(1) الخصائص ج 2/318. ينظر ـ أيضاً ـ البرهان في علوم القرآن ج 3/339.
(2) ينظر/ معاني القرآن وإعرابه ـ للزجاج ج 1/190 ـ 191 الكشف ج 1/312، البحر المحيط ج 1/394.
(3) البحر المحيط ج 1/65. إملاء ما من به الرحمن ج 1/37.
(4) مغني اللبيب ج 2/65.

[البقرة: 227] أي (وإن عزموا على الطلاق، فحذف الخافض فانتصب ويجوز أن يكون الفعل مضمناً معنى «نووا»)[1].

﴿قفى﴾: قال ـ تعالى ـ ﴿**ولقد أتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل**﴾ [البقرة: 87].

قال أبو حيان ليس التضعيف في ﴿قفينا﴾ للتعدية، إنما الفعل ضمن معنى «جئنا»[2].

﴿تكبر﴾: قال ـ عز وجل ـ ﴿**ولتكبروا الله على ما هداكم**﴾[البقرة: 185].

فقد جاء الفعل ﴿تكبر﴾ (متعدياً بـ ﴿على﴾ لأنه تضمن معنى «الحمد»[3] أي: ولتحمدوا الله على ما هداكم.

﴿كتب﴾: قال ـ تعالى ـ ﴿**كتب عليكم القصاص**﴾ [البقرة: 178].

﴿**كتب عليكم القتال**﴾ [البقرة: 216].

﴿**كتب عليكم الصيام**﴾ [البقرة: 183].

فقد تضمن الفعل ﴿كتب﴾ معنى «فرض وألزم» فاكتسب قوة الفعلين جميعاً، قال الزمخشري: كتب عليه كذا: قضى عليه، وكتب الله الأجل والرزق، وكتب على عباده الطاعة وعلى نفسه الرحمة، وهذا كتاب الله: «قدره»[4].

سورة آل عمران:

﴿أمن﴾: قال ـ تعالى ـ ﴿**ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم**﴾[آل عمران: 73].

فقد تضمن الفعل ﴿تؤمنوا﴾ معنى: «تقروا» أو «تعترفوا»، فجاء متعدياً

---

(1) البحر المحيط ج 2/183 ينظر ـ أيضاً ـ البرهان في علوم القرآن ج 3/339.
(2) البحر المحيط ج 1/198.
(3) الكشاف ج 1/337 البحر المحيط ج 2/44.
(4) أساس البلاغة ص 809.

بـ «اللام» نقل أبو حيان[1] عن أبي علي الفارسي قوله: (قد يتعدى ﴿أمن﴾ بـ «اللام» كقوله ـ عز وجل ـ: ﴿**فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه**﴾ [يونس: 83] وقوله ـ تعالى ـ ﴿**قال آمنتم له**﴾ [طه: 71]، [الشعراء: 49]. وتأمل قوله: ﴿**يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين**﴾ [التوبة: 61]).

يقول الزمخشري[2] فإن قلت: لم عدي فعل الإيمان بـ «الباء» إلى الله ـ تعالى ـ وإلى المؤمنين بـ «اللام»؟ قلت: لأنه قصد التصديق بالله الذي هو نقيض الكفر بـه، فعدي بـ «الباء» وقصد السماع من المؤمنين وأن يسلم لهم ما يقولونه ويصدقه لكونهم صادقين عنده فعدي بـ «اللام». ألا ترى قوله ـ تعالى ـ: ﴿**وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين**﴾ [يوسف: 17]. ما انباه عن الباء، ونحوه ﴿**فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه**﴾ [يونس: 83].

﴿**أنؤمن لك واتبعك الأرذلون**﴾ [الشعراء: 111]. ﴿**آمنتم له قبل أن آذن لكم. . .**﴾ [طه: 71]، [الشعراء: 49]. ومعنى الآية: ولا تؤمنوا إيماناً حقاً إلا لمن تبع دينك، فأما محمد فلا تؤمنوا به لأنه لم يتبع دينكم، وهذا تعليل للنهي ﴿اصطفى﴾ قال ـ عز وجل ـ: ﴿**إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين**﴾ [آل عمران: 33]. فقد تضمن الفعل ﴿اصطفى﴾ معنى «فضل» فتعدى بـ ﴿على﴾ بدلاً من «من»[3] أي: فضلهم على العالمين.

﴿**مطهر**﴾: قال ـ تعالى ـ ﴿**ومطهرك من الذين كفروا**﴾ [آل عمران: 55].

فقد تضمن بلفظ ﴿مطهر﴾ ـ وهو اسم فاعل ومفعوله «الكاف» ـ معنى:

---

(1) البحر المحيط ج 2/29.
(2) الكشاف ج 2/199.
(3) البحر المحيط ج 2/435.

مميزك من الذين كفروا، فعدى بـ ﴿من﴾[1]. يقول الزمخشري (ومن المجاز: تطهر من الإثم: تنزه منه)[2]. قال الشيخ ابن عاشور (التطهير في قوله: ﴿ومطهرك﴾ مجازي بمعنى العصمة والتنزيه، لأن طهارة «عيسى» هي هي)[3].

﴿يكفر﴾: قال ـ تعالى ـ **﴿ما يفعلون من خير فلن يكفروه﴾** [آل عمران: 115].

يتعدى الفعل «كفر» بواسطة «الباء» وهنا ـ أي في النص الكريم، ضمن معنى «حرم» فتعدى بنفسه، أي: فلن تحرموا ثوابه)[4].

﴿أنصار﴾: قال ـ عز وجل ـ **﴿من أنصاري إلى الله﴾** [آل عمران: 52].

قال ابن جني (المعنى: من يتصاف في نصرتي إلى الله، وقيل: إن ﴿إلى﴾ بمعنى «مع» أي: مع الله)[5] ويحتمل أن يكون السياق قد وصل وصف أنصاري بـ ﴿إلى﴾ على تضمين صفة أنصار معنى «الضم»، أي: (من ضامون نصرهم إياي إلى نصر الله إياي الذي وعدني به)[6].

سورة النساء:

﴿يأكل﴾: قال ـ تعالى ـ **﴿إنما يأكلون في بطونهم ناراً﴾** [النساء: 10].

يبدو أن الفعل **﴿يأكلون﴾** تضمن معنى: يلقون أو يطرحون أو يدخلون

---

(1) البرهان في علوم القرآن ج 3/342.
(2) أساس البلاغة (الطاء مع الهاء) ص 600.
(3) التحرير والتنوير ص 259.
(4) البحر المحيط ج 3/36.
(5) الخصائص ج 2/309.
(6) التحرير والتنوير ص 255.

لأن «الأكل» لا يقع في «البطون» وإنما يقع في الأفواه أولاً ويرى الزمخشري أن معنى قوله ـ تعالى ـ: ﴿في بطونهم﴾ ملء بطونهم، يقال: أكل فلان في بطنه وفي بعض بطنه[1]. أما قوله ـ تعالى ـ: **﴿ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم﴾** [النساء: 2] فيجوز أن يكون الفعل «تأكلوا» (متضمناً معنى «تضموا..» أي: لا تضموا أموالهم في الأكل إلى أموالكم)[2]، ويجوز أن تكون الـ «نار» مراداً بها «نار جهنم» كما هو الغالب في القرآن، وعليه يكون الفعل ﴿يأكلون﴾ مضمناً معنى «يفضي بهم»، أي: أنهم حين يأكلون أموال اليتامى قد أكلوا ما يفضي بهم إلى جهنم.

﴿يجمع﴾: قال ـ عز وجل ـ **﴿ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه﴾** [النساء: 87].

أجاز أبو حيان تضمين ﴿يجمع﴾ معنى ﴿يحضر﴾، فيتعدى بـ ﴿إلى﴾ أو: ﴿إلى﴾ على بابها، ومعناها الغاية ويكون الجمع في القبور أو: بمعنى «في»[3].

﴿أذاع﴾: قال ـ تعالى ـ **﴿وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به﴾** [النساء: 83].

فقد تضمن الفعل ﴿أذاع﴾ معنى «تحدث» فتعدى بـ «الباء» أي: تحدثوا به[4]، وقيل إن (معنى ﴿أذاعوا﴾: أفضوا، ويتعدى إلى الخبر بنفسه وبـ «الباء»، يقال: أذاعه وأذاع به، فالباء لتوكيد اللصوق)[5].

---

(1) الكشاف ح 1/504.
(2) البحر المحيط ج 3/160.
(3) البحر المحيط ج 2/87.
(4) حاشية الشهاب ج 3/161.
(5) التحرير والتنوير ج 5/139.

﴿كسب﴾ : قال ـ تعالى ـ **﴿ومن يكسب إثماً فإنما يكسب على نفسه﴾** [النساء: 111].

تضمن الفعل «يكسبه» معنى «يجنيه»، فتعدى إلى المفعول الثاني بـ ﴿على﴾ أي: فإنما يجنيه على نفسه.

﴿يوعظ﴾: قال ـ عز وجل ـ **﴿ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به﴾** [النساء: 66].

جاء الفعل ﴿يوعظ﴾ متضمناً معنى «يؤمر» فعدي بـ «الباء» أي: ما يؤمرون به (أمر تحذير وترقيق، أي: مضمون ما يوعظون، لأن الوعظ هو الكلام والأمر، والمفعول هو المأمور به، أي: لو فعلوا كل ما يبلغهم الرسل ومن ذلك الجهاد والهجرة..)[1].

سورة المائدة:

﴿تتبع﴾: قال ـ تعالى ـ **﴿ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق﴾** [المائدة: 48].

قال أبو حيان (تضمن ﴿تتبع﴾ معنى «تنحرف» فعدي بـ «عن»)[2].

﴿يجرم﴾: قال ـ تعالى ـ **﴿ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا﴾** [المائدة: 8].

دل قوله ـ تعالى ـ: ﴿ولا يجرمنكم﴾ على معنى «ولا يحملنكم» فأفاد المعنيين.

---

(1) التحرير والتنوير ج 5/114.
(2) البحر المحيط ج 3/52.

قال الشيخ ابن عاشور (وأما تعديته بـ ﴿على﴾ في قوله: ﴿ولا يجرمنكم شنآن قوم على..﴾ فلتضمينه معنى «يحملنكم»)[1].

﴿أذله﴾: قال ـ تعالى ـ **﴿فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه، أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين﴾** [المائدة: 54].

قال الزركشي (تعدى لفظ ﴿أذلة﴾ بـ ﴿على﴾، وإن كان الأصل «اللام» لأنه ضمن معنى الحنو والعطف)[1]. وهذا القول قد سبقه إليه الزمخشري، فذكر (أن قوله ـ تعالى ـ: ﴿على المؤمنين﴾ يتعلق بـ ﴿أذلة﴾ على تضمين معنى «الحنو» و «العطف» أي عاطفين على المؤمنين على وجه التذلل)[2].

﴿يفتن﴾: قال ـ عز وجل ـ **﴿واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله عليك﴾** [المائدة: 49].

فقد تضمن الفعل ﴿يفتنوك﴾ معنى «يصرفونك».

﴿قفى﴾: قال ـ تعالى ـ **﴿وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم﴾** [المائدة: 46].

إن أصل الفعل ﴿قفى﴾ يتعدى إلى مفعولين صريحين، أي: «وقفيناهم عيسى بن مريم» لكنه جاء في النص الكريم متضمناً معنى «جئنا». ذكر أبو حيان أن قوله ـ تعالى ـ ﴿على آثارهم﴾ يتعلق بـ ﴿قفينا﴾، و ﴿بعيسى﴾ متعلق به ـ أيضاً ـ وهذا على سبيل التضمين، أي: ثم جئنا على آثارهم بعيسى بن مريم قافينا لهم[3]. ومعنى ذلك أن (مفعول ﴿قفينا﴾ محذوف يدل عليه قوله ﴿على آثارهم﴾ ـ الذي أفاد سرعة التقفية ـ لأن فيه ضمير المفعول المحذوف.

---

(1) التحرير والتنوير ج 6/86.
(2) البرهان في علوم القرآن ج 3/341.
(3) البحر المحيط ج 3/398.

﴿أقول﴾: قال ـ تعالى ـ **﴿قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق﴾**[المائدة: 116].

قال أبو البقاء العبكري: أن قوله ـ تعالى ـ «ما ليس لي بحق» مفعول به، على أن فعل القول: (أقول) مضمن معنى (أدعى) أو (أذكر)[1].

﴿تنقمون﴾: قال ـ عز وجل ـ **﴿هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله﴾** [المائدة: 59].

جاء في كتاب «إعراب القرآن»، المنسوب لـ «الزجاج» أن أصل الفعل «نقم» أن يتعدى بـ «على» تقول: («نقمت على الرجل»، ثم يبنى منه صيغة «افتعل» فتتعدى إذ ذاك بـ «من»، وتتضمن معنى الإصابة بمكروه)[2]، أي: «تكرهون من جهتنا الإيمان». وهذا تقدير بعض معربي القرآن[3].

سورة الأنعام:

﴿جعل﴾: قال ـ تعالى ـ **﴿وجعل الظلمات والنور﴾** [الأنعام: 1].

جاء الفعل **﴿جعل﴾** (بمعنى «صنع» و «خلق»، فتعدى إلى مفعول به واحد).

﴿حبط﴾: قال ـ عز وجل ـ **﴿ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون﴾** [الأنعام: 88].

تضمن الفعل ﴿حبط﴾ معنى «بطل» و «زال» فتعدى بـ «عن» أي: بطل ثوابه.

---

(1) إملاء ما من به الرحمن ج 1/ 233.

(2) إعراب القرآن المنسوب للزجاج ج 2/ 406.

(3) البحر المحيط ج 3/ 517 مشكل إعراب القرآن ج 1/ 236 إملاء ما من به الرحمن ج 1/ 220.

﴿ذكر﴾: قال ـ تعالى ـ ﴿فلما نسوا ما ذكروا به﴾ [الأنعام: 44].

فقد جاء الفعل ﴿ذكروا﴾ متضمناً معنى «أمروا» فتعدى بـ «الباء» أي: فلما نسوا ما أمروا به.

﴿فرط﴾: قال ـ عز وجل ـ ﴿فأفرطنا في الكتاب من شيء﴾ [الأنعام: 38].

معنى «التفريط»: التقصير، وحقه أن يتعدى بـ ﴿في﴾ كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿يا حسرتي على ما فرطت في جنب الله﴾ [الزمر: 56]. وإذا كان الأمر كذلك، فقد ضمن قوله ـ تعالى ـ: ﴿ما فرطنا﴾ معنى: ما أغفلنا وما تركنا، ويكون قوله ـ عز وجل ـ: ﴿من شيء﴾ في موضع المفعول به، و ﴿من﴾ تبعيضية[1].

سورة الأعراف:

﴿ثقل﴾: قال ـ تعالى ـ ﴿ثقلت في السموات والأرض﴾ [الأعراف: 187].

قال أبو حيان (أصل الفعل «ثقل» أن يتعدى بـ «على»؛ تقول: (ثقل عليّ هذا الأمر) فأما أن يدعي بأن «في» بمعنى «على» أو: يضمن «ثقلت» معنى فعل يتعدى بـ «في»)[2].

﴿يجحد﴾: قال ـ عز وجل ـ ﴿وما كانوا بآيتنا يجحدون﴾ [الأعراف: 51]. يتعدى الفعل «جحد» بنفسه، لكنه أجري في النص الكريم مجرى الفعل «كفر» فعدي بـ «الباء» مثلما عدي «كفر» بنفسه في قوله ـ تعالى ـ ﴿ألا أن عاداً كفروا ربهم﴾ [هود: 60]. وقيل: (عدي ﴿يجحدون﴾ بالباء لتأكيد

---

(1) إملاء ما من به الرحمن ج 1/241 ينظر ـ أيضاً ـ البحر المحيط ج 4/121.
(2) البحر المحيط ج 4/435.

تعلق الجحد وهو الإنكار للأمر المعروف بالمجحود)[1].

وإذا تأملنا السياق الكريم وجدنا أنه قد أجرى الفعل «كفر» مجرى «جحد» كذلك الفعل ﴿يجحدون﴾ تضمن معنى «يكفرون» في قوله تعالى: ﴿**وما كانوا بآيتنا يجحدون**﴾ أي: يكفرون بآيتنا، فتعدى الفعل بـ «الباء».

﴿**حفي**﴾: قال ـ تعالى ـ ﴿**يسألونك كأنك حفي عنها**﴾ [الأعراف: 187].

قال العكبري: (يجوز أن يكون ﴿عنها﴾ متعلق بـ ﴿يسألونك﴾ وصلة ﴿حفي﴾ محذوفة. أو: متعلق بـ ﴿حفي﴾ على جهة التضمين لأن من كان حفياً بشيء أدركه وكشف عنه، والتقدير: كذلك كاشف بحفاوتك عنها أو «عن» بمعنى «الباء»)[2].

﴿**حقيق**﴾: قال ـ عز وجل ـ ﴿**حقيق علي أن لا أقول على الله إلا الحق**﴾ [الأعراف: 105].

قيل ضمن ﴿حقيق﴾ معنى «حريص» فعدي بـ ﴿على﴾ إشارة إلى ذلك التضمين وأحسن من هذا أن يضمن ﴿حقيق﴾ معنى «مكين» وتكون ﴿على﴾ استعارة للاستعلاء المجازي وقيل (﴿حقيق﴾ «فعيل» بمعنى «فاعل»، وهو مشتق من «حق» بمعنى وجب وثبت أي متعين وواجب أي قول الحق على الله و ﴿على﴾ الأولى؛ للاستعلاء المجازي و ﴿على﴾ الثانية بمعنى «عن» وقيل إن ﴿على﴾ الأولى ـ بمعنى «الباء» وأن ﴿حقيق﴾ فعيل بمعنى مفعول أي بمعنى محقوق بأن لا. . . أي: مجعول قيل الحق حقاً علي)[3].

﴿**يظلمون**﴾: قال ـ تعالى ـ ﴿**ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون**﴾ [الأعراف: 9]. معنى قوله ـ تعالى ـ

---

(1) التحرير والتنوير ج 7/199.
(2) إملاء ما من به الرحمن ج 1/290 البحر المحيط ج 4/435.
(3) التحرير والتنوير ج 9/38.

﴿**بآيتنا يظلمون**﴾، يكذبون بها أو يكفرون بها. فيتعل قوله ـ عز وجل ـ ﴿**بآيتنا**﴾ بـ ﴿**يظلمون**﴾، لتضمنه معنى «يكذبون» أو لأن ﴿يظلمون﴾ بمعنى ﴿يجحدون﴾[1].

ومثله قوله ـ تعالى ـ ﴿**ثم بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا إلى فرعون وملئه فظلموا بها**﴾ [الأعراف: 103]. أي: تكذبون بها ظالمين. فضمن ﴿ظلموا﴾ معنى «كذبوا» أو معنى «كفروا» (لذلك عدي بـ «الباء» فكأنه قيل: بما كانوا يظلمون فيكذبون بأياتنا على حد).

﴿**عجل**﴾: قال ـ عز وجل ـ ﴿**أعجلتم أمر ربكم**﴾ [الأعراف: 150].

قال أبو حيان: (يقال: عجل عن الأمر) إذا تركه غير تام، و (أعجله عنه): غيّره ويتضمن ﴿عجل﴾ معنى «سبق» فيعدى تعديته، (يقال: عجلت الأمر. .)[2] أي: جاء ﴿عجل﴾ مضمناً معنى «سبق» فعدي بنفسه على اعتبار هذا المعنى، وهو استعمال كثير[3].

﴿**تعود**﴾: ﴿**أو لتعودن في ملتنا**﴾ [الأعراف: 88].

فإن الفعل «عاد» قد تضمن معنى «دخل» أو «صار» فعدي بـ ﴿في﴾ أي: لتدخلن في ملتنا، أو: لتصيرن في ملتنا.

﴿**أمطر**﴾: قال ـ تعالى ـ ﴿**وأمطرنا عليهم مطراً**﴾ [الأعراف: 84].

قال أبو حيان: (ضمن ﴿أمطر﴾ معنى «أرسل»، لذلك عدي بـ«على»)[4] ومثله قوله ـ عز وجل ـ: ﴿**أمطرنا عليهم حجارة**﴾ [الحجر: 74]، ويبدو أنْ معنى ﴿أمطرنا﴾: أنزلنا عليهم من الجو ما يشبه المطر وليس هو

---

(1) البحر المحيط 4/271.
(2) التحرير والتنوير ج 4/395.
(3) المصدر السابق ج 9/114.
(4) البحر المحيط ج 4/335.

بمطر . . . وقد كثر «الأمطر» بمعنى العذاب .

﴿**نتق**﴾ : قال ـ عز وجل ـ ﴿**وإذ نتقنا الجبل فوقهم**﴾ [الأعراف : 171] . ذكر أبو البقاء العكبري أَنَّ قوله ـ تعالى ـ: ﴿**فوقهم**﴾ ظرف لـ ﴿نتقنا﴾[1] .

ويقول أبو حيان : (لا يمكن ذلك ـ أي الذي ذكره أبو البقاء ـ إلا إذا ضمن ﴿نتقنا﴾ معنى فعل يعمل في قوله ـ تعالى ـ: ﴿**فوقهم**﴾ أي : «رفعنا»)[2] .

﴿**تنحتون**﴾ : قال ـ تعالى ـ ﴿**وتنحتون الجبال بيوتاً**﴾ [الأعراف : 74] .

ذهب العكبري[3] وأبو حيان[4] إلى أنه (يجوز أن يكون لفظ «بيوتاً» . مفعولاً ثانياً على تضمين الفعل ﴿تنحتون﴾ معنى «يتخذون» فيجمع السياق دلالة الفعلين ويرى ابن عاشـور أن «بيوتاً» منصوب على الحال من ﴿الجبال﴾ أي : صائرة بعد النحت بيوتاً)[5] ولا مسوغ لهذا التكلف في التقدير .

﴿**ينظر**﴾ : قال ـ عز وجل ـ ﴿**أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض**﴾ [الأعراف : 185] .

جاء في كتاب «إعراب القرآن» المنسوب لـ «الزجاج» أن الله ـ تعالى ـ قال : ﴿**في ملكوت**﴾ ولم يقل «إلى ملكوت» لأن المعنى «أولم يتفكروا في ملكوت السموات»[6] ومعنى ذلك أن الفعل «ينظر» تضمن معنى «يتفكر» فعدي بـ ﴿في﴾ .

---

(1) إملاء ما من به الرحمن ج 1/ 288 .
(2) البحر المحيط ج 4/ 419.
(3) إملاء ما من به الرحمن ج 1/ 278 ـ 219 .
(4) البحر المحيط ج 4/ 329.
(5) التحرير والتنوير ج 8/ 221 .
(6) إعراب القرآن المنسوب للزجاج ج 2/ 620 .

﴿يهدي﴾: قال ـ تعالى ـ ﴿**أولم يهد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها**﴾ [الأعراف: 155].

فقد تضمن الفعل ﴿يهدي﴾ معنى «يتبين» فعدي بـ «اللام» ومعنى ﴿لم يهد﴾: لم يرشد.

ويبين لهم، فالهداية أصلها تبين الطريق للسائر، و ﴿يهدي﴾ يتعدى إلى مفعولين وأنه يتعدى إلى الأول منهما بنفسه، وإلى الثاني تارة بنفسه وأخرى بـ «اللام» أو «إلى» فلذلك كانت تعديته إلى المفعول الأول باللام في هذه الآية، إما لتضمينه معنى «يبين»، وإما لتقوية تعلق معنى الفعل بالمفعول، كما في قوله ـ تعالى ـ ﴿**فهب لي من لدنك ولياً**﴾ وقوله: ﴿**أفلم يهد لهم كم أهلكنا**﴾.

سورة التوبة:

﴿**أتم**﴾: قال ـ عز وجل ـ ﴿**فأتموا إليهم عهدهم إلى عدتهم**﴾ [التوبة: 4].

فقد تضمن الفعل ﴿أتموا﴾ معنى «أدوا» فتعدى بـ ﴿إلى﴾[1].

﴿**اثاقل**﴾: قال ـ تعالى ـ ﴿**ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض**﴾ [التوبة: 38].

قال أبو حيان: (معناه ـ أي النص الكريم ـ: ملتم إلى شهوات الدنيا حين أخرجت الأرض ثمارها ولما ضمن الفعل «اثاقل» معنى «الميل» و «الإخلاء»، عدي بـ ﴿إلى﴾)[2].

---

(1) البحر المحيط ج 5/9.
(2) المصدر السابق ج 5/41.

﴿**زاد**﴾ : قال ـ عز وجل ـ ﴿**وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً إلى رجسهم**﴾ [التوبة : 125].

تضمن الفعل «زاد» معنى «الضم»، لذلك عدي بـ ﴿إلى﴾ ويجوز أن تكون «إلى» بمعنى.

سورة يونس:

﴿**يصلح**﴾ : قال ـ تعالى ـ ﴿**إن الله لا يصلح عمل المفسدين**﴾ [يونس : 81].

ذكر الزركشي أن قوله ـ تعالى ـ ﴿**لا يصلح**﴾ بمعنى: «لا يرضى»[1] ومعنى ذلك أن الفعل ﴿يصلح﴾ ضمن معنى ﴿يرضى﴾، فعدي إلى المفعول به ﴿عمل...﴾ ويحتمل أن يكون من مجاز الحذف، أي: (لا يصلح عاقبة عمل المفسدين).

سورة هود:

﴿**جحد**﴾: قال ـ عز وجل ـ ﴿**وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم**﴾ [هود: 59].

يتعدى الفعل ﴿جحد﴾ في الأصل بنفسه، ولكنه في النص الكريم أجري مجرى «كفر» فعدي بـ «الباء» لتضمينه معنى «كفروا»، فيكون بمنزلة ما لو قيل: (جحدوا آيات ربهم وكفروا بها)[2].

﴿**أخبت**﴾ : قال ـ عز وجل ـ ﴿**وأخبتوا إلى ربهم**﴾ [هود: 23].

قال الزمخشري: (أخبت القوم: صاروا في الخبت)[3]، مثل: أصحروا

---

(1) البرهان في علوم القرآن ج 3/342.
(2) التحرير والتنوير ج 12/105.
(3) (خبت: نزلوا في خبت الأرض من الأرض وخبوت وهي البطون الواسعة المطمئنة).

ومن المجاز: «أخبت إلى ربهم» اطمأنوا إليه، وهو يصلي بخشوع وإخبات، وخضوع وإنصات[1].

ذكر الزركشي أن قوله ـ تعالى ـ ﴿**أخبتوا**﴾ (ضمن معنى «أنابوا» فعدي بحرفه)[2].

﴿**أخالف**﴾: قال ـ تعالى ـ ﴿**وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه**﴾ [هود: 88].

قال الزمخشري (يقال: «خالفني فلان إلى كذا»: إذا قصده، وأنت مولٍ عنه، و «خالفني عنه» إذا ولى عنه وأنت قاصده، ويلقاك الرجل صادراً عن الماء فتسأله عن صاحبه: فيقول: «خالفني إلى الماء»: يريد أنه قد ذهب إليه وارداً وأنا ذهب عنه صادراً، ومنه قوله ـ تعالى ـ: ﴿**وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه**﴾ يعني: أن أسبقكم إلى شهواتكم التي نهيتكم عنها لاستبد بها دونكم)[3] وذهب ابن عاشور إلى أن قوله ـ تعالى ـ ﴿**أن أخالفكم**﴾ يتعلق بـ ﴿أريد﴾ على حذف لام الجر. التقدير: ما أريد إلى النهي لأجل أن أخالفكم: أي: لمحبة خلافكم)[4].

﴿**كفر**﴾: قال ـ تعالى ـ ﴿**إلا أن عاد كفروا ربهم**﴾ [هود: 60].

ذكر أبو حيان أن الأصل أن يتعدى ﴿كفر﴾ بـ «الباء»، وعدي في الآية إجراء له مجرى «جحد»[5] أو عدي ﴿كفروا﴾ بدون حرف الجر لتضمينه معنى «عصوا» وقد ذكرنا في سورة الأعراف أن ﴿كفروا﴾ جاء متضمناً معنى

---

(1) أساس البلاغة ص 212.
(2) البرهان في علوم القرآن ج 3/341.
(3) الكشاف ج 2/287.
(4) التحرير والتنوير ج 12/145.
(5) البحر المحيط ج 5/235.

«جحدوا» أي كفروا بربهم، وجحدوه فتضمن الفعل ﴿كفر﴾ المعنيين [1].

﴿ينصر﴾: قال ـ عز وجل ـ ﴿**ويا قوم من ينصرني من الله إن طردتهم**﴾ [هود: 30].

فقد جاء الفعل «ينصر» متعدياً بـ ﴿من﴾ لتضمنه معنى «ينجي» أو «يمنع» أو (من يمنعني من انتقامه)[2].

سورة يوسف:

﴿أحسن﴾: قال ـ تعالى ـ ﴿**وقد أحسن بي إذا أخرجني من السجن**﴾ [يوسف: 155].

ذكر العكبري أن المفعول به للفعل ﴿أحسن﴾ محذوف، أي: صنعه بي[3] وقال أبو حيان: يتعدى ﴿أحسن﴾ بـ «إلى» كقولك: وأحسن كما أحسن الله إليك ويتعدى بـ «الباء» كقوله ـ تعالى ـ: ﴿**وبالوالدين إحسانا**﴾ [البقرة: 83]. كما يقال: أساء إليه، وبه. وقد يكون ضمن ﴿أحسن﴾ معنى «لطف»[4].

﴿يكيد﴾: قال ـ عز وجل ـ ﴿. . . **فيكيدون لك كيداً**﴾ [يوسف: 5].

ذهب بعض العلماء وأهل اللغة[5] إلى أنه: قد عدي الفعل ﴿يكيد﴾ في النص الكريم بـ اللام، أي جاءت «اللام» لتأكيد صلة الفعل بمفعوله وقد عدي ـ بدون اللام ـ في قوله ـ تعالى ـ: ﴿**إنهم يكيدون وأكيد كيداً**﴾ [الطارق: 15].

---

(1) إملاء ما من به الرحمن ج 2/41.
(2) الكشاف ج 2/266.
(3) إملاء ما من به الرحمن ج 2/59.
(4) البحر المحيط ج 5/348. ينظر ـ أيضاً ـ التحرير والتنوير ج
(5) الكشاف ج 2/303، إملاء ما من به الرحمن ج 2/49، البحر المحيط ج

واحتمل أن يكون من باب التضمين، فقد ضمن «يكيد» معنى ما يتعدى بـ «اللام» كأنه قيل: فيحتالوا لك بالكيد. ويبدو أن دلالة التضمين أبلغ ـ لجمعها معنى الفعلين في صيغة واحدة ـ وآكد في التخويف.

سورة إبراهيم:

﴿يستحب﴾: قال ـ تعالى ـ **﴿الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة﴾** [إبراهيم: 3].

يقول الزمخشري: (الاستحباب: الإيثار والاختيار، وهو: استفعال من المحبة، لأن المؤثر للشيء على غيره كأنه يطلب من نفسه أن يكون أحب إليها وأفضل عندها من الآخرة)[1] يفهم من قول الزمخشري أن قوله ـ تعالى ـ: **﴿يستحبون﴾** تضمن معنى «يؤثرون»، فتعدى بـ ﴿على﴾ إلى المفعول الثاني ﴿على الآخرة﴾ أي: يؤثرونها عليها أي: أنهم يؤثرون خير الدنيا على خير الآخرة.

﴿تعود﴾: قال ـ عز وجل ـ **﴿أو لتعودن في ملتنا﴾** [إبراهيم: 13].

ذكر الزركشي أنه قد (ضمن ﴿لتعودن﴾ معنى «لتدخلن» أو «لتصيرن» فتعدى بـ ﴿في﴾)[2].

أما الزمخشري فيرى أن (العود؛ بمعنى: الصيرورة، وهو كثير في كلام العرب كثرة فاشية لا تكاد تسمعهم يستعملون صار: ولكن عاد ما عدت أراه، عاد لا يكلمني ما عاد فلان مال. . .)[3].

---

(1) الكشاف ج 2/366.

(2) البرهان في علوم القرآن ج 3/340.

(3) الكشاف ج 2/370.

﴿تهوي﴾: قال ـ تعالى ـ ﴿**فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم**﴾ [إبراهيم: 37].

ذهب الزمخشري إلى أن (﴿تهوي إليهم﴾: من هوى يهوى؛ إذا أحب، وضمن معنى: تسرع فعدي تعديته)[1] و ﴿تهوي﴾: تسقط، وأطلق ـ هنا ـ على الإسراع، أي: تسرع إليهم وتطير نحوهم شوقاً ونزاعاً. فـ «الإسراع»: كناية عن المحبة والشوق إلى زيارتهم. وذكر العكبري[2] وتابعه أبو حيان[3] أن (﴿تهوي﴾ ضمن معنى «تميل» فعدي بـ «إلى» أصل أن يتعدى بـ «اللام» والمقصود من هذا الدعاء: تأنيس مكانهم بتردد الزائرين وقضاء حوائجهم منهم)[4].

سورة الحجر:

﴿**قضى**﴾: قال ـ عز وجل ـ ﴿**وقضينا إلينا ذلك الأمر**﴾ [الحجر: 66].

فقد عدي ﴿قضينا﴾ بـ «إلى» لأنه ضمن معنى «أوحينا» كأنه قيل: (وأوحينا إليه مقضياً مبتوتاً)[5].

﴿**قدر**﴾: قال ـ تعالى ـ ﴿**قدرنا أنها لمن الغابرين**﴾ [الحجر: 60].

فقد تضمن التقدير معنى العلم، أي علمنا يقول الزمخشري (فإن قلت: لم جاز تعليق فعل التقدير في قوله ـ تعالى ـ: ﴿**وقدرنا أنها لمن الغابرين**﴾، والتعليق من خصائص أفعال القلوب؟ قلت: لتضمن فعل التقدير معنى

---

(1) المصدر السابق ج 2/380.
(2) إملاء ما من به الرحمن ج 2/69.
(3) البحر المحيط ج 5/433.
(4) التحرير والتنوير ج 13/242.
(5) المصدر نفسه ج 2/395.

العلم)[1].

سورة النحل:

﴿جحد﴾: قال ـ تعالى ـ ﴿**أفبنعمة الله يجحدون**﴾ [النحل: 71].

ذكرنا في مواضع سابقة أن الفعل «يجحد» يضمن معنى «يكفر» فيعدى بـ «الباء»، ﴿جحد﴾ في أصله يتعدى بنفسه.

سورة الإسراء:

﴿حسيباً﴾: قال ـ عز وجل ـ ﴿**كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا**﴾ [الإسراء: 14].

«الحسيب» فعيل بمعنى فاعل، أي: الحاسب، وعدي ﴿حسيباً﴾ بـ «على» لتضمينه معنى «الشهيد».

﴿ظلم﴾: قال ـ تعالى ـ ﴿**وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها**﴾ [الإسراء: 59].

أي (فكفروا بها ظالمين)[2] أو: فكذبوا بها ظالمين فقد ضمن الفعل «ظلم» معنى: كفر فعدي بـ «الباء» لأن «الفعل كفر» يعدى إلى المكفور بالباء ويجوز أن يكون «الظلم» مضمناً معنى «الجحد» أي: (كابروا في كونها آية. كقوله ـ تعالى ـ ﴿**جحدوا بها**﴾ [النمل: 14]. ويجوز بقاء «الظلم» على حقيقته؛ الاعتداء بدون حق، والباء صلة لتوكيد التعدد)[3].

---

(1) الكشاف ج 2/394.
(2) المصدر السابق ج 2/454.
(3) التحرير والتنوير ج 15/144.

﴿ضل﴾: قال - تعالى - ﴿ومن ضل فإنما يضل عليها﴾ [الإسراء: 15].

فقد ضمن الفعل «يضل» معنى «يجني» فتعدى بـ«على» أي: يجني عليها، ومثله قوله - تعالى ؛ ﴿فإنما أضل على نفسي﴾ [سبأ: 50].

﴿يفتن﴾: قال - عز وجل - ﴿وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك﴾ [الإسراء: 73].

عدى الفعل ﴿يفتن﴾ بحرف ﴿عن﴾ لتضمينه معنى فعل كان الفتن لأجله وهو ما فيه معنى «يصرفونك»[1].

﴿قضى﴾: قال - تعالى - ﴿وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين﴾ [الإسراء: 4].

تضمن الفعل ﴿قضى﴾ معنى ﴿الإيحاء﴾ فتعدى بـ ﴿إلى﴾[2] ومعنى النص الكريم: (﴿وأوحينا إليهم وحياً مقضياً﴾: أي مقطوعاً مبتوتاً بأنهم يفسدون في الأرض لا محالة)[3] وقيل (تعدية وأنهينا)[4] كقوله - تعالى -: ﴿وقضينا إليه ذلك الأمر﴾ [الحجر: 66].

سورة الكهف:

﴿تعدو﴾: قال - تعالى - ﴿ولا تعد عيناك عنهم﴾ [الكهف: 28].

ضمن الفعل ﴿تعد﴾ معنى «تنصرف»، فعدي بـ«عن»، و «عدا» في الأصل متعد بنفسه، يقال: (عداه) إذا جاوزه، ومنه قولهم: عدا طوره.

---

(1) المصدر السابق ج 15/171.
(2) البحر المحيط ج 6/8.
(3) الكشاف ج 2/438.
(4) التحرير والتنوير ج 15/28.

وفسر الفراء قوله ـ تعالى ـ ﴿ولا تعد عيناك﴾: لا تنصرف عيناك، ولهذا نظائر في القرآن وفي شعر العرب[1]، وقد عرض الزمخشري في تفسيره «الكشاف» للغرض البلاغي والدلالي للتضمين في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ولا تعد عيناك عنهم﴾. فقال: (فإن قلت: **أي غرض في هذا التضمين**؟ وهلا قيل: ولا تعدهم عيناك، أو: ولا تعد عيناك عنهم؟).

قلت: **الغرض فيه إعطاء مجموع معنيين وذلك أقوى من إعطاء معنى فذ**.

ألا ترى كيف رجع المعنى إلى **قولك**: ولا تقتحمهم عيناك مجاوزتين إلى غيرهم؟ ونحوه قوله ـ تعالى ـ ﴿**ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم**﴾ [النساء: 2]. أي: **ولا** تضموها إليها آكلين لها)[2]. والزمخشري يرى أن الفعل «عدا» (إنما عدى بعن لتضمين «عدا» معنى: «نبا» و «علا» في قولك: نبت عنه عينه، وعلت عنه عينه، إذا اقتحمته، ولم تعلق به)[3].

واختار ابن الشجري[4] ما ذهب إليه الزمخشري فذكر أن معنى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ولا تعد عيناك عنهم﴾ (أي: لا تجاوزهم عيناك، من قوله: ﴿لا تعد هذا الأمر﴾ ولا تتعده، أي: لا تتجاوزه. ولكنه أوصل إلى المفعول بـ «عن» حملاً على المعنى، لأنك إذا جاوزت الشيء وتعديته، فقد انصرفت عنه، فحمل ﴿ولا تعد عيناك عنهم﴾ على: لا تنصرف عيناك عنهم، فالفعل مسند إلى «العين»، وهو في الحقيقة موجه إلى النبي ﷺ، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿**ولا تعجبك أموالهم**﴾ [التوبة: 85]. أسند الإعجاب إلى الأموال، والمعنى: لا تعجب بأموالهم.

(1) معنى القرآن ج 2/140.
(2) الكشاف ج 2/481.
(3) المصدر نفسه.
(4) الأمالي الشجرية ج 1/147.

ويبدو أن هذا الرأي ـ وهو أن ﴿تعد﴾ ضمن معنى «تنصرف» ـ متفق عليه عند كثير من أهل اللغة[1]، فالمقصود: الإعراض، لذلك ضمن فعل العد ومعنى الإعراض فعدي إلى المفعول بـ «عن»، ومعنى نهى العينين نهى صاحبهما فيؤول إلى معنى: (ولا تعدي عينيك عنهم) وهو إيجاز بديع.

﴿يقلب﴾: قال ـ عز وجل ـ **﴿فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها﴾** [الكهف: 42].

ذكر الزمخشري وتابعه أبو حيان ـ أنه (لما كان هذا الفعل كناية عن الندم عدي تعدية فعل الندم، فقال: ﴿على ما أنفق فيها﴾ كأنه قيل: فأصبح نادماً على ذهاب ما أنفق في عمارتها)[2].

سورة مريم:

﴿اصطبر﴾: قال ـ تعالى ـ **﴿واصطبر لعبادته﴾** [مريم: 65].

أصل الفعل ﴿اصطبر﴾ أن يتعدى بـ «على» نحو قوله ـ تعالى ـ: **﴿واصطبر عليها﴾** [طه: 132]. أما في قوله ـ تعالى ـ ﴿واصطبر لعبادته﴾، فقد تعدى الفعل ﴿اصطبر﴾ بـ «اللام»، على سبيل التضمين، أي: اثبت بالصبر على عبادته[3]. وقد تابع الزمخشري ـ كعادته ـ دلالة التضمين للفعل ﴿اصطبر﴾ ـ في النص الكريم ـ فقال (فإن قلت: هلا عدى ﴿اصطبر﴾ بـ «على» التي هي صلته كقوله ـ تعالى ـ: **﴿واصطبر عليها﴾** [طه: 132]. قلت: لأن العبادة جعلت بمنزلة القرن في قولك للمحارب: (اصطبر لقرنك)

---

(1) البحر المحيط ج 119/6، مغني اللبيب ج 685/2، البرهان في علوم القرآن ج 241/3.

(2) الكشاف ج 485/2، البحر المحيط ج 130/6.

(3) البحر المحيط ج 204/6، ينظر ـ أيضاً ـ حاشية الشهاب ج 171/6.

أي: اثبت له فيما يورد عليك من شداته، أريد أن العبادة تورد عليك شدائد ومشاق، فأثبت لها ولا تهن ولا يضيق صدرك عن إلقاء عداتك من أهل الكتاب إليك الأغاليط وعن احتباس الوحي عليك مدة وشماتة المشركين بك)[1].

سورة الأنبياء:

﴿عكف﴾: قال ـ عز وجل ـ ﴿**ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون**﴾ [الأنبياء: 52].

ذكر أهل اللغة[2] أكثر من وجه لاستعمال ﴿عكف﴾.

الأول: يعدى ﴿عكف﴾ بـ ﴿على﴾ كقوله ـ تعالى ـ: ﴿**يعكفون على أصنام لهم**﴾ [الأعراف: 138]. ولها قوله ـ عز وجل ـ: ﴿أنتم لها عاكفون﴾ بمعنى ﴿على﴾ كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿**وإن أسأتم فلها**﴾ [الإسراء: 7].

الثاني: أن «اللام» في قوله ـ تعالى ـ: ﴿أنتم لها عاكفون﴾، «لام» التعليل، لتعظيمها وصلة ﴿عاكفون﴾ محذوفة، أي: على عبادتها.

الثالث: ضمن ﴿عاكفون﴾ معنى «عابدون» فعداه بـ «اللام» وذهب الزمخشري إلى أنه (لم ينو لـ «العاكفين» مفعولاً، وأجراه مجرى ما لا يتعدى كقولك: فاعلون العكوف لها أو: واقفون لها. فإن قلت: هلا قيل: عليها عاكفون، كقوله ـ تعالى ـ: ﴿يعكفون **على** أصنام لهم﴾ قلت: لو قصد التعدية لعداه بصلته التي هي ﴿**على**﴾)[3] ويفهم من قول الزمخشري أن النص الكريم قصد تضمين ﴿عكف﴾ معنى «فاعلون» أو «واقفون» فلذلك عدي بـ «اللام».

---

(1) الكشاف ج 2/587.
(2) البحر المحيط ج 6/320.
(3) الكشاف ج 2/575.

﴿نجى﴾: قال ـ عز وجل ـ ﴿**ونجيناه ولوطاً إلى الأرض التي باركنا فيها**﴾ [الأنبياء: 77].

ضمن الفعل ﴿نجى﴾ معنى «أخرج»؛ أي: أخرجناه بنجاتنا من الأرض ولذلك عدي بـ ﴿إلى﴾. وقيل: يحتمل أن يكون ﴿إلى﴾ متعلقاً بمحذوف، أي: منتهياً إلى الأرض فيكون في موضع الحال[1].

﴿نصر﴾: قال ـ تعالى ـ ﴿**ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا**﴾ [الأنبياء: 77].

نقل عن أبـي عبيدة أن ﴿من﴾ في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ونصرناه من..﴾ بمعنى «على»[2] جاء في كتاب «إعراب القرآن» ـ المنسوب للزجاج ـ أن الفعل ﴿نصر﴾ جاء متعدياً بـ ﴿من﴾ لتضمنه معنى: نجيناه بنصرنا من القوم.. أو: عصمناه ومنعناه، أو جعلناه منتصراً من القوم.. أو كأنه ـ تعالى ـ قال: ﴿ونجيناه من القوم الذي كذبوا﴾[3] وذكر الزمخشري أن ﴿نصر﴾؛ مطاوعه «انتصر» و (سمعت هذلياً يدعو على سارق: اللهم انصرهم منه. أي: اجعلهم منتصرين منه)[4].

سورة الحج:

﴿تشرك﴾: قال ـ عز وجل ـ ﴿**ألا تشرك بـي شيئاً**﴾ [الحج: 26].

قال الزركشي: (ضمن ﴿لا تشرك﴾ معنى «لا تعدل»، والعدل: التسوية، أي: لا تسوى به شيئاً)[5].

---

(1) البحر المحيط ج 6/328 ـ 329.
(2) البحر المحيط ج 6/330.
(3) إعراب القرآن المنسوب للزجاج ج 2/617.
(4) الكشاف ج 2/578.
(5) البرهان في علوم القرآن ج 3/340.

سورة المؤمنين:

﴿حفظ﴾: قال ـ تعالى ـ ﴿والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم﴾ [المؤمنين: 5].

أشار الفراء إلى أن ﴿على﴾ بمعنى «من»، أي: إلا من أزواجهم وقد تستعمل «من» بمعنى ﴿على﴾[1] ونقل أبو حيان أن ابن مالك تابع الفراء فيما ذهب إليه[2]. وقيل: ضمن ﴿حافظون﴾ معنى «قاصرون» فعدى بـ ﴿على﴾ وقال الزمخشري: (﴿على أزواجهم﴾: في موضع الحال، أي: «الا والين على أزواجهم» أو «قوامين عليهن» من قولك: كان فلان على فلانة فمات عنها، ونظيره: كان زياد على البصرة، والمعنى هم لفروجهم حافظون في كل الأحوال إلا في حال تزوجهم أو تعلق ﴿على﴾ بمحذوف «يدل عليه» غير ملومين، كأنه قيل: يلامون إلا على أزواجهم. أي: يلامون على كل مباشر إلا على ما أطلق لهم فإنهم غير ملومين عليه، أو: تجعله صلة لحافظين من قولك: (احفظ على، عنان فرسي)، على تضمينه معنى النفي كما ضمن قولهم: نشدتك بالله ألا فعلت معنى: ما طلبت منك إلا فعلت)[3].

﴿مستكبر﴾: قال ـ تعالى ـ ﴿مستكبرين به سامراً تهجرون﴾ [المؤمنين: 67].

قال أبو حيان: (ضمن قوله ـ تعالى ـ: ﴿مستكبرين﴾ معنى «مكذبين» فعدي بـ «الباء» وقيل: «البّاء» تفيد السببية، أي: يحدث لكم بسبب استكباره وعتوه. أو: «الباء» تتعلق بـ ﴿سامراً﴾ أي: تسمرون بذكر القرآن والطعن فيه)[4]. وهذا القول قد أخذه من الزمخشري، في تفسيره «الكشاف» إذ

---

(1) معاني القرآن ج 2/231.
(2) البحر المحيط ج 6/396.
(3) الكشاف ج 3/26.
(4) البحر المحيط ج 6/412 ـ 413.

يقول: (ضمن ﴿مستكبرين﴾ معنى «مكذبين» فعدي تعديته. أو: يحدث لكم استماعه استكباراً وعتواً، فأنتم مستكبرون بسببه. أو: تتعلق «الباء» بـ ﴿سامراً﴾ أي: تسمرون بذكر القرآن والطعن فيه)[1].

سورة النور:

﴿تستأنس﴾: قال ـ عز وجل ـ **﴿لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا﴾** [النور: 27].

ذهب الزمخشري إلى أن في ﴿تستأنسوا﴾ وجهين:

أحدهما: أنه من «الاستئناس» من الظاهر الذي هو خلاف الاستيحاش، لأن الذي يطرق باب غيره لا يدري أيؤذن له أم لا؟ فهو كالمستوحش من خفاء الحال عليه، **فإذا أذن له استأنس** فالمعنى: **حتى يؤذن لكم**، كقوله ـ تعالى ـ: **﴿لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم﴾** [الأعراف: 53]. وهذا من باب الكناية والارداف، **لأن هذا النوع من الاستئناس يردف الاذن فوضع موضع الاذن**.

الثاني: أن يكون من الاستئناس الذي هو الاستعلام والاستكشاف استفعال من آنس الشيء إذا أبصره ظاهراً مكشوفاً، والمعنى: حتى تستعملوا وتستكشفوا الحال هل يراد دخولكم أم لا؟ ومنه قولهم: (استأنس هل ترى أحداً واستأنست فلم أر أحداً. . .)[2] ويفهم من قول الزمخشري في الوجه الأول (هذا النوع الاستئناس يردف معنى الإذن فوضع موضع الإذن) أن الفعل ﴿تستأنس﴾ قد ضمن معنى «تستأذن»، وبأسلوب التضمين حقق الفعل معنيين، كما حقق بلاغة الإيجاز.

---

(1) الكشاف ج 3/36.
(2) المصدر السابق ج 3/59.

﴿يخالف﴾: قال ـ عز وجل ـ ﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره﴾ [النور: 63].

الفعل «خالف» يتعدى بنفسه، تقول: خالفت أمر زيد ويتعدى بـ «إلى»، يقال: خالفه إلى الأمر: إذا ذهب إليه دونه، ومنه قوله ـ تعالى ـ: ﴿وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه﴾ [هود: 88]. و «خالفه عن الأمر»: إذا صد عنه دونه. وقد نقل عن أبي عبيدة والأخفش أن (﴿يخالفون﴾ ضمن معنى «يميلون» أو «يعرضون» أو «يعدلون»)[1] وقال ابن عطية أن معناه (يقع خلافهم بعد أمره، كما تقول: كان المطر عن ريح و ﴿عن﴾ هي لما عدى الشيء)[2] وذكر الزمخشري[3] أن معنى قوله ـ تعالى ـ: ﴿الذين يخالفون عن أمره﴾: الذين يصدون عن أمره دون المؤمنين، وهم المنافقون، محذوف المفعول، لأن الغرض ذكر المخالف والمخالف عنه. الضمير في ﴿أمره﴾ لله ـ سبحانه ـ أو للرسول ﷺ وذهب ابن الشجري[4] وتابعه العكبري[5] والزركشي[6] إلى أن (قولك: خالفت زيداً، غير مفتقر إلى التعدي بالجار، وإنما جاء محمولاً على: «ينحرفون عن أمره» أو «يروغون عن أمره» ويبدو أن هذه الآراء متفقة على:

1 ـ أن الفعل «خالف» يتعدى إلى المفعول به بنفسه.

2 ـ أن الفعل «خالف» ضمن معنى «يصد» أو «يعرض» أو «ينحرف» أو «يروغ» ولما ضمن هذا المعنى تعدى بـ ﴿عن﴾.

(1) البحر المحيط ج 6/477.
(2) المصدر السابق.
(3) الكشاف ج 3/79.
(4) البرهان في علوم القرآن ج 3/342.
(5) إملاء ما من به الرحمن ج 2/160.
(6) البرهان في علوم القرآن ج 3/342.

﴿يضرب﴾: قال ـ تعالى ـ ﴿وليضربن بخمرهن على جيوبهن﴾ [النور: 31].

قال أبو حيان (ضمن الفعل ﴿يضرب﴾ معنى: «يلقى»، و «يضع» فتعدى بـ «الباء» أي: وليقين بخمرهن... كما تقول: ضربت بيدي على الحائط، إذا وضعتها عليه)[1].

سورة النمل:

﴿جحد﴾: قال ـ تعالى ـ ﴿وجحدوا بها﴾ [النمل: 14].

ضمن السياق الكريم الفعل ﴿جحد﴾ معنى «كفر» فجاء متعدياً بنفسه. وذكر أهل اللغة أن الفعل ﴿جحد﴾ يتعدى في الأصل بنفسه[2] وقال الزمخشري: (جحده حقه، وبحقه، جحداً وجحوداً)[3] ولكني أرى من المفيد أن أقول؛ أن من الخصائص البلاغية التي تفردت بها العبارة القرآنية أن الفعل ﴿جحد﴾ ـ بتصريفاته (يجحد، يجحدون، جحدوا) قد جاء في جميع مواضعه[4] الواردة في القرآن الكريم متضمناً ـ أيضاً ـ معنى «كفر» فحقق دلالة

---

(1) البحر المحيط ج 6/448.

(2) البحر المحيط ج 5/335.

(3) أساس البلاغة (ج ح د) ص 108.

(4) وهي اثنا عشر موضعاً، وقد جاء ـ في أحد عشر موضعاً ـ متعدياً بالباء إلى لفظ (الآيات):

﴿وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم﴾ [هود: 59].

﴿وما يجحد بآياتنا إلا الكافرون﴾ [العنكبوت: 47].

﴿وما يجحد بآياتنا إلا كل ختار كفور﴾ [لقمان: 32].

﴿وما كانوا بآياتنا يجحدون﴾ [الأعراف: 51].

﴿كانوا بآيات الله يجحدون﴾ [غافر: 63].

﴿كانوا بآياتنا يجحدون﴾ [فصلت: 28].

=

الفعلين، وبلاغة الإيجاز في حذف أحدهما، فعدي بـ «الباء».

سورة القصص:

﴿تبدي﴾: قال - جل جلاله - ﴿ان كادت لتبدي به﴾ [القصص: 10].

ضمن الفعل ﴿تبدي﴾ معنى «تصرح» فعدي بـ «الباء» وقال الزركشي: (ضمن «تبدي به» معنى: تخبر به، ليفيد الإظهار معنى الإخبار، لأن الخبر قد يقع سراً غير ظاهر)[1].

﴿بطر﴾: قال - تعالى - ﴿وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها﴾ [القصص: 58].

عرض أهل اللغة[2] عدة وجوه في نصب ﴿معيشتها﴾.

الأول: أنه منصوب على التمييز عند نحاة الكوفة.

الثاني: أنه منصوب على إسقاط - أي: حذف - حرف الجر «في» وإيصال الفعل، كقوله - تعالى -: ﴿واختار موسى قومه سبعين رجلاً﴾ [الأعراف: 155]، وهذا رأي الأخفش.

= ﴿وجحدوا بها﴾ [النمل: 14].
﴿وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون﴾ [العنكبوت: 49].
﴿ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون﴾ [الأنعام: 33].
﴿أفبنعمة الله يجحدون﴾ [النحل: 71].
﴿وكانوا بآياتنا يجحدون﴾ [فصلت: 15].
﴿إذ كانوا يجحدون بآيات الله﴾ [الأحقاف: 26].

(1) البرهان في علوم القرآن ج 3/341.
(2) معاني القرآن وإعرابه - الزجاج ج 2/308، الكشاف ج 3/186، إملاء ما من به الرحمن ج 2/179، البحر المحيط ج 7/126.

الثالث: النصب على الظرفية بنفسها كقوله (زيد ظني مقيم) أو: بتقدير حذف الزمان المضاف، أصله: بطرت أيام معيشتها، كقولك: جئتك خفوق النجم، أو: مقام الحاج، وهذا رأي الزجاج.

الرابع: ﴿معيشتها﴾: مفعول به منصوب، للفعل ﴿بطر﴾ الذي جاء متعدياً لتضمنه معنى «كفرت وغمطت» وهذا الوجه اختاره كثير من نحاة البصرة وهو يبعدنا عن التكلف في التقدير أو التأويل، فضلاً عما يحققه أسلوب التضمين من قوة في دلالة السياق، ومن بلاغة في الإيجاز.

﴿فرض﴾: قال ـ عز وجل ـ **﴿إن الذي فرض عليك القرآن﴾** [القصص: 85].

فقد ضمن الفعل ﴿فرض﴾ معنى: «أنزل»[1] أو «أوجب» عليك تلاوته وتبليغه والعمل بما فيه بمعنى: أن الذي حملك صعوبة هذا التكليف لمثيبك عليه ثواباً لا يحيط به الوصف[2].

﴿فقير﴾: قال ـ تعالى ـ **﴿إني لما أنزلت إلى من خير فقير﴾** [القصص: 24].

ذكر الزمخشري[3]، وتابعه الزركشي، وأبو حيان[4] أن «فقير» (إنما عدى بـ «اللام») لأنه ضمن معنى (سائل) و (طالب).

﴿وكيل﴾ قال ـ جل شأنه ـ **﴿والله على ما نقول وكيل﴾** القصص/ 28.

ذهب أبو حيان إلى أن ﴿وكيل﴾ ضمن معنى «شاهد» فتعدى بـ ﴿على﴾[5].

---

(1) البرهان في علوم القرآن ج 3/341.
(2) الكشاف ج 3/193.
(3) المصدر السابق ج 3/171.
(4) البحر المحيط ج 7/114.
(5) المصدر السابق ج 7/116.

سورة لقمان:

﴿تشرك﴾ : قال - تعالى - ﴿لا تشرك بالله﴾ [لقمان: 13].

قال الزركشي (ضمن ﴿لا تشرك﴾ معنى «لا تعدل»، والعدل: التسوية أي: لا تسوى به شيئاً)[1].

سورة السجدة:

﴿يدبر﴾ : قال - عز وجل - ﴿يدبر الأمر من السماء إلى الأرض﴾ [السجدة: 5].

تأمل النص الكريم تجد أن السياق الكريم قد جعل ﴿إلى﴾ متعلقة بالفعل ﴿يدبر﴾ لتضمنه - أيضاً - معنى «ينزل» أي: كأن الفعل قد أفاد دلالة ﴿يدبر﴾ و «ينزل» جميعاً.

سورة الأحزاب:

﴿تخشى﴾ : قال - عز وجل - ﴿وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه﴾ [الأحزاب: 37].

ذهب بعض المفسرين إلى أن ﴿تخشى﴾ في النص الكريم بمعنى «تستحي» والمعنى: تستحي الناس، أو اطلاع الناس على أمر هو في نفسه مباح متسع وحلال مطلق لا مقال فيه ولا عيب عند الله. ومعنى ذلك أن السياق الكريم، ومقتضى المقام تطلب تضمين الفعل «الخشية» بدلالتها القريبة إلى الذهن، ودلالة «تستحي» فالنص الكريم يخاطب النبي (محمد) ﷺ (أي: تخفي خاشياً قالة الناس وتستحي الناس، حقيقاً في ذلك

---

(1) البرهان في علوم القرآن ج 240/3.

أن تخشى الله)[1].

﴿تظاهرون﴾: قال ـ تعالى ـ ﴿**وما جعل أزواجكم اللاتي تظاهرون منهن أمهاتكم**﴾ [الأحزاب: 4].

قال الزمخشري: (لما ضمن «تظاهر» معنى «التباعد» منها عدي بـ «من»)[2].

﴿فرض﴾: قال ـ عز وجل ـ ﴿**ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له...**﴾ [الأحزاب: 38].

فقد عدي الفعل ﴿فرض﴾ لأنه ضمن معنى أحل أي: فيما أحل الله له[3].

﴿تفعل﴾: قال ـ جل جلاله ـ ﴿**إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفاً**﴾ [الأحزاب: 6].

فقد اقتضى السياق الكريم أن (يعدي ﴿تفعلوا﴾ بـ ﴿إلى﴾ لأنه في معنى «تسدوا» و «تولوا»)[4].

سورة سبأ:

﴿فزع﴾: قال ـ تعالى ـ ﴿**حتى إذا فُزِّع عن قلوبهم**﴾ [سبأ: 23].

ضمن الفعل ﴿فُزّع﴾ معنى «كشف الفزع»، فعدي بـ ﴿عن﴾ أي: (كشف الفزع عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم بكلمة يتكلم بها رب العزة في إطلاق الإذن بالشفاعة...)[5].

---

(1) الكشاف ج 3/263.
(2) المصدر السابق ج 3/250.
(3) البرهان في علوم القرآن ج 3/341.
(4) الكشاف ج 3/251 ـ 252.
(5) المصدر السابق ج 3/288.

سورة فاطر:

﴿يمكر﴾: قال ـ تعالى ـ ﴿والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد﴾ [فاطر: 10].

قال الزمخشري: (فإن قلت «مكر» فعل غير متعد، لا يقال: مكر فلان عمله فبم نصب ﴿السيئات﴾؟ قلت: هذه صفة للمصدر، أو لما في حكمه، كقوله ـ تعالى ـ: ﴿ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله﴾ [فاطر: 43]. أصله: والذين مكروا المكرات السيئات، أو: أصناف المكر السيئات)(1) وذكر أبو حيان أن («مكر»: فعل لازم تضمن معنى «يكتسب» فنصب لفظ ﴿السيئات﴾ مفعولاً به، أي: يكتسبون السيئات)(2). ويبدو أن ما ذهب إليه أبو حيان أقرب إلى دلالة السياق الكريم، فضلاً عن أنه يبعد النص الكريم عن تكلف تقدير مصدر محذوف أو ما في حكمه.

سورة الصافات:

﴿يسمع﴾: قال ـ تعالى ـ ﴿لا يسمعون إلى الملأ الأعلى﴾ [الصفافات: 8].

أشار ابن هشام إلى أن قوله ـ عز وجل ـ: (ضمن معنى «لا يصغون»)(3).

سورة ص:

﴿أحب﴾: قال ـ عز وجل ـ ﴿إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي﴾ [ص: 32].

---

(1) المصدر السابق ج 3/303.

(2) البحر المحيط ج 7/304.

(3) مغني اللبيب ج 1/685.

أشار الفراء إلى أن ﴿حب الخير﴾؛ مفعول به، لأن ﴿أحببت﴾ ضمن معنى «آثرت»[1]. وقال الزمخشري[2] ـ وتابعه العكبري[3] وأبو حيان[4] (أحببت: مضمن معنى فعل يتعدى بـ ﴿عن﴾، كأنه قيل: أنبت حب الخير عن ذكر ربـي أو: جعلت حب الخير مجزياً أو مغنياً عن ذكر ربـي وذكر أبو الفتح الهمداني في كتاب التبيان أن أحببت بمعنى «لزمت» وليس بذلك). ويبدو أن هذه الآراء متفقة على أن ﴿أحببت﴾ مضمن معنى فعل يتعدى بـ «عن» أقربها إلى دلالة السياق ما ذكره الفراء.

﴿سؤال﴾: قال ـ تعالى ـ **﴿لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه﴾** [ص: 24].

ذهب الزمخشري إلى أن (السؤال: مصدر مضاف إلى المفعول، كقوله ـ تعالى: **﴿من دعاء الخير﴾** [فصلت: 49]. فقد ضمن معنى الإضافة فعدي تعديتها، كأنه قيل: بإضافة ﴿نعجتك إلى نعاجه﴾ على وجه السؤال والطلب)[5].

سورة الزمر:

﴿أسرف﴾: قال ـ عز وجل ـ **﴿يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم﴾** [الزمر: 53].

ضمن الفعل ﴿أسرفوا﴾ معنى «جنوا» فتعدى بـ ﴿على﴾.

﴿تلين﴾: قال ـ تعالى ـ **﴿ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله﴾** [الزمر: 23].

---

(1) معاني الفراء ج 2/405.
(2) الكشاف ج 3/373.
(3) إملاء ما من به الرحمن ج 2/210.
(4) البحر المحيط ج 7/396.
(5) الكشاف ج 3/370.

ذكر بعض اللغويين أن الفعل ﴿تلين﴾ ضمن معنى «تطمئن»[1].

سورة فصلت:

﴿استيقموا﴾: قال ـ عز وجل ـ: **﴿فاستقيموا إليه واستغفروه﴾** [فصلت: 6].

قال الزركشي: (ضمن الفعل ﴿استقيموا﴾ معنى «التوجه»، لذلك عدي بـ «إلى»، أي: وجهوا استقامتكم إليه فأنيبوا إليه وارجعوا إلى توحيده، وقيل: ضمن معنى: فاذهبوا)[2]. أو: (فاستووا إليه بالتوحيد وإخلاص العبادة...)[3].

﴿يلحدون﴾: قال ـ جل جلاله ـ **﴿إن الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا﴾** [فصلت: 40].

قيل: إن قوله ـ تعالى ـ: ﴿يلحدون﴾ ضمن معنى: «يكذبون» أو «يميلون عن الحق» وتستوقفنا عبارة الزمخشري، فهي أقرب إلى دلالة السياق. يقول الزمخشري: (يقال: ألحد الحافر ولحد؛ إذا مال عن الاستقامة فحفر في شق **فاستعير للانحراف في تأويل آيات القرآن عن جهة الصحة والاستقامة**)[4].

﴿يقبل﴾: قال ـ عز وجل ـ **﴿وهو الذي يقبل التوبة عن عباده﴾** [الشورى: 25].

---

(1) البحر المحيط ج 7/423.
(2) البرهان في علوم القرآن ج 3/342. ينظر ـ أيضاً ـ البحر المحيط ج 7/484.
(3) الكشاف ج 3/443.
(4) المصدر السابق ج 3/455.

ذكر الزركشي أن (الفعل ﴿يقبل﴾ ضمن معنى «العفو والصفح»)[1] فعدي إلى المفعول الثاني بـ ﴿عن﴾ وذهب بعض علماء اللغة إلى أنه: (يقال: قبلت منه الشيء، وقبلته عنه فمعنى: قبلته منه: أخذته منه وجعلته مبدأ قبولي ومنشأه ومعنى: قبلته عنه: عزلته عنه، وأبنته عنه)[2].

سورة الأحقاف:

﴿أصلح﴾: قال ـ تعالى ـ **﴿وأصلح لي في ذريتي﴾** [الأحقاف: 15].

قال الزمخشري: (فإن قلت ما معنى ﴿في﴾ في قوله: ﴿وأصلح لي في ذريتي﴾ قلت: معناه. أن يجعل ذريته موقعاً للصلاح ومظنة له. كأنه قال: هب لي الصلاح في ذريتي وأوقعه فيهم)[3] ويفهم من قول الزمخشري أن السياق الكريم آثر وقوع ﴿في﴾ في تركيب الآية الكريمة، لأن الفعل ﴿أصلح﴾ ضمن معنى «هب لي الصلاح» أو: ألطف بي في ذريتي[4] واعلم أن الفعل ﴿أصلح﴾ يتعدى بنفسه، كقوله ـ تعالى ـ: **﴿وأصلحنا له زوجه﴾** [الأنبياء: 90].

سورة الفتح:

﴿أظفر﴾: قال ـ تعالى ـ **﴿وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم﴾** [الفتح: 24].

ذهب ابن الشجري إلى أن (الجاري على ألسنتهم؛ «ظفرت به،

---

(1) البرهان في علوم القرآن ج 3/342.
(2) الكشاف ج 3/468. ينظر ـ أيضاً ـ البحر المحيط ج 7/484.
(3) المصدر السابق ج 3/521.
(4) إملاء ما من به الرحمن ج 2/134، البحر المحيط ج 8/61.

وأظفرني الله به»، ولكن جاء ﴿أظفركم عليها﴾ محمولاً على: «أطهركم عليها»...)[1].

سورة النجم:

﴿ينطق﴾: قال ـ تعالى ـ ﴿وما ينطق عن الهوى﴾ [النجم: 3].

أي: (وما أتاكم به من القرآن ليس بمنطق يصدر عن هواه ورأيه، وإنما هو وحي من عند الله يوحى إليه)[2] فكأن الفعل ﴿ينطق﴾ قد ضمن معنى: **وما يصدر نطقه عن الهوى**.

سورة القمر:

﴿تماروا﴾: قال ـ عز وجل ـ ﴿فتماروا بالنذر﴾ [القمر: 36].

ضمن ﴿تماروا﴾ معنى «كذبوا» فعدي بـ «الباء» أي (فكذبوا ﴿بالنذر﴾ متشاكين)[3].

سورة الواقعة:

﴿مسبوقين﴾: قال ـ تعالى ـ ﴿وما نحن بمسبوقين، على أن نبدل أمثالكم﴾ [الواقعة: 60 ـ 61].

ضمن قوله ـ تعالى ـ: ﴿مسبوقين﴾ معنى «مغلوبين» فعدي بـ ﴿على﴾، لأنه لا يقال: سبقه على كذا، إلا مضمناً. وقولك: (سبقت عليه): بمعنى:

---

(1) الأمالي الشجرية ج 148/1.
(2) الكشاف ج 28/4.
(3) المصدر السابق ج 40/4.

غلبت[1]. ومعنى النص الكريم: (أنا قادرون على ذلك لا تغلبوننا عليه)[2].

سورة المجادلة:

﴿يظاهر﴾: قال ـ تعالى ـ **﴿الذين يظاهرون منكم من نسائهم﴾** [المجادلة: 2]. **﴿والذين يظاهرون من نسائهم. . .﴾** [المجادلة: 3].

قال الزمخشري (معنى، ظاهر من امرأته: قال لها أنت علي كظهر أمي. . .

فإن قلت: فما وجه تعديته بـ ﴿من﴾؟ قلت: كان الظهار طلاقاً عند أهل الجاهلية، فكانوا يتجنبون المرأة الظاهر منها كما يتجنبون المطلقة، فكان قولهم: (تظاهر منها): تباعد منها بجبهة الظهار، وتظهر منها؛ تحرز منها، وظاهر منها: حاذر منها. . . فلما ضمن «ظاهر» معنى «تباعد» منها عدي بـ ﴿من﴾)[3] وفي ﴿منكم﴾: توبيخ وتهجين لعادتهم في الظهار لأنه كان من أيمان أهل جاهليتهم خاصة دون سائر الأمم)[4].

سورة الممتحنة:

﴿تسقطوا﴾: قال ـ تعالى ـ **﴿ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم﴾** [الممتحنة: 8].

ضمن ﴿تسقطوا﴾ معنى «تفضوا» فعدي بـ «إلى» أي: (تفضوا إليهم بالقسط. . .)[5].

---

(1) أساس البلاغة (س ب ق) ص 430.
(2) الكشاف ج 4/56.
(3) المصدر السابق ج 3/250.
(4) الكشاف ج 4/70.
(5) الكشاف ج 4/92.

سورة المنافقين:

﴿تسمع﴾: قال- جل جلاله -﴿وأن يقولوا تسمع لقولهم﴾ [المنافقين: 4].

قال أبو حيان: (ضمن ﴿تسمع﴾ معنى «تصغي» و«تميل» فعدي بـ «اللام»)(1).

سورة الطلاق:

﴿عتت﴾: قال - عز وجل - ﴿وكأين من قرية عتت عن أمر ربها﴾ [الطلاق: 8].

العتو: تجاوز الحد في الكبر، و(تعديته بـ ﴿عن﴾ لتضمينه معنى «الإعراض»)(2) أي: (أعرضت عن أمر ربها على وجه العتو والعناد)(3).

سورة القلم:

﴿راغب﴾: قال - تعالى - ﴿إنا إلى ربنا راغبون﴾ [القلم: 32].

ضمن ﴿راغبون﴾ معنى «راجعون» فعدي بـ ﴿إلى﴾ أي: راجعون إلى ربنا (طالبون منه الخير راجون لعفوه)(4).

﴿أغدوا﴾: قال - تعالى - ﴿فتنادوا مصبحين * أن اغدوا على حرثكم إن كنتم صارمين﴾ [القلم: 21 - 22].

قال الزمخشري: (فإن قلت: هلا قيل: (اغدوا إلى حرثكم)؟ وما معنى

---

(1) البحر المحيط ج 8/272.
(2) التحرير والتنوير ج 8/226.
(3) الكشاف ج 4/123.
(4) المصدر السابق ج 4/145.

﴿على﴾؟ قلت: لما كان الغدو إليه ليصرموه ويقطعوه كان غدواً عليه كما تقول (غدا عليهم العدو) ويجوز أن يضمن «الغدو» معنى «الإقبال»، كقولهم: يغدي عليه بالجفنة ويراح: أي: فأقبلوا على حرثكم باكرين)[1] و «غدا» ـ في الأصل ـ يتعدى بـ «إلى»: يقال: أغدو إليه أي: (أتردد إليه بالغدوات والعشيات.. واغدو عني: بمعنى: اذهب)[2] وذهب أبو حيان إلى أن (تعدية «غدا» بـ «إلى» تحتاج إلى نقل بحيث يكثر ذلك فيصير أصلاً فيه، ويتأول ما خالفه، والذي في حفظي أنه يتعدى بـ ﴿على﴾)[3] وقد ورد «غدو» ـ في ثلاثة مواضع من القرآن الكريم ـ، جاء في موضعين متعدياً بـ ﴿على﴾: ﴿**فنادوا مصبحين * أن اغدوا على حرثكم**﴾ [القلم: 22]. ﴿**وغدوا على حرد قادرين**﴾ [القلم: 25]. وقد ضمن الفعل ـ في الموضعين ـ معنى «أقبل».

أما الموضع الثالث فقد جاء الفعل فيه متعدياً بـ «من» وذلك في قوله ـ تعالى ـ: ﴿**وإن غدوت من أهلك**﴾ [آل عمران: 121]. فـ ﴿من﴾ ـ هنا ـ لابتداء الغاية ـ المكانية أي: اذكر ـ يا محمد ﷺ «إذا غدوت من أهلك» بالمدينة إلى أحد.

سورة الحاقة:

﴿**هلك**﴾: قال ـ تعالى ـ ﴿**هلك عني سلطانية**﴾ [الحاقة: 29].

ضمن ﴿**هلك**﴾ معنى: ضل. قال ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ (ضلت عني حجتي، ومعناه: بطلت حجتي التي كنت أحتج بها في الدنيا)[4] وقيل:

(1) الكشاف ج 4/144.
(2) أساس البلاغة (غ د و) ص 673.
(3) البحر المحيط ج 8/312.
(4) الكشاف ج 4/153.

ضمن ﴿هلك﴾ معنى «زال» و «ذهب»، أي: زال - أو: ذهب - (ملكي وتسلطي على الناس وبقيت فقيراً ذليلا)[1].

سورة النازعات:

﴿هل لك﴾: قال - عز وجل - ﴿**هل لك إلى أن تزكى**﴾ [النازعات: 18].

فإن (الأصل أن يقال: هل لك في كذا)[2] ولكن السياق الكريم عدل عن «في» إلى الحرف ﴿إلى﴾ لتضمينه معنى: (أدعوك)، أي: أدعوك إلى أن تزكى. قال ابن جني: (معنى قوله - تعالى -: ﴿هل لك إلى أن تزكى﴾: أدعوك وأرشدك إلى أن تزكى)[3] أما الزمخشري فيرى أن التركيبين متقاربان في الدلالة، فتقول: (هل لك في كذا وهل لك إلى كذا، كما تقول: هل ترغب فيه؟ وهل ترغب إليه؟ و ﴿إلى أن تزكى﴾: إلى أن تتطهر من الشرك)[4].

سورة المرسلات:

﴿أقتت﴾: قال - تعالى - ﴿**وإذا الرسل أقتت**﴾[المرسلات: 11].

يجوز أن يكون الفعل ﴿أقتت﴾ قد ضمن معنى: جمعت لوقت. ومعنى توقيت الرسل: (تبين وقتها الذي يحضرون فيه للشهادة على أممهم)[5].

سورة المطففين:

﴿اكتالوا﴾: قال - جل جلاله - ﴿**الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون**﴾ [المطففين: 2].

---

(1) المصدر السابق.
(2) البرهان في علوم القرآن ج 3/239.
(3) الخصائص ج 2/310.
(4) الكشاف ج 4/213.
(5) الكشاف ج 4/203.

قال الفراء: («من» و ﴿على﴾ يعتقبان في هذا الموضع لأنه حق عليه؛ فإذا قال: (اكتلت عليك) فكأنه قال: (أخذت ما عليك) وإذا قال: (اكتلت منك) فكقوله: (استوفيت منك)[1] أما الزمخشري، فيفسر لنا السر البلاغي لتعدية (اكتالوا) بـ ﴿على﴾ فيقول: (لما كان اكتيالهم من الناس اكتيالاً يضرهم ويتحامل فيه عليهم أبدل ﴿على﴾ مكان «من» للدلالة على ذلك)[2]. ويفهم من كلامه أن ﴿اكتالوا﴾: (ضمن معنى «تحاملوا» فعداه بـ ﴿على﴾ والأصل فيه «من»)[3]. وأجاز الزمخشري ـ أيضاً ـ وجهاً آخر هو (أن يتعلق ﴿على﴾ بـ ﴿يستوفون﴾ ويقدم المفعول على الفعل لإفادة الخصوصية: أي يستوفون على الناس خاصة فأما أنفسهم فيستوفون لها)[4].

---

(1) معاني القرآن ج 3/246.
(2) الكشاف ج 4/230.
(3) البرهان في علوم القرآن ج 3/342.
(4) الكشاف ج 4/230.

النمط الثاني:

الأفعال المتعدية إلى مفعولين بأسلوب التضمين

سورة البقرة:

﴿جعل﴾: قال ـ تعالى ـ ﴿الذي جعل لكم الأرض فراشا﴾ [البقرة: 22].

ورد الفعل ﴿جعل﴾ في عدة مواضع من القرآن الكريم، متضمناً معنى «صير» فجاء متعدياً إلى مفعولين، كما في النص الكريم. فـ ﴿الأرض﴾ مفعول أول، و ﴿فراشاً﴾ مفعول ثان(1).

سورة آل عمران:

﴿يكفروه﴾: قال ـ عز وجل ـ ﴿وما يفعلوا من خير فلن يكفروه﴾ [آل عمران: 115].

قال الشيخ ابن عاشور (عدي ﴿يكفروه﴾: ـ هنا ـ إلى مفعولين؛ أحدهما: نائب الفاعل، لأن الفعل ضمن معنى الحرمان، والضمير المنصوب عائد إلى ﴿خير﴾ بتأويل «خير» بجزاء فعل الخير)(2).

---

(1) إعراب القرآن المنسوب للزجاج ج 2/406.

(2) التحرير والتنوير ج 4/59.

سورة النساء:

﴿**يظلم**﴾: قال ـ جل جلاله ـ ﴿**أن الله لا يظلم مثقال ذرة**﴾ [النساء: 40].

ذكر بعض علماء اللغة أن (مفعول ﴿يظلم﴾ محذوف، أي أحداً، و ﴿مثقال﴾ مصدر، وقيل: ضمن ﴿يظلم﴾ معنى ما ينصب مفعولين؛ أي: لا ينتقص أحداً مثقال ذرة، وهو متعد إلى مفعولين)[1].

سورة الأنعام:

﴿**مكن**﴾: قال ـ عز وجل ـ ﴿**ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم**﴾ [الأنعام: 6].

أجاز العكبري أن يكون قوله ـ تعالى ـ: ﴿ما لم نمكن﴾ مفعولاً به ثانياً على تضمين الفعل معنى «أعطيناهم»[2].

سورة الأعراف:

﴿**بدل**﴾: قال ـ تعالى ـ ﴿**ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة**﴾ [الأعراف: 95].

قال أبو حيان (ضمن ﴿بدلنا﴾ معنى «أعطينا»، فعدي إلى مفعولين ﴿مكان﴾ و ﴿الحسنة﴾، أي: أعطيناهم مكان الحسنة السيئة. ولا حاجة لحذف المفعول به الأول)[3].

والتبديل ـ في الأصل ـ: التعويض، فحقه أن يتعدى إلى المفعول الثاني بـ «الباء» المفيدة معنى البداية، ويكون ذلك المفعول الثاني المدخول للباء هو المتروك، والمفعول الأول هو المأخوذ، كما في قوله ـ تعالى ـ:

---

(1) البحر المحيط ج 3/251، إملاء ما من به الرحمن ج 1/180.

(2) إملاء ما من به الرحمن ج 1/235.

(3) البحر المحيط ج 4/347.

﴿قال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير﴾ [البقرة: 61]. وقوله: ﴿ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب﴾ [النساء: 2].

سورة يوسف:

﴿نرفع﴾: قال ـ تعالى ـ ﴿نرفع درجات من نشاء﴾ [يوسف: 76].

أجاز بعض اللغويين أن تعرب ﴿درجات﴾ مفعولاً ثانياً و (يحتاج هذا القول إلى تضمين ﴿نرفع﴾ معنى ما يعدى إلى اثنين، أي: نعطي من نشاء درجات)[1].

سورة السجدة:

﴿أحسن﴾: قال ـ جل جلاله ـ ﴿الذي أحسن كل شيء خلقه﴾ [السجدة: 7].

ذكرت جماعة من المفسرين والنحاة أنه (يجوز أن يكون ﴿خلقه﴾ مفعولاً ثانياً لـ ﴿أحسن﴾ على تضمينه معنى «أعطى»)[2].

سورة الدخان:

﴿زوج﴾: قال ـ تعالى ـ ﴿وزوجناهم بحور عين﴾ [الدخان: 54]، [الطور: 20].

الفعل ﴿زوج﴾ يتعدى إلى المفعولين بنفسه ﴿فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها﴾ [الأحزاب: 37]. وعدي إلى المفعول الثاني في قوله: ﴿وزوجناهم بحور عين﴾ لتضمينه معنى «قرناهم».

---

(1) البحر المحيط ج 5/172.
(2) ينظر ـ مشكل إعراب القرآن ج 2/187 تفسير القرطبي ج 14/9. إملاء ما من به الرحمن ج 2/189.

سورة الأحقاف:

﴿وصى﴾: قال ـ تعالى ـ ﴿ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا﴾ [الأحقاف: 15].

ذكر الزمخشري أن ﴿وصى﴾ حكمه حكم ﴿أمر﴾ في معناه وتصرفه، يقال: (وصيت زيداً بأن يفعل خيرا) كما تقول: (أمرته بأن يفعل)... ومنه قوله ـ تعالى ـ: ﴿ووصى بها إبراهيم بنيه﴾ [البقرة: 132]. أي: وصاهم بكلمة التوحيد وأمرهم بها وكذلك معنى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وصينا الإنسان بوالديه حسناً﴾ وصيناه بإيتاء والديه حسناً، أو: بإيلاء والديه حسناً: أي فعلاً ذا حسن، أو ما هو في ذاته حسن، لفرط حسنه، كقوله ـ تعالى ـ: ﴿وقولوا للناس حسناً﴾ [البقرة: 83]. وقرىء ﴿حسناً﴾ و﴿إحسانا﴾[1](*). ويفهم من كلام الزمخشري أنه يجوز أن يضمن ﴿وصى﴾ معنى «أمر»، فيتعدى إلى المفعول الأول بنفسه، وإلى المفعول الثاني بـ «الباء» وأجاز ـ أيضاً ـ (أن تجعل ﴿حسناً﴾ من باب قولك: زيداً، بإضمار «اضرب» إذا رأيته متهيئاً للضرب فتنصبه بإضمار أولهما، أو: افعل بهما، لأن التوصية به دالة عليه وما بعده مطابق له كأنه قال: قلنا أولهما معروفاً)[2].

أما أبو حيان فيرى أن (﴿وصينا﴾ ضمن معنى «ألزمنا»، فتعدى لاثنين، الثاني: ﴿إحساناً﴾)[3] وفي موضع آخر من «البحر المحيط» ذهب أبو حيان إلى أن («أوصاه» و «وصاه» بمعنى واحد، إلا أن المشدد «وصاه» يدل على المبالغة والتكثير).

---

(1) الكشاف ج 3/198.

(*) ﴿حسناً﴾ [الأحقاف: 14] (رواية قالون عن نافع).
﴿إحساناً﴾ [الأحقاف: 15] (رواية حفص عن عاصم).

(2) المصدر السابق ج 3/198.

(3) البحر المحيط ج 8/60.

سورة الجن:

﴿يسلكه﴾: قال - عز وجل - **﴿ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذاباً صعداً﴾** أي: يدخله ربه **﴿عذاباً﴾**.

ذكر الزمخشري أن (الأصل: «يسلكه في عذاب» كقوله - تعالى -: **﴿ما سلككم في سقر﴾** [المدثر: 42]. فعدي إلى مفعولين: إما بحذف الجار وإيصال الفعل كقوله: **﴿واختار موسى قومه﴾** [الأعراف: 155]. وأما بتضمينه معنى «ندخله» يقال: (سلكه) و (أسلكه) و (الصعد) مصدر «صعد» فوصف به العذاب لأنه يتصعد المعذب: أي يعلوه ويغلبه فلا يطيقه)[1].

---

(1) الكشاف ج 170/4.

النمط الثالث:

ما يقرب من التضمين في: إيقاع فعل موقع آخر

ويضم هذا النمط صورتين:

الصورة الأولى: (إيقاع «الظن» موقع «اليقين» في الأمور المحققة):

نقل الزركشي أن ابن عطية (اشترط في ذلك ألا يكون متعلقه حسياً، كما تقول العرب في رجل يرى حاضراً: (أظن هذا إنساناً) وإنما يستعمل ذلك فيما لم يخرج إلى الحس بعد[1] (ولا بد لنا ـ في البداية ـ من معرفة الفرق المعنوي بين «الظن» و «اليقين»، يقول الراغب الأصفهاني (الظن: إصابة المطلوب بضرب من الأمارة متردد بين يقين وشك، فيقرب تارة من طرف اليقين وتارة من طرف الشك)[2].

ويفهم من كلام الراغب أن قرينة السياق هي التي تفصح عن دلالة «الظن»، على اليقين أو على الشك فـ (متى رئي إلى طرف اليقين أقرب استعمل معه «أن» المثقلة والمخففة فيهما، كقوله ـ تعالى ـ: ﴿**الذين يظنون أنهم ملاقـو الله**﴾ [البقرة: 249]. ﴿**وظنوا أنهم واقع بهم**﴾ [الأعراف: 171]. ومتى رئي إلى الشك أقرب استعمل معه «أن» التي للمعلومين من الفعل

---

(1) البرهان في علوم القرآن ج 3/ 344 ـ 345.

(2) مفردات غريب القرآن ص 317.

نحو ظننت أن يخرج)[1]. وصفوة القول، إن السياق، وما تتضمنه البنية النصية من قرائن «لفظية أو معنوية» يكشف المقصود بـ «الظن».

ومن أمثلة هذه الصورة «إيقاع الظن» موقع «اليقين»، قوله ـ تعالى ـ ﴿**واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين * الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم وأنهم إليهم راجعون**﴾ [البقرة: 45 ـ 46]. فمعنى قوله ـ تعالى ـ: ﴿**الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم**﴾(يتوقعون لقاءه ـ تعالى ـ ونيل ما عنده من المثوبات... أو: يتيقنون أنهم يحشرون إليه للجزاء فيعملون على حسب ذلك رغبة ورهبة...)[2] فمعنى ﴿**يظنون**﴾ ـ هنا ـ «يتيقنون» يؤيده أن في مصحف «ابن مسعود» ـ رضي الله عنه ـ «يعلمون» يقول أبو السعود العمادي: (وما كان الظن لما شابه العلم في الرجحان أطلق عليه لتضمين معنى التوقع قال: «فأرسلته مستيقن الظن أنه...» وجعل خبر «أن» ـ في الموضعين ـ اسماً للدلالة على تحقيق اللقاء وتقررهما عندهم)[3].

وقال أهل اللغة إنما استعمل «الظن» بمعنى «العلم» في قوله ـ تعالى ـ: ﴿**الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم**﴾لأمرين:

أحدهما: للتنبيه على أن علم أكثر الناس في الدنيا بالنسبة إلى علمهم في الآخرة، كالظن في جنب العلم.

الثاني: أن العلم الحقيقي في الدنيا لا يكاد يحصل إلا للنبيين والصديقين المعنيين بقوله: ﴿**الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا**﴾ [الحجرات: 15].

ومن أمثلة هذه الصورة قوله: ﴿**وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه**﴾

---

(1) البرهان في علوم القرآن ج 3/345.
(2) الكشاف ج 1/278.
(3) تفسير أبـي السعود العمادي ج 1/98.

[التوبة: 118] أي (علموا «أن لا ملجأ من» سخط «الله إلا» إلى استغفاره)[1] ونحو قوله - عز وجل - ﴿**ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها**﴾ [الكهف: 53].

ذكر أهل التفسير أن معنى قوله: ﴿**فظنوا**﴾: فأيقنوا. . .)[2] ومثله - أيضاً - قوله - تعالى -: ﴿**وظن داود إنما فتناه**﴾ [ص: 24]. فالظن (مستعار للعلم الاستدلالي لما بينهما من المشابهة الظاهرة، أي علم بما جرى. . .)[3] ومثله - أيضاً - قوله - تعالى -: ﴿**وظنوا ما لهم من محيص**﴾ [فصلت: 48].

أما قوله - تعالى -: ﴿**ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم**﴾ [المطففين: 4 - 5]. (فقد جوز ابن جني أن يكون المراد «الظن» هو «اليقين» أو: أن تكون على بابها) والوجه الثاني - أي - أن تكون على بابها - أقوى في المعنى، أي: (ألا يظن أولئك الموصوفون بذلك الوصف الشنيع الهائل أنهم مبعوثون)[4] ﴿**ليوم عظيم**﴾ أي: (لو توهم البعث والنشور وما هناك من عظيم الأمر وشدته لاجتنب المعاصي فكيف عند تحقق الأمر! وهذا أبلغ)[1].

الصورة الثانية: إيقاع «العلم» موقع «الظن» أو «الاعتقاد».

إن بين «الظن» و «العلم» قدراً مشتركاً وهو «الرجحان». المراد بـ «العلم» - في هذه الصورة - هو (الاعتقاد الراجح المستفاد من سند قطعياً كان أو ظنياً)[5] نحو قوله - تعالى -: ﴿**ارجعوا إلى أبيكم فقولوا يا أبانا إن ابنك سرق وما شهدنا إلا بما علمنا**﴾ [يوسف: 81]. أي (وما شهدنا إلا

---

(1) البرهان في علوم القرآن ج 3/345.
(2) الكشاف ج 2/218.
(3) المصدر ج 2/489. تفسير أبي السعود ج 5/228.
(4) تفسير أبي السعود ج 9/125.
(5) تفسير أبي السعود ج 5/171.

بقدر ما علمنا من التسريق)[1] فما ندري (أن حقيقة الأمر كما شاهدنا أم بخلافه)[2] بمعنى: (لم يكن ذلك علماً جازماً بل اعتقاداً ظنياً)[3].

ومثله ـ أيضاً ـ قوله ـ عز وجل ـ ﴿**ولا تقف ما ليس لك به علم**﴾ [الإسراء: 36]. يعني (ولا تكن في اتباعك ما لا علم لك به من قول أو فعل كمن يتبع مسلكاً لا يدري أنه يوصله إلى مقصده فهو ضال)[4] فالمراد بالعلم ـ هنا ـ هو (الاعتقاد الراجح المستفاد من سند قطعياً كان أو ظنياً، واستعماله بهذا المعنى مما لا ينكر شيوعه)[5].

واقرأ قوله ـ تعالى ـ ﴿**فإن علمتموهن مؤمنات**﴾ [الممتحنة: 10]. أي (العلم الذي تبلغه طاقتكم، وهو الظن الغالب بالحلف وظهور الأمارات)[6].

وأرى من المفيد أن أقول إن المقصود بـ «العلم» ـ في هذه الصورة ـ هو: الظن الغالب، أو الاعتقاد الراجح، وتسميته علماً للإيذان بأنه جار مجرى العلم في وجوب العمل به ـ والله أعلم ـ.

بعد هذه الدراسة التطبيقية «الاستقرائية» لأسلوب التضمين في القرآن الكريم أرى من المفيد أن نؤكد ما يأتي:

أولاً: أن أسلوب التضمين إثراءً للغة العربية، لأنه يفتح مجالات واسعة للتعبير، ويمنح التراكيب قدّرة أكبر على تجسيد المعاني بما يناسب المقام الذي جاءت من أجله.

---

(1) الكشاف ج 2/337.
(2) تفسير أبـي السعود ج 4/300.
(3) البرهان في علوم القرآن ج 3/346.
(4) الكشاف ج 2/449.
(5) تفسير أبـي السعود ج 5/171.
(6) الكشاف ج 4/92.

ثانياً: أسلوب التضمين ميدان تطبيقي تلتقي في ساحته علوم اللغة العربية جميعاً ومنها علم النحو لفهم علاقات البنية النصية، بعضها ببعض وأثر هذه العلاقات في معاني النحو. وعلم البلاغة إذ يجسد «أسلوب التضمين» فنّي الإيجاز والمجاز كذلك علم الدلالة وعلم الأسلوب، لأن السياق هو القرنية الدالة. والمميزة للمعاني الظاهرة «أو السطحية أو القريبة»، والمعاني العميقة «الثانية» التي يقصدها المتحدث، فيستقبلها المتلقي متأملاً متدبراً لغرض فهم المقصود من العبارة.

أهم مصادر البحث ومراجعه

القـرآن الكريـم:

- الإتقان في علوم القرآن (السيوطي) ـ تحقيق/ محمد أبـي الفضل إبراهيم ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ 1974.
- الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة (محمد بن علي الجرجاني) ـ تحقيق/ د. عبد القادر حسين ـ دار نهضة مصر/ القاهرة.
- الإيضاح (الخطيب القزويني) ـ مطبعة صبيح/ القاهرة ـ 1971.
- البحر المحيط (أبو حيان الأندلسي) ـ ط (1) ـ مطبعة السعادة/ مصر ـ 1328هـ.
- البرهان في علوم القرآن (بدر الدين الزركشي) ـ تحقيق/ محمد أبـي الفضل إبراهيم ـ ط (2) ـ مطبعة البابـي الحلبـي.
- تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد (ابن مالك) ـ تحقيق/ محمد كامل بركات دار الكتاب العربـي للطباعة والنشر ـ 1968م.
- تفسير أبـي السعود، المسمى (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم) ـ لأبـي السعود العماري ـ دار إحياء التراث العربـي ـ بيروت/ لبنان.
- خزانة الأدب ولب لباب العرب ـ (عبد القادر البغدادي) ـ ط (1) ـ المطبعة الأميرية، بولاق/ مصر ـ 1299هـ.
- الخصائص (ابن جني) ـ تحقيق/ محمد علي النجار ـ دار الهدى ـ بيروت/ لبنان.

- دراسات لأسلوب القرآن الكريم ـ محمد عبد الخالق عضيمة ـ دار الحديث ـ القاهرة.
- شروح التلخيص (التفتازاني وغيره) ـ مطبعة الحلبي ـ مصر ـ 1937م.
- الطراز (المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز) تأليف: يحيى بن حمزة العلوي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت/ لبنان.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل (أبو القاسم الزمخشري) ـ مطبعة البابي الحلبي ـ 1966م.
- المثل السائر (ضياء الدين ابن الأثير) تحقيق/ أحمد الحوفي، د. بدوي طبانة ـ مكتبة النهضة/ مصر.
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب (ابن هشام الأنصاري) ـ تحقيق/ محيي الدين عبد الحميد ـ القاهرة.
- مفتاح العلوم (أبو يعقوب السكاكي) ـ تحقيق/ د. أكرم عثمان يوسف ـ مطبعة الرسالة ـ بغداد ـ 1982.
- نقد الشعر (قدامة بن جعفر) ـ تحقيق/ كمال الدين مصطفى ـ مطبعة السعادة/ القاهرة ـ 1963.
- نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز (فخر الدين الرازي) ـ مطبعة الآداب ـ القاهرة ـ 1317هـ.

الفصل الثاني

الالتفات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المقدمة:

بحث أهل اللغة أسلوب الالتفات، وتنوعت صور هذا البحث؛ فقد اكتفى بعضهم مثل أبـي عبيدة (ت 208هـ) وابن قتيبة (ت 276هـ) والمبرد (ت 285هـ) بالإشارة إلى بعض تراكيب الالتفات، وذكروا شاهداً قرآنياً واحداً أو شاهدين اثنين.

وأفردت جماعة منهم، ابن المعتز (ت 296هـ) وقدامة بن جعفر (ت 337هـ) وابن وهب (ت 372هـ) وأسامة بن منقذ (ت 584هـ) والرازي (ت 606هـ) والسكاكي (ت 626هـ) وغيرهم ـ للالتفات مبحثاً خاصاً في مؤلفاتهم اللغوية وما استقر حال هذا الفن البلاغي الرفيع في كتبهم، فقد نجده مرة في باب «علم المعاني» وثانية في باب «علم البيان» وثالثة في باب «علم البديع».

ولما كان الالتفات ضرباً من فنون البلاغة «له أسلوبه وجماله، فليس من الدقة أن يبقى متردداً فيكون في علم المعاني» إذا اقتضى المقام فائدته، ويكون في علم البديع إذا أريد به الطرافة.

وإنما يفرد له باب كما فعل ابن الأثير الذي لم ينظر هذه النظرة الجامدة)[1].

(1) أساليب بلاغية/ د. أحمد مطلوب ـ وكالة المطبوعات ـ الكويت ـ 1979 ـ ص274.

وإذا توقفنا عند جهود البلاغيين المتأخرين والمحدثين وجدنا هذا الفن البلاغي قد أصبح ذا شعب كثيرة تحدث عنها السكاكي في «مفتاح العلوم».

أما ابن الأثير (ت 737هـ) فقد عده بعض البلاغيين، من أجل من بحث في هذا الفن، ولم يتجاوز القزويني (ت739هـ) والعلوي (ت749هـ) وغيرهما عما توصل إليه ابن الأثير.

أما الزركشي (ت 794هـ) فقد ابتكر أنماطاً جديدة لهذا الفن البلاغي ـ وأضاف شواهد قرآنية جديدة، عرضها في حديثه عن «الالتفات».

ومن الدارسين المعاصرين تناول/ د. أحمد مطلوب موضوع الالتفات في فصل مستقل في أكثر من مؤلف بلاغي[1].

وكتب الأستاذ جليل رشيد فالح دراسة في «فن الالتفات في مباحث البلاغيين» نشر في مجلة آداب المستنصرية[2].

كذلك قدم الأستاذ قاسم فتحي سليمان مبحثاً في «فن الالتفات في البلاغة العربية»[3] ولعل من المفيد ـ هنا ـ أن نقول ما يأتي:

أولاً: لم يفرد أحد من هؤلاء اللغويين ـ القدامى والمحدثين ـ مؤلفاً يتناول فيه هذا الفن البلاغي الأصيل، بالدراسة والتحليل واستقراء تراكيبه وأنماطه وأغراضه في النصوص الأدبية الشعرية والنثرية.

إنما اكتفى أغلب اللاحقين بنقل ما عرضه السابقون، من آراء

---

(1) المصدر السابق ص 276 وما بعدها.
ينظر أيضاً ـ معجم المصطلحات البلاغية/ د. أحمد مطلوب ـ مطبعة المجمع العلمي العراقي ـ 1983.

(2) مجلة آداب المستنصرية ـ ص 294/ العدد التاسع ـ سنة 1984 ـ ص 63 ـ 97.

(3) «فن الالتفات في البلاغة العربية» ـ رسالة ماجستير ـ قدمها/ قاسم فتحي سليمان إلى كلية الآداب ـ جامعة الموصل ـ 1988.

وإشارات، واقتبسوا الشواهد القرآنية، والشعرية ـ نفسها ـ.

ثانياً: إن هذه الظاهرة البلاغية «الالتفات» التي عدها بعض علماء العربية؛ «من شجاعة العربية» تتطلب من الدارسين التدبر والتأمل والإمعان والتحليل.

ثالثاً: كثرة مواضع هذا الفن في الإعجاز المبين، بأنماط متعددة، وألوان مختلفة، وأغراض بلاغية وأسلوبية متنوعة.

وأعترف لك أيها القارىء العزيز ـ أَنَّ هذه الإشارات ـ وغيرها ـ كانت من الأسباب التي دفعت بي إلى دراسة هذا الفن البلاغي الأصيل، متوخياً المنهج الآتي:

1 ـ استقراء مواضع أسلوب الالتفات في القرآن الكريم، وتقسيم هذه المواضع على أنماط متعددة، وتقسيم كل نمط على صور متنوعة.

2 ـ عرض نماذج من الشواهد القرآنية الكريمة في كل نمط وفي كل صورة لمتابعة الدلالات البلاغية والأسلوبية المتنوعة.

3 ـ الكشف عن أنماط جديدة، متتبعاً إشارات بعض البلاغيين القدامى مستنيراً بكتب التفسير وفي مقدمتها تفسير «الكشاف» للزمخشري (ت528هـ). محاولاً متابعة تراكيبها ودلالاتها في كل مواضع ورودها في القرآن الكريم.

وقد قسمت هذه الدراسة إلى «مدخل إلى أسلوب الالتفات».

وأربعة مباحث في «تراكيب الالتفات، ودلالاته»: وهي:

المبحث الأول: الالتفات الضميري.

المبحث الثاني: الالتفات العددي.

المبحث الثالث: أساليب أخرى من الالتفات، ذكرها بعض البلاغيين.

المبحث الرابع: أساليب جديدة من فن الالتفات.

أولاً: مدخل إلى «أسلوب الالتفات»

ويتضمن هذا المدخل مسألتين:

المسألة الأولى: «مفهوم الالتفات في اللغة وفي الاستعمال».

أولاً ـ الالتفات في اللغة:

«الالتفات مأخوف من؛ التفت التفاتاً، «والتلفت» أكثر منه، وتلفت إلى الشيء، التفت إليه؛ صرف وجهه إليه.

ويقال لفت فلاناً عن رأيه، أي صرفته عنه، ومنها «الالتفات»[1] وقد وردت لفظة «الالتفات» في موضعين من القرآن الكريم:

الموضع الأول: قوله ـ تعالى ـ ﴿**لا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك**﴾ [هود: 81] فـ «الالتفات» هنا ـ بمعنى: (التخلف)[2] أي (لا يتخلف أو لا ينظر إلى ورائه)[3] ففي النص الكريم أمر بترك الالتفات لئلا يرى عظيم ما ينزل بقومهم من العذاب فيرقوا لهم وقيل: (من لفت الشيء يلفته إذا أثناه

(1) لسان العرب ـ ابن منظور جمال الدين بن مكرم الأنصاري ـ دار صادر ـ بيروت ـ 1955 ـ مادة «لفت».

(2) الكشاف ـ أبو القاسم جار الله محمود بن عمران الزمخشري ـ دار إحياء التراث ـ بيروت ـ ج 4/284.

(3) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ـ أبو السعود العمادي ـ دار إحياء التراث ـ بيروت ـ ج 4/229.

ولواه)[1].

ذكر ابن فارس (ت 395هـ) أن («اللام والفاء والتاء» كلمة واحدة تدل على اللّي، وصرف الشيء عن جهته المستقيمة، من لفت الشيء: لويته، ولفت فلاناً عن رأيه؛ صرفته، ومنه الالتفات وهو أن تعدل بوجهك)[2].

الموضع الثاني: قوله ـ تعالى ـ **﴿قالوا أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا﴾** [يونس: 78]. قال الفراء (ت 207هـ): (اللفت؛ الصرف، تقول ما لفتك عن فلان؟ أي ما صرفك عنه)[3].

وإلى مثل هذه الدلالة أشار الزمخشري، فذكر أن معنى قوله ـ تعالى ـ **﴿لتلفتنا﴾**؛ (لتصرفنا واللفت والفتل أخوان ومطاوعهما الالتفات والانفتال)[4].

وقد أشار ابن الأثير إلى أن دلالة «الالتفات»؛ مأخوذة عن التفات الإنسان عن يمينه وعن شماله، وهو يقبل بوجهه تارة كذا وتارة كذا...[5] ويفهم من كلام المفسرين واللغويين أن معنى «الالتفات»: العدول أو الصرف. وأن الالتفات في الكلام معناه الانصراف عنه إلى غيره.

---

(1) البحر المحيط ـ أبو حيان الأندلسي ـ مطبعة السعادة ـ مصر ـ 1939 ـ ج 5/249.
(2) معجم مقاييس اللغة ـ أبو الحسين أحمد بن فارس ـ تحقيق/ عبد السلام هارون ـ مطبعة الحلبي ـ مصر ـ 1970م ـ ط (2) ـ ج 5/258.
(3) معاني القرآن ـ أبو زكريا الفراء ـ تحقيق/ أحمد يوسف نجاتي ـ محمد علي النجار ـ دار الكتاب المصرية ـ 1955 ـ ج 1/411.
(4) الكشاف ج 2/247.
(5) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ـ ابن الأثير ـ تحقيق/ محمد محيي الدين عبد المجيد ـ مطبعة الحلبي ـ القاهرة ـ 1979 ـ ج 2/170.

ثانياً ـ الالتفات في الاستعمال

الالتفات من الفنون البلاغية العريقة في اللغة العربية، ويبدو أن عالم اللغة المعروف، الأصمعي (/ ت 216هـ) «أول من سماه التفاتاً»[1]. وقد أشار اللغويون القدامى إلى هذا الفن البلاغي الأصيل؛ فقد أبو عبيدة إلى هذا الفن في مؤلفه «مجاز القرآن»[2]، وأدخله في مؤلف آخر في «باب مخالفة ظاهر اللفظ معناه ومنه من يخاطب الشاهد بشيء، ثم تجعل الخطاب له بلفظ (الغائب)[3].

وأشار المبرد في «الكامل» إلى معنى الالتفات بقوله: (والعرب تترك مخاطبة الغائب إلى مخاطبة الشاهد، ومخاطبة الشاهد إلى مخاطبة الغائب)[4].

وعـده ابن المعتز من فنون البديع (وجعله على نوعين نوع ينصرف فيه المتكلم عن المخاطبة إلى الإخبار، وعن الإخبار إلى المخاطبة)[5] وسماه ابن وهب «الصرف»[6]، أما قدامة بن جعفر فقد جعله من نعوت المعاني[7].

---

(1) بنظر كتاب الصناعتين ـ أبو هلال العسكري (ت 395هـ) ـ تحقيق/ علي محمد البجاوي ومحمد أبـي الفضل إبراهيم ـ مطبعة الحلبـي ـ ط (1) ـ 1952 ـ ص392.

(2) مجاز القرآن ـ أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت 208هـ) ـ تحقيق/ فؤاد سزكين ـ دار الفكر ـ ط (2) ـ 1970 ـ ج 3/91.

(3) تأويل مشكل القرآن ـ ابن قتيبة (ت 276هـ) ـ تحقيق/ سيد أحمد صقر ـ دار إحياء الكتاب ـ ط (1) ـ مصر 1954 ـ ص 86.

(4) الكامل في اللغة والأدب ـ أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (ت 285هـ) ـ تحقيق/ محمد أبـي الفضل إبراهيم.

(5) البديع عبد الله بن المعتز (ت 296) ـ تحقيق/ أغناطيوس كراتيشفوفيكي ـ مطبعة المثنى ـ بغداد ـ 1967 ـ ص 85.

(6) البرهان في وجوه البيان ـ أبو الحسين إسحاق بن وهب (ت 327هـ) ـ تحقيق/ د. خديجة الحديثي ـ / د. أحمد مطلوب ـ ط (1) ـ 1967 ـ ص 152.

(7) نقد الشعر ـ قدامة بن جعفر (ت 337) ـ تحقيق/ كمال مصطفى ـ مكتبة المثنى ـ بغداد ـ ط (2) ـ 1963 ـ ص 197.

وقال عنه ابن رشيق أنه («الاعتراض» عند قوم وسماه آخرون «الاستدراك»)[1] وذكر أسامة بن منقذ أنه «الانصراف»)[2].

واستعمل الثعلبي[3] وتابعه القرطبي[4] مصطلح «التلوين» مرادفاً لمفهوم الالتفات، وقد تابع البلاغيون المتأخرون والمحدثون أهل اللغة القدامى في حديثهم عن الالتفات وبنيته النصية المتعددة وأساليبه المتنوعة.

فقد ذكر الرازي[5] وابن الزملكاني[6] وغيرهما أَنَّ الالتفات هو؛ «العدول عن الغيبة إلى الخطاب أَو على العكس» ووصفه السكاكي بـ «قِرى الأَرواح»، وتناوله في باب «علم المعاني» وأَلمح إليه في «علم البديع»[7]، ويفهم من الشواهد التي وقف عندها أَنّه يعد مخالفة مقتضى الظاهر «التفاتاً» أَمّا ابن الأَثير الذي عدّه أبو حيّان من أَجلّ علماء اللغة كلاماً في الالتفات[8]

---

(1) العمدة في محاسن الشعر وأدبه ونقده ـ ابن رشيق القيرواني (ت 463هـ) ـ ط (1) ـ 1967.

(2) البديع في نقد الشعر ـ أسامة بن منقذ (ت 584هـ) ـ / د. أحمد بدوي، وحامد عبد الحميد ـ مطبعة الحلبي ـ القاهرة ـ 1960 ـ ص 200.

(3) البرهان في علوم القرآن ـ بدر الدين الزركشي (ت 794هـ) ـ تحقيق/ محمد أبي الفضل إبراهيم ـ مطبعة الحلبي ـ مصر ـ 1972 ـ ج 2/240.

(4) الجامع لأحكام القرآن ـ القرطبي (ت 672هـ) ـ دار الكتاب العربي ـ القاهرة ـ 1967 ـ ج 1/195.

(5) نهاية الإيجاز في دراية الإيجاز ـ فخر الدين الرازي (ت 606هـ) ـ تحقيق/ د. إبراهيم السامرائي ـ د. محمد بركات حمدي ـ دار الفكر ـ عَمّان ـ الأردن ـ 1985 ـ ص 122.

(6) التبيان في علم البيان ـ ابن الزملكاني (ت 651هـ) ـ تحقيق/ أحمد مطلوب. د. خديجة الحديثي ـ مطبعة العاني ـ بغداد ـ ط (1) ـ 1964 ـ ص 173.

(7) مفتاح العلوم ـ أبو يعقوب بن أبي بكر السكاكي (ت 626هـ) ـ تحقيق/ أكرم عثمان ـ دار الرسالة بغداد ـ ط (1) ـ 1982 ـ ص 95.

(8) البحر المحيط ج 1/24.

فقد وصف الإلتفات بـ «شجاعة العربية»[1] [*] وهذا الوصف قد سبقه إليه ابن جنّي[2] وعرض القزويني[3] وشرّاح التلخيص[4] هذا الفن البلاغي في باب «علم المعاني»، وعَدَّ العلوي «الالتفات من أجلّ علوم البلاغة»[5].

ولعلّ من المفيد أن نشير هنا إلى أَنَّ البلاغيين المتأخرين لم يضيفوا إلى ما عرضه ابن الأثير إلاّ الشروح والتعليقات.

وأَنَّ مصطلحات «الانصراف» و «العدول» و «التلوين» كلها تفيد معنى «الالتفات» أما تسميته «التفاتاً» فهي تسمية أَدبية تشبيهاً «لانتقال الكلام من تعبير إلى آخر بانتقال النظر من ذاتٍ إلى أُخرى»[6].

والعرب يستكثرون من «الالتفات»، ويرون الكلام «إذا انتقل من أسلوب إلى أسلوب، أدخل في القلوب عند السامع، وأحسن نظرية لنشاطه وأملاً باستدرار إصغائه»[7] بمعنى أَنَّ هذا الفن البلاغي موجود في الأَدب

---

(1) المثل السائر ج 2/171.

(*) ذكر د. محمد أبو موسى أَنَّ «تفسير الشجاعة ـ هنا ـ بإقدام اللغة العربية على طريق من التعبير لم تقدم عليه غيرها من اللغات، فيه شيء من المجازفة» ينظر/ خصائص التركيب ـ ط (2) ـ مكتبة وهبة ـ مصر ـ ص 194.

(2) الخصائص ـ أبو الفتح ابن جنيّ (ت 392هـ) ـ تحقيق/ محمد علي النجار ـ مطبعة دار الهدى ـ بيروت ـ ج 2/360.

(3) الإيضاح في علوم البلاغة ـ الخطيب القزويني (ت 739هـ) دار الكتب العلمية ـ ط (1) ـ لبنان ـ 1985 ـ ص 57.

(4) شروح التلخيص ـ سعد الدين التفتازاني، والسبكي، والمغربي ـ مطبعة الحلبي ـ مصر ـ 1937 ـ ج 1/458.

(5) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقّائق الإعجاز ـ يحيى بن حمزة العلوي (ت 749 هـ) ـ مراجعة وضبط وتدقيق جماعة من العلماء ـ دار الكتب العلمية ـ ج 131/2.

(6) التحرير والتنوير ـ الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ـ دار الكتب الشرقية ـ تونس ـ 1956 ـ ص 119.

(7) أنوار الربيع في أنواع البديع ـ صدر الدين بن معصوم (ت 1120هـ) ـ تحقيق/ شاكر=

العربي، شعره ونثره، وقد ورد في القرآن الكريم من غير تعمد، وبدون تكلّف وتصنّع.

المسألة الثانية: «مفهوم الالتفات في جهود البلاغيين».

أرى من المفيد أن أجمل الحديث في هذه المسألة، في الملاحظات الآتية:

الملاحظة الأولى:

إن المتأمل للجهد البلاغي ـ في تحديد مفهوم الالتفات ـ يجد أن أهل البلاغة لم يتفقوا على تحديد مفهوم البنية النصية للالتفات؛ فقد فسر الزركشي إشارة ابن المعتز ـ وهي أن (الالتفات: هو الانتقال أو الانصراف عن معنى يكون فيه إلى معنى آخر)[1] ـ أنها تعني (تعقيب الكلام بجملة مستقلة ملاقية له في المعنى على طريق المثل أو الدعاء)[2].

فالأول: كقوله ـ تعالى ـ **﴿وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا﴾** [الإسراء: 81].

والثانية: كقوله ـ تعالى ـ **﴿ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم﴾** [التوبة: 127].

وذكر جمهور البلاغيين أن شرط الالتفات أن يكون في جملتين، أي: كلامين مستقلين وقد أشار الزمخشري إلى هذا الشرط في «الكشاف»[3].

ورد بعضهم هذا الشرط مستندين إلى السياق القرآني الكريم، فقد وقع في القرآن مواضع للالتفات في كلام متصل وإن لم يكن بين جزأي الجملة[4]؛

= مهدي شاكر مطبعة النعمان ـ النجف ـ العراق ـ ط (1) ـ 1968 ـ ج 1/ 392.

(1) البديع ص 58.

(2) البرهان في علوم القرآن ج 3/ 335.

(3) الكشاف ج 1/ 62 ـ 63 ينظر ـ أيضاً ـ هامش الكشاف.

(4) الإتقان في علوم القرآن ج 3/ 257.

كقوله تعالى: ﴿وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولاً يتلو عليهم آياتنا﴾ [القصص: 59].

وقوله ـ عز وجل ـ ﴿فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاءً موفوراً﴾ [الإسراء: 63].

وقوله ـ تبارك وتعالى ـ ﴿سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله﴾ [آل عمران: 151]. وذكر السكاكي (أن الالتفات يتحقق في جملة واحدة)[1].

ومعنى ذلك «أن أسلوب الالتفات عند جمهور البلاغيين التفات عند السكاكي وليس العكس».

الملاحظة الثانية:

اشترط كثير من البلاغيين في الالتفات، أن يكون التعبير الثاني على خلاف ما يقتضيه الظاهر ويترقبه السامع وأن يكون الضمير في المنتقل إليه عائداً في الأمر نفسه إلى المنتقل عنه، وإلا يلزم عليه أن يكون في قولك: (أنت صديقي) التفاتاً[2] بمعنى أنهم يقصرون الالتفات على الاختلاف بين لفظين يعودان إلى ضمير واحد.

أما ابن الأثير فكان أقرب إلى فهم الواقع اللغوي ـ المنظوم والمنثور ـ وأكثر استقراء واستقصاء لبنيته النصية، إذ أخرجها من الحدود الضيقة ـ التي وضعوها ـ إلى أفق أرحب، فذكر (أن أهل البلاغة من العرب دأبهم الالتفات يستكثرون منه، وما ذلك إلا لأنهم يرون الانتقال من أسلوب إلى أسلوب أدخل في القبول عند السامع وأكثر لنشاطه وأعظم في إصغائه وإذا كانوا يستحسنون قرى الأضياف وهو دأبهم أفلا يستحسنون نشاط الأفئدة وملاءمة

(1) مفتاح العلوم ص 400.
(2) البرهان ج 3/325.

القلوب بالمخالفة بين أسلوب وأسلوب)[1].

فالالتفات: هو عدول من أسلوب في الكلام إلى آخر مخالف له[2].

ويفهم من كلام ابن الأثير، أنه لا يشترط في أسلوب الالتفات أن يكون الملتفت إليه هو الملتفت عنه نفسه.

ويبدو أن التجاوز عن الشرط يوسع أفاق الوظيفة الفنية للبنية النصية لأسلوب الالتفات، وبذلك يحقق الدرس البلاغي مجالاً رحباً لهذا النص ويبعده عن ضيق الحصر والتحديد.

ولعل ما يطمئن إلى دقة هذا الاختيار وصوابه؛ أننا نجد بعض البلاغيين قد أضاف فروعاً أخرى لهذا الفن الأصيل، من هؤلاء البلاغيين السبكي (ت 773هـ)، فقد أضاف فن «التجديد» إلى «الالتفات»[3] ومن الباحثين المعاصرين ذهب/ د. حفني محمد شرف إلى أن (الاعتراض) و (الاستدراك) و (التكميل) وهي من فنون البديع عند جمهور البلاغيين ـ من أساليب الالتفات بانتقال المتكلم من صيغة إلى أخرى، أو من معنى إلى آخر»[4] وأضاف غيره (حسن التعليل)[5] ويبدو ـ أيضاً ـ أن تعدد المفردات الدالة على معنى «الالتفات» في جهـود البلاغيين مثل «الصرف» و«الانصراف» و«العدول» و«التلوين» وغيرها.

يدل على أن فن «الالتفات» ظاهرة أسلوبية لها صفة الشمول والتوسع.

وأنه فن تتعدد مسالكه وأساليبه، وتتنوع أنماطه، بحسب ألوان دلالته، ومقتضى مقامه.

---

(1) المثل السائر ج 2/141.
(2) الطراز ج 2/12.
(3) فروع التلخيص ج 1/472 ـ 474.
(4) التصوير البياني ص 340.
(5) فن الالتفات في البلاغة العربية ص 164.

الملاحظـة الثالثـة:

إذا تدبرنا أحاديث علماء البلاغة في «الوجه الذي لأجله دخل التفات في الكلم» وجدناه تتلخص في ثلاثة أقوال:

القول الأول: عول عليه ابن الأثير، وخلاصته؛ أنه لا يختص بضابط يجمعه، ولكنه يكون على حسب مواقعه في البلاغة وموارده في الخطاب...

إلاَّ أَن الناظر إنما يعرف حسن مواقع الالتفات إذا نظر في كل موضع يكون فيه التفات، فيعرف قدر بلاغته بالإضافة إلى ذلك الموقع بعينه، فإما أن يكون مضبوطاً بضابط واحد فلا وجه له)[1].

القول الثاني: نقله ابن الأثير ـ أيضاً[2] ـ (عن بعض من خاض في علوم البيان وخلاصته أن ذلك ـ أي أسلوب الالتفات ـ من عادة العرب وأساليبها في الكلام).

وذكر العلوي أن ابن الأثير قد (زيف هذه المقالة وقال هذا التعليل، وهو مثل عكاز العميان)[3].

القول الثالث: محكي عن الزمخشري، وحاصله هو:

إن ورد الالتفات إنما يكون إيقاظاً للسامع عن الغفلة وتطريباً له بنقله من خطاب إلى خطاب آخر، فإن السامع ربما مل من أسلوب فينقله إلى أسلوب آخر تنشيطاً له في الاستماع واستحالة له في الإصغاء إلى ما يقوله[4].

ورد ابن الأثير كلام الزمخشري بوجهين:

---

(1) المثل السائر ج 2/171.

(2) المصدر السابق.

(3) الطراز ج 2/133.

(4) الكشاف ج 1/62.

أحدهم: أن الزمخشري قال: (إنما جاز الالتفات من أجل التنشيط)[1].

فذكر ابن الأثير أن الكلام (لو كان فصيحاً لم يكن مملولاً)[2].

وعد العلوي رد ابن الأثير على قول الزمخشري: (خطأ وجهل بمقاصد البلاغة، فإن هذا لا يزيل فصاحة الكلام ولا ينقص من بلاغته، فإنه لو ترك فيه الالتفات فإنه باقي على الفصاحة، ولكن الغرض هو أن خروجه من أسلوب الخطاب إلى الغيبة يزيد في البلاغة ويحسنها ويكون الخطاب مع ما ذكرناه أوقع وأكشف عن المراد وأرفع)[3].

الثاني: قول الزمخشري (إنما يوجد ـ أي الالتفات في الكلام المطول)[4].

رده ابن الأثير بأن (الالتفات كما يستعمل في الطويل فهو يستعمل في القصير)[5].

وذكر العلوي أن رد ابن الأثير «فاسد أيضاً»؛ فإن الزمخشري لم يشترط التطويل في حسن الالتفات فينقض بما ذكرته.

وإنما أراد تحصيل الإيقاظ وازدياد النشاط بذكر الالتفات وهذا حاصل في الكلام سواء كان طويلاً أو قصيراً)[6].

ويبدو أن ما ذكره الزمخشري قول سديد يشير إلى مقاصد البلاغة يؤيده الاستقراء اللغوي لمواضع البنية النصية في النصوص الأدبية الرفيعة.

---

(1) الكشاف ج 1/62 ـ 64.
(2) المثل السائر ج 2/172.
(3) الطراز ج 2/134.
(4) المثال السائر ج 2/173.
(5) المصدر السابق.
(6) الطراز ج 2/135.

المبحث الأوّل ـ «الالتفات الضميري»

يضم هذا المبحث «ستة» أنماط ـ ذكرها جمهور البلاغيين وبعض اللغويين والمفسرين يقوم الالتفات فيها على الانتقال أو العدول بين ضمائر الغيبة والتكلم والخطاب.

النمط الأول ـ «الالتفات من الغيبة إلى الخطاب»:

ورد مثل هذا النمط في مواضع كثيرة من القرآن الكريم.

ومنها قوله ـ تعالى ـ: ﴿**الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم * مٰلك يوم الدين * إياك نعبد وإياك نستعين**﴾ [الفاتحة: 1 ـ 4].

فقد عدل القول الكريم مِنْ ضمير الغيبة في قوله ـ تعالى ـ: ﴿الحمد لله﴾ إلى ضمير الخطاب في قوله: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾.

وقد حقق هذا العدول في السياق الكريم أكثر من غرض بلاغي وأسلوبي ودلالي؛ منها:

(أ) ذكر ابن الأثير (أنَّ الحمد دون العبادة، فلما صار إلى العبادة التي هي أخص الطاعات قال ـ عز وجل ـ: ﴿إياك نعبد﴾ فخاطب بالعبادة إصراحاً بها وتقرباً منه بالانتهاء إلى محدود منها)[1] وقد سبق ابن جني ابن الأثير في

---

(1) المثل السائر ج 2/ 175.

الإشارة إلى هذا الغرض البلاغي الذي حققه الالتفات في السياق الكريم، دون أن يصرح باسم «الالتفات».

يقول ابن جني: (إن للحمد معنى دون العبادة، الاتراك قد تحمد نظيرك ولا تعبده لأن العبادة غاية الطاعة والتقرب بها هو النهاية والغاية.

فلما كان ذلك استعمل لفظ «الحمد» لتوسطه مع الغيبة، فقال (الحمد لله) ولم يقل (لك) ولما صار إلى العبادة التي هي أقصى أمر الطاعة، فقال: ﴿إياك نعبد﴾ مخاطباً بالعبادة إصراحاً بها وتقرباً منه عزَّ اسمه)[1].

(ب) يرى الزمخشري أنه ـ تعالى ـ (لما ذكر الحقيق بالحمد وأجرى عليه تلك الصفات العظام تعلق العلم بمعلوم عظيم الشأن حقيق بالثناء، وغاية الخضوع والاستعانة في المهمات فخوطب ذلك المعلوم المتميز بتلك الصفات.

وقيل: إياك يا من هذه صفاته، تخص بالعبادة والاستعانة، لا نعبد غيرك ولا نستعينه، ليكون الخطاب أدل على أن العبادة له لذلك التمييز الذي لا تحق العبادة إلاَّ به)[2].

بمعنى أن (العبد إذا ذكر الله تعالى ـ وحده ثم ذكر صفاته التي كل صفة منها تبعث على شدة الإقبال وآخرها ﴿مالك يوم الدين﴾.

أي أنه مالك للأمر كله في يوم الجزاء، يجد من نفسه حاملاً لا يقدر على دفعه على خطاب من هذه صفاته بتخصيصه بعناية الخضوع والاستعانة في المهمات)[3].

---

(1) المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات ـ ابن جني (ت 392 هـ) ـ تحقيق/ عبد الحليم النجار ـ وعبد الفتاح إسماعيل شلبي ـ القاهرة ـ 1386هـ ـ ج 1/146.
(2) الكشاف ج 1/64.
(3) إعجاز القرآن ـ السيوطي (ت 911هـ) ـ تحقيق/ سيد أحمد صقر ـ دار المعارف =

فكأنه قيل: إياك يا من هذه صفاته تخص بالعبادة والاستعانة، أنت وحدك لا أحد غيرك.

(ج) إن أسلوب الخطاب أخص من أسلوب الغيبة، والعبادة أخص من الحمد والثناء الإنسان - كما قلنا سابقاً - يحمد نظيره ولا يعبده، فاستعمل الأسلوب الأخص في ذكر الفعل الأخص.

ويمكننا أن نتلمس ما في السياق الكريم من تلطف على بلوغ المقصود، وهذا لا يكون في لفظ «إياه»، بدلاً من قوله - تعالى - ﴿إياك﴾ الذي حقق أيضاً توطئة للدعاء في قوله - تعالى - ﴿اهدنا﴾.

وقد (تبدل خفاء الغيبة بجلاء الحضور، فاستدعى استعمال صيغة الخطاب)[1].

ولا يخفى ما حققه الالتفات في السياق الكريم من أثر نفسي يبرز في تصاعد الإحساس بالجلال حتى تخلص النفس في مراحل عروجها من شؤونها الأرضية فتشابه الحق، وتعلن هناك غاية العبودية.

فالعدول من الغيبة إلى الخطاب أدل على الخضوع والضراعة وشدة الرغبة، ومسيس الحاجة، فضلاً عن أن (الآيات الكريمة قد تضمنت الأوصاف الكمالية؛ إذ ذكرها شيئاً فشيئاً يحرك الذهن ويملؤه شوقاً ويهزه للتوجه إلى الموصوف)[2].

وقد ذهب بعض البلاغيين إلى أن في السورة الكريمة نفسها «الفاتحة» التفاتاً آخر فقد انتقل السياق الكريم في أول السورة من الغيبة إلى الخطاب

= - 1963 - ج 1/381 ينظر - أيضاً - أنوار الربيع في أنواع البديع - ج 1/363.

(1) إرشاد العقل السليم «تفسير أبـي السعود العمادي» ج 1/16.

(2) إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز - بديع الزمان سعيد النورسي (ت 951م) - تحقيق/ إحسان قاسم الصالحي - ط (1) - 1989 - دار الأنباء - بغداد - ص 38.

لتعظيم شأن المخاطب ـ وقد تحدثنا عن ذلك ـ ثم انتقل في آخر السورة من الخطاب إلى قوله ـ تعالى ـ: ﴿صراط الذين أنعمت عليهم﴾ [الفاتحة: 6].

فصرح بالخطاب لما ذكر النعمة، ثم انتقل إلى الغيبة، فقال ـ تعالى ـ: ﴿غير المغضوب عليهم﴾ [الفاتحة: 7].

عطفاً على الأول، لأن الأول موضوع التقرب من الله بذكر نعمه، فلما صار إلى ذكر الغضب جاء باللفظ منحرفاً عن ذكر الغاضب، فأسند النعمة إليه لفظاً، وروي عنه لفظ الغضب، تحنناً ولطفاً[1].

فأنت تلحظ ما أضاف الالتفات إلى السياق الكريم، من تعظيم شأن المخاطب ولأن مخاطبة ربنا ـ تبارك وتعالى ـ بإسناد النعمة إليه تعظيم لخطابه) بمعنى أنه ـ تعالى ـ قال: ﴿أنعمت عليهم﴾ (مصرحاً بذكر المنعم وإسناد الإنعام إليه لفظاً، فلم يقل: (المنعم عليهم) فلما صار إلى ذكر الغضب جاء باللفظ منحرفاً عن ذكر الغاضب، فلم يقل: (غير الذين غضبت عليهم) تفادياً عن نسب الغضب إليه في اللفظ حال المواجهة)[2].

ثم ألا نفهم من ورود هذا الفن البلاغي الرفيع في أول سورة في القرآن الكريم «فاتحة الكتاب» ما يؤكد أهمية هذا الفن وأَصالته؟.

ومن شواهد هذا النمط ـ الالتفات من الغائب إلى المخاطبة ـ قوله ـ تعالى ـ: ﴿وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ثم إليَّ مرجعكم﴾ [آل عمران: 55].

ففي النص الكريم إخبار بالحشر والنعت، وفي سياقه التفات، لأنه (سبق ذكر مكذبيه، وهم اليهود وذكر من آمن به، وهم «الحواريون» وأعقب

---

(1) المثل السائر ج 2/175.
(2) إعجاز القرآن ج 1/382.

ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا﴾ [آل عمران: 55] فذكر متبعيه والكافرين.

ولو جاء على نمط هذا السياق لكان التركيب؛ (ثم إليّ مرجعهم) لكن القول الكريم انتقل من الغيبة في قوله ـ تعالى ـ: ﴿الذين كفروا﴾ إلى خطاب الجميع، في قوله ـ عز وجل ـ: ﴿ثم إليّ مرجعكم﴾؛ (ليكون الإخبار أبلغ في التهديد وأشد زجراً لمن ينزجر)[1].

تأمل النص الكريم تجد أن سياقه الكريم ـ المتضمن هذا الالتفات ـ قد راعى جانباً نفسياً عظيماً، بتغليبه (المخاطب: ﴿مرجعكم﴾) على الغائب: ﴿الذين كفروا﴾ لأنه أبلغ في الإنذار ومثل قوله ـ عز وجل ـ: ﴿**الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك هم الخاسرون * كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون**﴾ [البقرة: 27 ـ 28].

أنعم النظر في النص الكريم لتتبين ما حققته البنية النصية للالتفات من الغيبة إلى الخطاب (حكى عنهم أولاً ثم خاطبهم) ليكشف السياق عن نكتة بلاغية، هي: أنه إذا ذكرت مساوىء شخص شيئاً فشيئاً تزيد الحدة عليه إلى أن ينجلي المتكلم إلى المشافهة والمخاطبة معه.

وكذا إذا ذكرت محاسن أحد درجة درجة يتقوى ميل المكالمة معه إلى أن يلجأ إلى التوجه إليه فلنزول القرآن على أسلوب العرب، التفت فقال: ﴿كيف تكفرون﴾ مخاطباً لهم[2].

ومن هذا النمط ـ أيضاً ـ قوله تعالى: ﴿**وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهانن * كلا بل لا تكرمون اليتيم**﴾ [الفجر: 16 ـ 17].

---

(1) البحر المحيط ج 2/274.

(2) إشارات الإعجاز ص 273.

فإن الالتفات من الغيبة ﴿إذا ما ابتلاه...﴾ إلى الخطاب ﴿كلا بل لا تكرمون اليتيم﴾ للإيذان باقتضاء ملاحظة جنايته السابقة لمشافهته بالتوبيخ، تشديداً للتقريع وتأكيداً للتشنيع....

ومثل قوله ـ عز وجل ـ: **﴿ثم ذهب إلى قومه يتمطى، أولى لك فأولى﴾** [القيامة: 33]. فقد ذكره أبو عبيدة في مؤلفه «مجاز القرآن»[1] في حديثه عن هذه الظاهرة البلاغية في الإعجاز المبين فقال: (ومن مجاز ما جاء خبره عن غائب ثم خوطب كالشاهد، قوله ـ تعالى ـ: **﴿ثم ذهب إلى قوله يتمطى، أولى لك فأولى﴾** [القيامة: 33]. وتأمل قوله ـ تعالى ـ: **﴿ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منه تقاة..﴾** [آل عمران: 28]. فإن في قوله ـ عز وجل ـ ﴿إلا أن تتقوا﴾ التفاتاً لأنه عدل من الغيبة إلى الخطاب ولو جاء على نظم الأولى لكان «ألا يتقوا» ـ بالياء ـ.

وقد عد أبو حيان هذا الفن (في غاية الفصاحة، لأنه لما كان المؤمنون نهوا عن فعل ما لا يجوز، جعل ذلك في اسم الغائب فلم يواجهوا بالنهي ولما وقعت المسامحة والإذن في بعض ذلك ووجهوا بذلك إيذاناً بلطف الله بهم وتشريفاً بخطابه إياهم)[2].

وقد سبق الزمخشري أبا حيان فتحدث ـ في أكثر من موضوع ـ عن بعض الأسرار الفنية لهذا الفن الأصيل.

قال الزمخشري: (إن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب كان أحسن نظرية لنشاط السامع وإيقاظاً للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد)[3].

---

(1) مجاز القرآن ج 1/11.
(2) البحر المحيط ج 2/423 ـ 424.
(3) الكشاف ج /16.

ولعل من المفيد أن نشير - هنا - إلى أن كل الشواهد القرآنية الكريمة التي تضمنت البنية النصية لفن الالتفات، تزيدنا يقيناً بأن الالتفات ليس محسناً عرضياً يؤتى به لمجرد التحسين والتجميل والتزيين الخارجي، إنما هو أسلوب أصيل وفن بلاغي مؤثر في التعبير، تنبعث أصالته من توفر البواعث والدواعي وراء كل مثل من أمثلته.

وأعلم أيها القارىء العزيز - أن المهم في إدراك البنية النصية لهذا الفن وكشف أسراره هو حسن التأني والتدبر والوعي بسياق الكلام، ونوع المعنى ومقتضى السياق.

أقرأ - مثلاً - قوله -عز وجل-: ﴿**عاليهم ثياب من سندس خضر واستبرق وحلوا أساور من فضة وسقاهم ربهم شراباً طهورا * إنَّ هذا كان لكم جزاء**﴾ [الإنسان: 21 - 22].

فقد عرض السياق القرآني الكريم مشهداً من مشاهد أهل الجنة، فجاء بصيغة الغيبة ثم عدل إلى صيغة الخطاب إكراماً للمؤمنين على سعيهم، وتخصيصاً لهم بهذه المنزلة.

وتأمل أيضاً ما أفادته بنية الالتفات من إبراز هذه النعم التي أنعمها الله - تعالى - على المؤمنين. ولو كانت بنية القول (لهم جزاء) لما تحقق ذلك.

النمط الثاني - «الالتفات من الغيبة إلى التكلم»:

قال - تعالى -: ﴿**وهو الذي يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته حتى إذا أقلت سحاباً ثقالاً سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء...**﴾ [الأعراف: 57].

فقد عدل السياق الكريم من الغيبة «والله الذي أرسل الرياح» إلى أسلوب الخطاب، فقال - عز وجل -: ﴿**فسقناه**﴾ فكان مقتضى الظاهر أن

يكون القول (فساقه)، لكن السياق الكريم آثر هذه البنية النصية للالتفات، ليحقق إيقاظاً ولفتاً، مناسباً لمقتضى هذا المعنى (لأن سوق السحاب إلى الأرض الميتة، فتحيا به، ضرب من قسمة الأرزاق مناسب أن ينقل الإسناد إلى ضمير ذي الجلالة ـ سبحانه وتعالى ـ ولهذا ـ أيضاً ـ لم يسند إلى الرياح على طريق المجاز كما في الجملة السابقة «فتثير سحاباً».

لأن إثارة السحاب ليس من خطورة سوقها واتجاهها نحو ما يشاء الله من عباده[1] .

ومنه ـ أيضاً ـ قوله ـ عز وجل ـ: **﴿ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين * فقضاهن سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزينا سماء الدنيا بمصابيح﴾** [فصلت: 11 ـ 12].

فقد جاء السياق الكريم على طريق الغيبة في قصة خلق السموات والأرض، وهي أخبار تروى من الغيب البعيد، ثم عدل إلى طريق التكلم في قوله ـ تعالى ـ: **﴿وزينا السماء الدنيا﴾** فجاءت بنية الالتفات ـ هنا ـ بمغزى مهم لأن السماء الدنيا وما فيها من كواكب من أظهر الآيات التي تشير إلى القدرة الخالقة، التي يحث القرآن على النظر إليها كثيراً، فقد حقق الالتفات تجسيداً للموضوع الذي تؤخذ منه العبرة وتدنو به الحقيقة الدالة من القلوب المعتبرة وتأمل ـ أيضاً ـ إفادته الاهتمام والإخبار عن نفسه ـ عز وجل ـ فإنه جعل الكواكب لزينة السماء الدنيا تكذيباً لمن أنكر ذلك.

قال ابن الأثير[2] وتابعه الزركشي[3] عدل بالكلام عن خطاب الغائب

---

(1) خصائص التركيب ص 199.
(2) المثل السائر ج 2/174.
(3) البرهان في علوم القرآن.

إلى خطاب النفس لأنه مهم من مهمات الاعتقاد وفيه تكذيب لمن أنكر ذلك.

ومثل قوله ـ عز وجل ـ: **﴿الذي جعل لكم الأرض مهداً وسلك لكم فيه سبلاً وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجاً من نبات شتى﴾** [طه: 53].

ذكر الزمخشري أن فائدة الالتفات من الغيبة إلى التكلم في مثل هذه المواضع وغيرها التنبيه على التخصيص بالقدرة، وأنه لا يدخل تحت قدرته واحد.

إذ (إنه انتقل فيه من لفظ الغيبة إلى لفظ المتكلم المطاع، فتنقاد الأشياء المختلفة لأمره، وتذعن الأجناس المتفاوتة لمشيئته ولا يمتنع شيء على إرادته)[1].

وأشار أبو حيان إلى أن في هذا الالتفات (تخصيصاً أيضاً ـ بأنا نحن ـ أي الله عز وجل ـ نقدر على مثل هذا ولا يدخل تحت قدرة أحد)[2].

وقد يأتي الالتفات من الغيبة إلى التكلم، لإظهار كمال العناية بأمر، كالحشر في يوم القيامة، كما في قوله ـ تعالى ـ: **﴿ومن يهدي الله فهو المهتد ومن يظل فلن تجد له أولياء من دونه ونحشرهم يوم القيامة﴾** [الإسراء: 97]..

فقد انتقل السياق الكريم من الغيبة ﴿ومن يهدي الله...﴾ إلى التكلم (بنون) العظمة ﴿ونحشرهم يوم القيامة﴾ لتحقيق أسرار دلالية، وبلاغية تتناسب وعظمة هذا اليوم المشهود.

وتأمل قوله ـ عز وجل ـ: **﴿وأنزلنا من السماء ماء فأخرجنا به أزواجاً من نبات شتى﴾** [طه: 53].

وقوله ـ عز وجل ـ: **﴿والذي نَزَّل من السماء ماء بقدر، فأنشرنا به بلدة**

---

(1) الكشاف ج 3/540، ينظر ـ أيضاً ـ البرهان ج 3/321.
(2) البحر المحيط ج 6/251.

ميتاً﴾ [الزخرف: 11]. فقد أفادت البنية النصية للالتفات ـ في السياقين الكريمين السابقين إظهار العناية بأمر الإحياء والإشعار بعظم خطره. وقد يأتي من فن الالتفات: ـ جرياً على سنن الكبرياء ـ لتهويل الخطب، كما في قوله ـ تعالى ـ: **﴿كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فأهلكناهم بذنوبهم﴾** [الأنفال: 54].

ومثله أيضاً قوله ـ عز وجل ـ: **﴿بل الله مولاكم وهو خير الناصرين، سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب﴾** [آل عمران: 150 ـ 151].

وتأمل قوله ـ تعالى ـ: **﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا أنه هو السميع البصير﴾** [الإسراء: 1] فقد تلون السياق الكريم بألوان مشرقة زاهية متنوعة تنوع الأغراض والدلالات التي تضمنها؛ فقد عدل عن الغيبة في قوله ـ تعالى ـ: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده﴾، إلى التكلم بالضمير «نا» في قوله ـ عز وجل ـ: ﴿باركنا حوله﴾، ثم التكلم «بنون» العظمة في قوله ـ عز وجل ـ ﴿لنريه﴾.

والتكلم بالضمير «نا» في قوله ـ عز وجل ـ: **﴿آياتنا﴾**.

ثم عاد السياق الكريم من التكلم إلى الغيبة في قوله ـ تعالى ـ: ﴿أنه هو السميع العليم﴾ أشار الزمخشري ـ في تفسير للنص الكريم ـ في «الكشاف» إلى أنها (طريقة الالتفات التي هي من طرق البلاغة)[1].

ونقل السيوطي عن الزمخشري قوله في فائدة الالتفات (في هذه الآية، وأمثالها التنبيه على التشخيص بالقدر، فإنه لا يدخل تحت قدرة أحد)[2] فالله وحده لا شريك ولا مثيل له في قدرته ـ عز وجل ـ.

---

(1) الكشاف ج 2/437.
(2) الإتقان في علوم القرآن ج 3/256.

قال أبو السعود العمادي: (الالتفات - هنا - لتعظيم تلك البركات والآيات)[1].

وقد يأتي الالتفات من الغيبة إلى المتكلم المشار إليه بضمير النصب المنفصل ﴿إياي﴾، كما في قوله - تعالى -: ﴿وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد فإياي فارهبون﴾ [النحل: 51].

يقول الزمخشري: (نقل الكلام من الغيبة إلى المتكلم، وهو أبلغ في الترهيب من قوله: (وإياه فارهبوه) ومن أنه يجيء ما قبله على لفظ «المتكلم»[2] وقد حققت البنية النصية للالتفات - هنا -) تربية المهابة وإلقاء الرهبة في القلوب، ولذلك قدم كرد فعل، أي: (إن كنتم راهبين شيئاً فإياي فارهبوا لا غير)[3].

النمط الثالث - العدول من الخطاب إلى الغيبة:

ورد هذا النمط في عدة مواضع من القرآن الكريم، وقد أشار العلوي إلى أن هذا كثير الدور في القرآن الكريم لمن تأمله)[4].

ومنه قوله - تعالى -: ﴿حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم. دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين﴾ [يونس: 22].

(1) تفسير أبي السعود ج 5/155.
(2) الكشاف ج 2/413.
(3) تفسير أبي السعود ج 5/119.
(4) الطراز ج 2/137.

قال ـ تعالى ـ: ﴿حتى إذا كنتم في الفلك﴾ فجاء على طريق الخطاب، ثم قال ـ عز وجل ـ: ﴿وجرين بهم﴾ فنقل الأسلوب إلى الغيبة في ﴿بهم﴾ و ﴿فرحوا﴾ وما بعد ذلك من ضمير الغيبة.

تأمل السياق وتدبر معناه، وتنبه إلى ما حققته البنية النصية في النص الكريم من شذرات نلتقط منه ما يأتي:

إن المخاطبين في ـ النص الكريم ـ هم الذين إذا نجاهم الله من هول البحر والموج يبقون في الأرض بغير الحق.

فإن في العدول عن خطابهم إلى حكاية حالهم لغيرهم لطيفة بلاغية هي:

(أنهم كانوا في مقام الخطاب كائنين في الفلك: ﴿كنتم في الفلك﴾ فهم في مقام الشهود والوجود، فناداهم نداء الحاضرين، ثم لما جرت بهم الريح ذهبوا بعيداً عن مقام الخطاب فلاءم هذه الحال طريقة الغيبة ﴿جرين بهم﴾)[1].

فتأمل هذا المشهد العظيم وتأمل ـ أيضاً ـ هذا النسق الجميل بين المعنى وبنية السياق وهاك نكتة أخرى توضح الأثر النفسي العميق لأُسلوب الالتفات ـ هنا ـ فالإنسان يحب نفسه، لا ينكر عليه ولا يستعظم منها العظائم، بل من غيره ودليله في الحديث الشريف: «ما بال أحدكم يرى القذاة في عين أخيه ولا يرى الجذع في عين نفسه)[2] كذلك حقق هذا الأسلوب دلالة التشهير بهم، وكأنه يروي قصتهم لغيرهم، لأن هذه الطبائع العجيبة جديرة بأن تذاع.

---

(1) البرهان ج 3/318.
(2) الأكسير في علم التفسير ص 142.

قال الزمخشري: (فإن قلت: ما فائدة صرف الكلام عن الخطاب إلى الغيبة؟ قلت، المبالغة، كأنه يذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها ويستدعي منهم الإنكار والتقبيح)(1) وأنت ترى أن السياق الكريم حقق - أيضاً - التخصيص إثر الخطاب؛ لأن (الخطاب أولاً كان مع الناس مؤمنهم وكافرهم بدليل قوله - تعالى -: **﴿هو الذي يسيركم في البر والبحر﴾** [يونس: 22].

فلو قال - تعالى -: ﴿وجرين بكم﴾ للزم الذم للجميع، فالتفت عن الأول للإشارة إلى الاختصاص بهؤلاء الذين شأنهم ما ذكره عنهم في آخر الآية، فعدل عن الخطاب العام إلى الذم الخاص ببعضهم، وهم الموصوفون بما أخبر عنهم)(2).

وتأمل ما تحققه بنية الالتفات في السياق الكريم من أثر نفسي عظيم وأسلوب جمالي رائع فقد يعدل السباق من الخطاب إلى الغيبة ليناسب مدح المؤمنين كما في قوله - تعالى -: **﴿وما أتيتم من زكاةٍ تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون﴾** [الروم: 39]. فقد عدل السياق عن طريق الخطاب في قوله - تعالى -: **﴿وما أتيتم﴾** ﴿تريدون﴾ إلى الغيبة في قوله: ﴿هم المضعفون﴾ فكان مقتضى الظاهر أن يقال (فأنتم مضعفون) إن أُسلوب الغيبة كان أمدح لهم من أن يقال (فأنتم المضعفون).

وكان الله يباهي بالمؤمنين ويقول: ﴿فأولئك الذين يريدون وجه الله بزكاتهم هم المضعفون﴾.

يقول الزمخشري: (هذا التفات حسن كأنه قال لملائكته وخواص خلقه؛ فأولئك الذين يردون وجه الله بصدقاتهم هم المضعفون، فهو أمدح

---

(1) الكشاف ج 2/231.
(2) البرهان في ج 3/318، إعجاز القرآن ج 1/379.

لهم من أن يقال: فأنتم المضعفون)[1].

فإذا بلغك أن أحدكم امتدحك في غيابك كان ذلك أعظم أثراً في نفسك وأكثر اقتناعاً وصدقاً ممن مدحك في حضورك.

وقد يقتضي السياق الالتفات من المتكلم إلى الغيبة، لإبراز صورة نفسية وجمالية توحي للملتقي أن في هذا العدول أو الالتفات إعراضاً عن المذكورين، ومن ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿**فستعملون كيف نذير. ولقد كذب الذين من قبلهم**﴾ [الملك: 17 ـ 18]. وقوله ـ عز وجل ـ: ﴿**أمن هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن إن الكافرون إلا في غرور**﴾ [الملك: 20].

ففي الالتفات من الحضور ﴿فستعلمون﴾ ﴿جند لكم ينصركم﴾. إلى الغيبة في قوله ـ تعالى ـ: ﴿الذين من قبلهم﴾ ﴿إنْ الكافرون..﴾ أعراض عنهم ـ أي عن الكافرين ـ وبيان قبائحهم لغيرهم، فضلاً عن ذمهم بالكفر والغرور ومثله ـ أيضاً ـ قوله ـ تعالى ـ: ﴿**إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وأباؤكم، وما أنزل الله به من سلطان، إن يتبعون إلا الظن**﴾ [النجم: 23].

فالالتفات من الخطاب ﴿سميتموها أنتم وأباؤكم﴾ إلى الغيبة: ﴿يتبعون...﴾ للإيذان بأن تعدد قبائحهم اقتضى الإعراض عنهم وحكاية جنايتهم لغيرهم[2]. واقرأ أيضاً قوله ـ تعالى ـ: ﴿**وهو الله في السموات والأرض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون. وما تأتيهم من آية من آيات ربهم**﴾ [الأنعام: 3 ـ 4].

فقد جاء في الالتفات من الخطاب ﴿يعلم سركم وجهركم...﴾ إلى الغيبة: ﴿وما تأتيهم من آية من آيات ربهم...﴾ للإشعار بأن ذكر قبائحهم قد

---

(1) الكشاف ج 3/224.
(2) تفسير أبـي السعود ج 8/159.

اقتضى أن يضرب الخطاب عنهم صفحاً، وتعد جناياتهم لغيرهم ذماً لهم وتقبيحاً لحالهم[1].

وتأمل كيف حققت لنا البنية النصية للالتفات مشهداً فنياً بليغاً، ومزية نفسية عميقة، وذلك في قوله ـ تعالى ـ: ﴿**فأتوا بكتابكم إن كنتم صادقين. وجعلوا بينه وبين الجنة نسباً**﴾ [الصافات: 157 ـ 158]. وقوله ـ عز وجل ـ: ﴿**وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين. فإن يصبروا فالنار مثوى لهم**﴾ [فصلت: 23 ـ 24].

فالسياق الكريم بدأ بالخطاب «فأتوا بكتابكم إن كنتم» وقوله ـ تعالى ـ: ﴿**ذلك ظنكم الذي...**﴾ وعدل إلى الغيبة: ﴿**وجعلوا...**﴾ وقوله ـ عز وجل ـ: ﴿**فالنار مثوى لهم**﴾ للإيذان بانقطاعهم عن الجواب، وسقوطهم عن درجة الخطاب واقتضاء حالهم أن يعرض عنهم وتحكي جناياتهم للآخرين)[2].

وتتنوع أغراض هذا الفن ودلالاته، فلا يمكن حصره، ولكن حسبنا أننا نحاول قدر المستطاع أن نجمع بعض الشذرات من هذا الكنز العظيم.

فقال ـ تعالى ـ: ﴿**فلما وضعتها قالت ربي إني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت**﴾ [آل عمران: 36]. ففي السياق الكريم التفات من الخطاب ﴿**قالت: ربي...**﴾ إلى الغيبة: ﴿**والله أعلم**﴾.

وقد جاء هذا الأسلوب إظهاراً لغاية الإجلال، فيكون ذلك منها؛ اعتذاراً إلى الله ـ تعالى ـ حيث أتت بمولود لا يصح لما نذرته من السدانة[3]. أو: تسلية لنفسها على معني: لعل لله ـ تعالى ـ فيه ستراً وحكمة، ولعل هذه

---

(1) تفسير أبي السعود ج 3/109.

(2) ومثل قوله ـ تعالى ـ ﴿**وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء، إن يتبعون إلا الظن**﴾ [يونس: 60]. على قراءة «تدعون» بالتاء [البحر المحيط ج 5/177].

(3) تفسير أبي السعود ج 8/159.

الأنثى خير من الذكر. وقد أشار الزمخشري إلى أن في السياق الكريم (تعظيماً وتجهيلاً لها بقدر ما وهب لها)[1] وتأمل قوله ـ تعالى ـ: **﴿ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذُلُلاً يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس﴾** [النحل: 69].

فقد عدل السياق الكريم عن خطاب النحل ﴿كلي... فاسلكي...﴾. إلى الغيبة: ﴿يخرج من بطونها...﴾ لبيان ما يظهر منه من تعاجيب صنع الله ـ تعالى ـ التي هي موضع العبرة بعدما أُمِرت بما أُمِرت[2].

النمط الرابع ـ «الالتفات من الخطاب إلى المتكلم»:

ومنه قوله ـ تعالى ـ: **﴿فاقض ما أنت قاضٍ، إنما تقضي هذه الحياة الدنيا إنا آمنا بربنا﴾** [طه: 72 ـ 73]. فقد التفت السياق الكريم من الخطاب في قوله ـ تعالى ـ: **﴿فاقض ما أنت قاض﴾** إلى المتكلم فقال ـ عز وجل ـ: **﴿إنا آمنا بربنا﴾**.

قال الزركشي: (وهذا يتمشى على قول من لم يشترط أن يكون المراد بالالتفات واحداً فأما من اشترطه فلا يحسن أن يتمثل به)[3] [*] ونفهم من

(1) الكشاف ج 1/425.
(2) تفسير أبي السعود ج 5/126.
(3) البرهان في علوم القرآن ج 3/317.
(*) هذا الرأي ذكره الأستاذ جليل رشيد فالح في بحثه الموسم بـ «فن الالتفات» المنشور في مجلة آداب المستنصرية ـ جامعة المستنصرية بغداد ـ العدد التاسع ص 94.
وقال إن هذا الرأي «توسيع آفاق الالتفات» حفّزه إلى الاهتمام به، وإلى مثل هذا الرأي، ذهب د. حفني محمد شرف الدين في مؤلفه «التصوير البياني» ص 427.
لكننا وجدنا د. حفني محمد شرف الدين في مؤلفه «الصور البديعة» يتابع البلاغيين الذين حاصروا هذا الفن البلاغي الأصيل بشرط، تحدد تراكيبه، وتقيد دلالاته وأغراضه.

قول الزركشي إنه (لا يشترط في أسلوب الالتفات أن يكون الضمير عائداً لواحد. أما السيوطي فيرى أن مثل هذا النمط من الالتفات لم يقع في القرآن ومثل له بعضهم بقوله ـ تعالى ـ: ﴿**فاقض ما أنت قاض**﴾ ثم قال الله ـ تعالى ـ: ﴿**إنا آمنا بربنا**﴾.

وهذا المثال لا يصح، لأن شرط الالتفات أن يكون المراد به واحداً)(1).

ولنا في قول السيوطي الملاحظات الآتية:

الأولى: أن هذا القول منقول من كتاب «البرهان في علوم القرآن» للزركشي ـ ولم يشر السيوطي إلى ذلك.

الثانية: إن السيوطي يشترط في كون المراد بالالتفات واحداً، ويبدو أن التجاوز عن شرط كون الضمير عائداً لواحد ـ أي كون المراد به واحداً ـ يوسع آفاق الوظيفة الفنية لأسلوب الالتفات)(2).

الثالثة: ذكر السيوطي أنه لم يقع في القرآن الكريم مثل هذا النمط، ويبدو أن الرأي الدقيق هو وقوع مثل هذا النمط في مواضع قليلة في الكتاب العزيز ومنها قوله ـ تعالى ـ: ﴿**قل الله أسرع مكراً إن رسلنا يكتبون ما تمكرون**﴾ [يونس: 21].

فقد عدل السياق الكريم من المخاطب في قوله ـ عز وجل ـ: ﴿قل الله...﴾ إلى المتكلم في قوله ـ تعالى ـ: ﴿رسلنا﴾ قال الزركشي: (على أنه سبحانه نزل نفسه منزلة المخاطب)(3).

---

(1) الإتقان ج 3/254.

(2) البرهان في علوم القرآن ج 3/317.

(3) المصدر السابق ج 3/317.

النمط الخامس ـ «الالتفات من المتكلم إلى الغيبة»:

يُؤْثَر هذا النمط، لإفهام السامع أن القصد من الكلام لا يتلون حضر، أو غاب فلا يكون في المضمر ونحوه ذا لونين.

والقصد من انتقال الأسلوب من المتكلم إلى الغيبة، الإبقاء على المخاطب فالغيبة أروح له. كقوله ـ تعالى ـ: ﴿**إنا أعطيناك الكوثر، فصل لربك وانحر**﴾ [الكوثر: 1 ـ 2].

فجاء السياق الكريم على طريقة التلكم ﴿إنا أعطيناك...﴾ ثم انتقل إلى الغيبة في قوله ـ تعالى ـ: ﴿**فصل** لربك﴾ ومقتضى الظاهر أن يقال: (فصل لنا) وقد توخى النص الكريم تحقيق أغراض بلاغية ودلالية، منها:

(التحريض على فعل الصلاة لحق الربوبية)[1] فإن في السياق الكريم إشارة إلى الحث على الصلاة لأنها لربه الذي رعاه ورباه، فكأنه (يقوي داعي الصلاة بذكر ربه الذي يستحق أن يصلي له)[2].

والتعريض بإبطال صلاة المشركين لأنها لغير الله، فهو ـ سبحانه وتعالى ـ (مستحق للعبادة)[3] كذلك في السياق الكريم إزالة الاحتمال (لأن كلمة ﴿إنا﴾ تحتمل الجمع كما تحتمل الواحد المعظم نفسه، فلما التفت بقوله ـ تعالى ـ: ﴿فصل **لربك**﴾ تبين المقصود من السياق الكريم.

ومما يجري هذا المجرى: ﴿**حم * والكتاب المبين * إن أنزلناه في ليلة مباركة * إنا كنا منذرين * فيها يفرق كل أمر حكيم أمراً من عندنا * إنا كنا مرسلين * رحمة من ربك إنه هو السميع العليم**﴾ [الدخان: 1 ـ 6].

---

(1) المصدر السابق ج 3/316 ـ 317.
(2) خصائص التركيب ص 196.
(3) التحرير والتنوير ج 1/359.

فقد جرى الأسلوب الكريم على طريقة المتكلم ﴿إنا أنزلناه، . . . إنا كنا. . .﴾ ﴿من عندنا﴾ ثم انتقل إلى طريقة الغيبة فقال ـ تعالى ـ: ﴿رحمة من ربك﴾.

وكان مقتضى الظاهر أن يقال: (رحمة منا).

ولكن هذا الانتقال هيأ خطاب رسول الله ﷺ وهو المنزل عليه الكتاب، ولو قيل (رحمة منا) لما كان هناك سبيل إلى ذكره ﷺ.

ثم لما جاء قوله ـ عز وجل ـ: ﴿رحمة﴾ ناسبها ـ أي الرحمة ـ ذكر (الرب) لأنه يشير إلى (معنى التربية والرفق والعناية)[1].

يقول الزركشي: (عدل عن قوله: ﴿رحمة منا﴾ إلى ﴿رحمة من ربك﴾ لما فيه من الإشعار بأن ربوبيته ـ عز وجل ـ تقتضي رحمته وأنه رحيم بعبده)[2].

أما قوله ـ تعالى ـ: **﴿إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولا * ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات * ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات﴾** [الأحزاب: 12 ـ 13].

فإن الالتفات من المتكلم ﴿إنا عرضنا﴾ إلى الغيبة: **﴿ليعذب الله﴾**، **﴿ويتوب الله﴾** قد أفاد تهويل الخطب وتربية المهابة.

كذلك أفاد الإظهار في موقع الاضمار في قوله ـ تعالى ـ: **﴿ويتوب الله﴾** إبراز مزيد من (الاعتناء بأمر المؤمنين توفية لكل من مقامي الوعيد والوعد حقه)[3].

---

(1) خصائص التركيب ص 196.
(2) البرهان ج 3/316.
(3) تفسير أبي السعود ج 7/119.

النمط السادس ـ «الالتفات من التكلم إلى الخطاب»:

هذا النمط يتوخاه المتحدث لحث السامع على الاستماع حيث أقبل المتكلم عليه فكأنّه أعطاه فضل عناية وتخصيص(*).

ومن ذلك قوله ـ تعالـى ـ: **﴿قال يا قوم أتتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم أجراً وهم مهتدون * ومالي لا أعبد الذي فطرني وإليه ترجعون﴾** [يس: 20 ـ 22].

قال ـ عز وجل ـ: ﴿ومالي لا أعبد الذي فطرني﴾ فجاء القول على طريقة التكلم ثم التفت السياق إلى الخطاب فقال ـ عز وجل ـ: **﴿وإليه ترجعون﴾**.

وكان مقتضى الظاهر للسياق أن يكون القول (إليه أرجع).

وقد حقق هذا الالتفات عدة أغراض دلالية وأسلوبية وبلاغية، منها:

أن القرآن الكريم (أخرج الكلام في معرض مناصحته لنفسه، وهو يريد نصح قومه تلطفاً وإعلامنا بأنه يريد لهم ما يريد لنفسه، ثم التفت إليهم لكونه في مقام تخويفهم ودعوتهم إلى الله)(1) وأنت تتلمس في السياق الكريم شدة تحذير لهم وتنبيه إلى أنهم صائرون إلى الله، وراجعون إليه، فضلاً عما تضمنه ـ أي السياق الكريم ـ من مبالغة في التهديد.

وقد أشار ابن الأثير إلى أن (الفائدة ـ ها هنا ـ تخصيص النبي ﷺ

=(*) نقل ابن الأثير قول الزمخشري دون الإشارة إليه، وسماه (صرف الكلام عن خطاب نفسه إلى خطابهم) ينظر ـ المثل السائر ج 2/178 ـ 174.
وذهب بعض المفسرين إلى أن هذا النمط من باب (العدول من خطاب الواحد إلى الجمع) ـ ينظر: الإكسير في علم التفسير ـ ص 194.

(1) البرهان في علوم القرآن ج 3/315.

بالذكر والإشارة إلى أن إنزال الكتاب إنما هو إليه)[1] وفي السياق الكريم جانب نفسي عميق فقد (أبرز الكلام في معرض المناصحة لنفسه وهو يريد مناصحتهم ليتلطف بهم ويداريهم، ولأنه أدخل في إمحاض النص حيث لا يريد لهم إلا ما يريد لروحه، ولقد وضع قوله: «مالي لا أعبد الذي فطرني» مكان قوله: «مالكم لا تعبدون الذي فطركم» ألا ترى إلى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وإليه ترجعون﴾ ولولا أنه قصد ذلك لقال: «الذي فطرني وإليه أرجع»)[2] كذلك أبرز الالتفات مواجهة الكافرين بصيرورتهم إلى من يكفرون به وكأنه يقول لهم: «كيف لا تتقون من يؤول أمركم إليه وتسألون بين يديه؟».

ولا تتحقق هذه الإشارات لو جاء القول (وإليه أرجع).

ومثل قوله ـ تعالى ـ: **﴿وأمرنا لنسلم لرب العالمين، وأن أقيموا الصلاة واتقوه﴾**.

قال الزمخشري: (فإن قلت: علام عطف قوله: ﴿وأن أقيموا﴾ قلت على موضع ﴿لنسلم﴾ كأنه قيل: أمرنا أن نسلم وأن أقيموا)[3].

فقد انتقل السياق الكريم من المتكلم ﴿وأمرنا لنسلم...﴾ إلى الخطاب في قوله: ﴿وأن أقيموا﴾.

---

(1) المثل السائر ج 2/178.
(2) الكشاف ج 3/319.
(3) المصدر السابق ج 2/29.

المبحث الثاني ـ «الالتفات العددي»

تضمن السياق الكريم أساليب أخرى من عدول السياق ـ أو انتقاله أو صرفه، مما تصلح أن تكون من أنماط الالتفات.

وقد أشار البلاغيون القدامى ـ ومنهم أبو عبيدة[1] وابن قتيبة[2] وابن وهب[3] وغيرهم إلى مثل هذه الأنماط.

أما البلاغيون المتأخرون فقد اكتفى بعضهم بالتنبيه إليه[4] وقد ذكره التنوخي وابن الأثير بإيجاز[5] وقسمه الزركشي[6] وتابعه السيوطي ـ إلى ستة أنماط، تعتمد على العدول أو الانتقال بين (الإفراد والتثنية والجمع)، وهي:

النمط الأول ـ الانتقال من خطاب المفرد إلى خطاب الاثنين:

ومن ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿**يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان، فبأي آلآء ربكما تكذبان**﴾ [الرحمن: 22 ـ 23] فإن مقتضى ظاهر السياق أن يكون

(1) مجاز القرآن ج 1/10.
(2) تأويل مشكل القرآن ص 220.
(3) البرهان في علوم القرآن ج 3/152.
(4) شروح التلخيص ج 1/491 ـ 492.
(5) إعجاز القرآن ج 1/383.
(6) البرهان في علوم القرآن ج 2/232.

القول (يخرج منه) لكنه عدل إلى أسلوب التثنية ﴿يخرج منهما﴾ ويفسر لنا الزمخشري هذا العدول، فيقول: «فإن قلت: لم قال ﴿منهما﴾ وإنما يخرجان من (الملح)، قلت لما التقيا وصارا كالشيء الواحد، جاز أن يقال: (يخرجان منها) كما يقال (يخرجان من البحر) ولا يخرجان من جميع البحر ولكن من بعضه[1].

ونقل عن أبي علي الفارسي أنه يرى (هذا من باب حذف المضاف، والتقدير: (يخرج من أحدهما)[2].

ومنه ـ أيضاً ـ قوله ـ عز وجل ـ: **﴿أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكم الكبرياء في الأرض﴾** [يونس: 78].

فالخطاب موجه أولاً إلى سيدنا «موسى» **عليه** الصلاة والسلام: **﴿أجئتنا﴾** لأنه صاحب الرسالة السماوية.

ثم انتقل السياق الكريم إلى أسلوب التثنية «لكما» فجمع بين (موسى) (وهارون) أخيه ووزيره. وفي ذلك إشارة دقيقة في الرسالة قال ـ تعالى ـ: **﴿وأشركه في أمري﴾** [طه: 32].

أما قوله ـ تعالى ـ: **﴿ألقيا في جهنم كل كفار عنيد﴾** [ق: 24].

فقد نقل أبو حيان عن الفراء قوله: (هو من خطاب الواحد بخطاب الاثنين)[3].

وقال الزمخشري: (يجوز أن يكون أي النص الكريم ـ خطاباً للواحد على وجهين:

---

(1) الكشاف ج 4/45.
(2) البحر المحيط ج 8/192.
(3) المصدر السابق ج 8/126.

أحدهم: قول المبرد. إن تثنية الفاعل نزلت منزلة تثنية الفعل لاتحادهما. كأنه قيل: إلقِ إلقِ، للتأكيد.

الثاني: أن العرب أكثر ما يرافق الرجل منهم اثنان، فكثر على ألسنتهم أن يقولوا: (خليليَّ، صاحبيَّ) حتى خاطبوا الواحد خطاب الاثنين، فيجوز أن يكون «فألقياه» تكريراً للتأكيد[1] .

النمط الثاني ـ «الانتقال من خطاب الواحد إلى خطاب الجمع»:

فقد يتضمن السياق الكريم مفردتين، تكون الأولى جمعاً في اللفظ، ويراد بها المفرد، ثم ينتقل السياق إلى المفردة الثانية الدالة على الجمع في اللفظ والمعنى. ومن ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿**الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم**﴾ [آل عمران: 173]. فقد قصد السياق الكريم بلفظة ﴿الناس﴾ ـ في الموضع الأول الواردة بصيغة الجمع خطاب المفرد، قال بعض المفسرين إنه «نعيم بن سعود الأشجعي» قال الزمخشري: «فإن قلت: كيف قيل ﴿الناس﴾ إن كان «نعيم بن مسعود» هو المثبط وحده؟ قلت: قيل ذلك لأنه من جنس ﴿الناس﴾، كما يقال: (فلان يركب الخيل ويلبس البرود) وماله إلا فرس واحد وبرد واحد. أو: (لأنه حين قال ذلك لم يخل من ناس من أهل المدينة يضامونه ويصلون جناح كلامه ويثبطون مثل تثبيطه)[2] ومعنى ذلك أن النص الكريم قد انتقل من خطاب المفرد في اللفظ ـ لفظ ﴿الناس﴾ في الموضع الأول إلى خطاب الجمع في قوله ـ تعالى ـ: ﴿إن الناس قد جمعوا لكم﴾ ومما يجري هذا المجرى:

---

(1) الكشاف ج 4/8.
(2) المصدر السابق ج 1/480 ـ 481.

قوله ـ عز وجل ـ: ﴿**إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك يكونوا من المهتدين. أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام...**﴾ [التوبة: 18].

فذكر الزمخشري[1] وتابعه أبو حيان[2] أن القراءة بالجمع فيها وجهان:

أحدهما: أن يراد «المسجد الحرام» وإنما قيل مساجد، لأنه قبلة المساجد كلها وإمامها فعامره كعامر جميع المساجد ولأن كل بقعة منه مسجد.

الثاني: أن يراد جنس المساجد، وإذا لم يصلحوا لأن يعمر جنسها دخل تحت ذلك أن لا يعمروا المسجد الحرام الذي هو مصدر الجنس ومقدمته.

وهو آكد لأن طريقته طريقة الكناية، كما لو قلت: (فلان لا يقرأ كتاب الله).

كنت أنفي لقراءته القرآن من تصريحك بذلك.

أما قوله ـ تعالى ـ: ﴿**يأيها النبي إذا طلقتم النساء**﴾ [الطلاق: 1].

وقوله ـ عز وجل ـ: ﴿**يأيها الرسل كلوا من الطيبات**﴾ [المؤمنون: 51].

فقد انتقل السياق الكريم من خطاب المفرد ﴿يا أيها النبي﴾، ﴿يأيها الرسل﴾ وهو خطاب للنبي محمد ﷺ وحده[3] إلى خطاب الجمع ﴿طلقتم﴾ في الموضع الأول و ﴿كلوا﴾ في الموضع الثاني.

فقد (نقل عن الحسن ومجاهد وقتادة وغيرهم ـ رضي الله عنهم ـ أنه خطاب لرسول الله ﷺ وحده على دأب العرب في مخاطبة الواحد بلفظ

---

(1) المصدر السابق ج 2/178.
(2) البحر المحيط ج 5/19.
(3) البرهان في علوم القرآن ج 2/234.

الجمع. وفي هذا الانتقال؛ إبانة لفضله ﷺ وقيامه مقام الكل في حيازة كمالاته)[1].

النمط الثالث ـ «الالتفات من خطاب الاثنين إلى خطاب الواحد»:

نحو قوله ـ تعالى ـ: ﴿**فمن ربكما يا موسى**﴾ [طه: 49].

فقد عدل السياق الكريم من خطاب المثنى «ربكم» ـ عندما خاطب فرعون موسى وأخاه هارون ـ عليهما السلام ـ إلى خطاب أحدهم وهو سيدنا موسى عليه السلام بقوله: ﴿يا موسى﴾.

وكان مقتضى ظاهر السياق أن يكون (فمن ربكما يا موسى وهارون).

ولكن عدوله هذا يحتمل؛ أنهما خاطبا فرعون بالرسالة. فأجابهما أولاً، ثم انتقل إلى موسى ـ عليه السلام ـ لأنه صاحب الآيات والمعجزات[2] وفي هذا العدول أو الالتفات فائدة بلاغية، من وجهين:

الأول: أنه أفرد موسى ـ عليه السلام ـ بالنداء، بمعنى التخصيص، والتوقف؛ إذ كان هو صاحب عظيم الرسالة وكريم الآيات. وهذا الوجه منقول عن ابن عطية[3].

الثاني: لما كان هارون ـ عليه السلام ـ أفصح لساناً منه على ما نطق به القرآن ثبت عن جواب الخصم الألد. وهذا الوجه ذكره الزمخشري[4].

---

(1) تفسير أبـي السعود ج 6/138.
(2) الأقصى القريب في علم البيان ـ زين الدين بن عمرو التنوخي (ت 749هـ) ـ مطبعة السعادة ـ مصر ـ 1337 ـ ص 113.
(3) البرهان في علوم القرآن ج 2/240.
(4) الكشاف ج 2/532.

ومنه ـ أيضاً ـ قوله ـ عز وجل ـ: ﴿فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى﴾ [طه: 117].

فقد عدل السياق الكريم عن خطاب الاثنين ﴿يخرجنكما﴾ إلى خطاب الواحد فقال ـ تعالى ـ: ﴿فتشقى﴾ وفسر ابن عطية سر الالتفات في هذا السياق الكريم فقال: (إنما أفرده بالشقاء من حيث كان المخاطب أولاً والمقصود بالكلام)(1).

أما الزمخشري فيرى أن النص الكريم (إنما أسند إلى آدم وحده فعل الشقاء دون حواء بعد إشراكهما في الخروج، لأن في ضمن شقاء الرجل ـ وهو قيم أهله وأميرهم ـ شقاءهم، كما أن في ضمن سعادته سعادتهم، فاختصر الكلام بإسناده إليه دونها مع المحافظة على الفاصلة)(2).

النمط الرابع ـ «الالتفات من خطاب الاثنين إلى خطاب الجمع»:

ومن ذلك قوله ـ تعالى ـ: **﴿وأوحينا إلى موسى وأخيه هارون أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتاً واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة وبشر المؤمنين﴾** [يونس: 87].

فأنت ترى أن النص الكريم قد تضمن نمطين من الالتفات:

الأول: انتقل السياق من خطاب الاثنين في قوله ـ تعالى ـ: **﴿وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوءا لقومكما...﴾** إلى خطاب الجمع في قوله ـ تعالى ـ: **﴿واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة﴾**.

يقول الزركشي: حكم التثنية أن (موسى) و (هارون) عليهما السلام

---

(1) البرهان في علوم القرآن ج 2/240.

(2) الكشاف ج 2/556.

ـ هما اللذان يقرران قواعد النبوة، ويحكمان في الشريعة فخصهما بذلك. ثم خاطب الجميع باتخاذ البيوت قبلة للعبادة، لأن الجميع مأمورون بها.

الثاني: (انتقل السياق الكريم من خطاب الجمع ﴿واجعلوا بيوتكم وأقيموا الصلاة﴾ إلى خطاب المفرد في قوله ـ عز وجل ـ: ﴿وبشر المؤمنين﴾ لأنه الرسول الذي عليه ـ وحده ـ البشارة والإنذار)[1].

ومثل قوله ـ عز وجل ـ: **﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما﴾** [الحجرات: 9].

فقد أثر السياق خطاب المثنى ﴿طائفتان﴾ بصيغة الجمع ﴿اقتتلوا﴾ يقول الزمخشري: (فإن قلت: ما وجه قوله ـ تعالى ـ: ﴿اقتتلوا﴾، والقياس (اقتتلنا)؟ قلت هو حمل على المعنى دون اللفظ، لأن الطائفتين في معنى القوم والناس)[2] ثم ألا يشعرنا معنى الجماعة ﴿اقتتلوا﴾ ببشاعة (الاقتتال) بين المؤمنين، وقد وصفهم ـ تعالى ـ بقوله: ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾.

وقال ـ عز وجل ـ: ﴿فأصلحوا بينهما﴾ فعاد خطابهما بصيغة المثنى فالصلح يسر وخير وأمان بين الأخوة المؤمنين.

ومثله ـ أيضاً ـ قوله ـ تعالى ـ: **﴿هذان خصمان اختصموا في ربهم﴾** [الحج: 19].

وقوله ـ عز وجل ـ: **﴿قال اهبطا منها جميعاً بعضكم لبعض عدو﴾** [طه: 123].

---

(1) البرهان في علوم القرآن ج 3/335.
(2) الكشاف ج 3/563. ينظر ـ أيضاً ـ البحر المحيط ج 8/112.

النمط الخامس - «الالتفات من الجمع إلى الواحد»:

نحو قوله - تعالى -: ﴿**هؤلاء ضيفي فلا تفضحون**﴾ [الحجر: 68].

أخبر الله - تعالى - على لسان «لوط» - عليه السلام - بصيغة المفرد في لفظة ﴿ضيفي﴾ ومقتضى الظاهر أن يكون القول: (ضيوفي)، ولكن القول الكريم عدل عنه إلى المفرد ﴿ضيفي﴾. والضيف حيث كان مصدراً في الأصل أطلق على الواحد والمتعدد، والمذكر والمؤنث وإطلاقه على الملائكة بحسب اعتقاده - عليه الصلاة والسلام لكونهم في زي الضيف، والتأكيد ليس لإنكارهم بذلك بل لتحقيق اتصافهم به، وإظهار اعتنائه بشأنهم)[1].

ومنه - أيضاً - قوله - تعالى -: ﴿**وحسن أولئك رفيقاً**﴾ [النساء: 69].

قال الزمخشري: (فيه معنى التعجب. كالصديق، والخليط، في استواء الواحد والجمع فيه)[2] وذكر ابن جني (أن لفظة ﴿طفلاً﴾ في قوله - تعالى -: ﴿**ثم نخرجكم طفلاً**﴾ [الحج: 5] قصد به الجمع، أي «أطفالاً»، وحسن لفظ الواحد - هنا - لأنه موضع تصغير لشأن الإنسان وتحقير لأمره، فلا فرق في ذكر الواحد لذلك، لقلته عن الجماعة ولأن معناه - أيضاً - نخرج كل واحد منكم طفلاً)[3].

ومما يجري في هذا المجرى قوله - عز وجل -: ﴿**وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر**﴾ [الإسراء: 23] فقد انتقل السياق من خطاب الجمع ﴿تعبدوا﴾ إلى توحيد ضمير الخطاب في قوله

---

(1) تفسير أبـي السعود ج 2/85.
(2) الكشاف ج 1/540.
(3) المحتسب ج 2/267.

تعالى: ﴿عندك﴾ وفيما بعده، مع أن ما سيق على الجمع هو الاحتراز عن التباس المراد؛ فإن المقصود نهى كل أحد عن تأفيف والديه ونهرهما ولو قوبل الجمع بالجمع أو بالتثنية لم يحصل هذا)[1].

ومثل قوله ـ تعالى ـ: **﴿وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب﴾** [ص: 21].

وقوله ـ عز وجل ـ: **﴿أم يقولون نحن جميع منتصر﴾** [القمر: 44].

النمط السادس ـ «الالتفات من الجمع إلى التثنية»:

نحو قوله ـ تعالى ـ: **﴿يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فأنفذوا؛ لا تنفذون إلا بسلطان؛ فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾** [الرحمن: 33 ـ 34].

فقد عدل السياق الكريم عن خطاب الجمع في قوله ـ تعالى ـ: ﴿إن استطعتم أن تنفذوا. . .﴾ إلى خطاب المثنى في قوله ـ عز وجل ـ: ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾.

ومثل قوله ـ تعالى ـ: **﴿إنما المؤمنون أخوة فأصلحوا بين أخويكم﴾** [الحجرات: 10]. فقد آثر السياق الكريم العدول عن «الجمع» إلى التثنية في قوله ـ تعالى ـ فأصلحوا بين ﴿أخويكم﴾ ومما يجري في هذا المجرى قوله ـ تعالى ـ: **﴿قال كلا فأذاهبا بآياتنا إنا معكم مستمعون لله فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين﴾** [الشعراء: 15 ـ 16].

فقد عدل السياق الكريم عن خطاب التثنية ﴿فاذهبا﴾ إلى خطاب الجمع ﴿معكم﴾ ثم انتقل إلى خطاب التثنية ـ مرة أخرى ـ ﴿فأتيا فرعون فقولا﴾.

---

(1) تفسير أبـي السعود ج 5/166.

قال القرطبي: قوله ـ تعالى ـ: ﴿إنا معكم﴾ يريد نفسه سبحانه وتعالى. ﴿مستمعون﴾ أي سامعون ما يقولون وما يجابون. وإنما أراد بذلك تقوية قلبيهما وأنه يعينهما ويحفظهما ـ والاستماع إنما يكون بالإصغاء، ولا يوصف الباري سبحانه بذلك، وقد وصف سبحانه نفسه بأنه السميع البصير وقال في سورة طه: ﴿أسمع وأرى﴾ [طه: 46].

وقال: (﴿معكم﴾ فأجراهما مجرى الجمع لأن الاثنين جماعة، ويجوز أن يكون لهما ولمن أرسل إليه).

وقال أبو عبيدة: (﴿رسول﴾ بمعنى رسالة والتقدير على هذا: إنا ذوو رسالة رب العالمين ويجوز أن يكون الـ ﴿رسول﴾ في معنى الاثنين والجمع، فتقول العرب: هذا رسولي ووكيلي، وهذان رسولي ووكيلي، وهؤلاء رسولي ووكيلي، ومنه قوله ـ تعالى ـ: ﴿فإنهم عدو لي﴾. وقيل: معناه أن كل واحد منا رسول رب العالمين)[1].

---

(1) الجامع لأحكام القرآن ج 13/93 ـ 94.

المبحث الثالث

ـ أساليب أخرى ـ ذكرها بعض علماء اللغة ـ في فن الالتفات:

تفرد بعض البلاغيين بذكر بعض الأساليب البلاغية التي تدخل في مجال فن الالتفات، ويمكننا تقسيم هذه الأساليب إلى عدة صور:

الصورة الأولى ـ «الالتفات في القرينة الإعرابية»:

ذكر الزركشي أن (بعضهم قد جعل من الالتفات قوله ـ تعالى ـ: ﴿والموفون بعهدهم﴾ ثم قال ـ تعالى ـ: ﴿والصابرين في البأساء والضراء﴾ وذلك في قوله ـ عز وجل ـ: **﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم قِبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا أو الصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون﴾** [البقرة: 177].

فالزركشي[1] يرى أن (في السياق الكريم عدولاً أو التفاتاً في القرينة الإعرابية، من الرفع فيقوله ـ تعالى ـ: ﴿والموفون﴾ إلى النصب في قوله ـ عز وجل ـ: ﴿والصابرين﴾ وفسر الزمخشري الخصيصة الفنية للالتفات ـ هنا ـ فقال: ﴿الموفون﴾ عطف على ﴿من آمن﴾ وأخرج ﴿الصابرين﴾

(1) البرهان في علوم القرآن ج 3/ 325.

منصوباً على الاختصاص والمدح وإظهاراً لفضل الصبر في الشدائد ومواطن القتال على سائر الأعمال)[1].

أما جمهور النحاة فقد شغلو بوجوه تقدير المحذوف؛ قال أبو حيان (من الوجوه المختارة أن قوله ـ تعالى ـ: ﴿والموفون﴾ خبر مبتدأ محذوف على سبيل قطع الصفات في المدح[2] وهذا ـ كما يقول الزمخشري ـ «باب واسع قد كسره سيبويه على أمثلة وشواهد»[3].

ومثله قوله ـ عز وجل ـ: ﴿**لكن الراسخون في العلم منهم المؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر؛ أولئك سنؤتيهم أجراً عظيماً**﴾ [النساء: 162].

فقد عدل السياق الكريم عن القرينة الإعرابية «الرفع» في قوله ـ تعالى ـ: ﴿لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون﴾ إلى قرينة إعرابية أخرى هي «النصب».

فقال ـ تعالى ـ: ﴿والمقيمين الصلاة﴾.

ويتابع الزمخشري ـ أيضاً ـ (المزية الفنية للالتفات في الحركة الإعرابية، فيقول: «النصب» في قوله ـ تعالى ـ: ﴿والمقيمين الصلاة﴾ على المدح لبيان فضل الصلاة)[3].

وذكر أبو حيان أن (النصب في صفات المدح والذم والترحم وعطف الصفات بعضها على بعض، مذكور في علم النحو)[4].

---

(1) الكشاف ج 331/1.
(2) البحر المحيط ج 396/3.
(3) الكشاف ج 582/1.
(4) البحر المحيط ج 7/2.

الصورة الثانية ـ «الالتفات الإخباري»:

ذكر ابن أبي الأصبغ (ت 654) في مؤلفه «بديع القرآن» أنه قد (جاء في القرآن الكريم من الالتفات قسم غريب جداً، لم أظفر بمثاله، وهو؛ أن يقدم المتكلم في كلامه مذكورين مرتين، ثم يخبر عن الأول منها، وينصرف عنه إلى الإخبار عن الثاني، ثم يعود فينصرف عن الإخبار عن الثاني إلى الإخبار عن الأول. ومثله قوله ـ تعالى ـ: ﴿**إن الإنسان لربه لكنود وإنه على ذلك لشهيد**﴾ [العاديات: 6 ـ 7].

انصرف عن الإخبار عن الإنسان إلى الإخبار عن ربه ـ تعالى ـ: ﴿لربّه لكنود﴾ ثم قال ـ تعالى ـ منصرفاً إلى الإخبار عن الإنسان ﴿**وإنه لحب الخير لشديد**﴾ [العاديات: 8]. وسمى ابن الأصبغ هذا النوع من الالتفات «التفات الضمائر»[1].

الصورة الثانية ـ «الالتفات من الإجمال إلى التوضيح»:

نبه ابن الزملكاني (ت 651) في مبحث «الالتفات» من كتابه «التبيان في علم البيان» إلى أن «من البلاغة أن تقدم ذكر الشيء على سبيل الإجمال ثم توضحه بعد ذلك، فيكون أبلغ مما لو ذكرته مبنياً من أول الأمر، وتقدم طائفة تشهد له بالصحة ـ وإنْ لم يكن من الالتفات ـ[2] قوله ـ تعالى ـ: ﴿**هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم * تؤمنون بالله وبرسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم * ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون**﴾ [الصف: 10 ـ 11].

(1) بديع القرآن ص 45.
(2) التبيان في علم البيان ـ ابن الزملكاني ـ تحقيق/ د. أحمد مطلوب، ود. خديجة الحديثي ـ مطبعة العاني ـ بغداد ـ 1964 ـ ص 189.

ونفيد من قول ابن الزملكاني إشارتين: **الأولى**: في مجيء حديثه ـ المؤكد بشاهد قرآني كريم في مبحث خاص بفن الالتفات إشارة جليلة إلى عد هذا ـ النوع من القول من فن الالتفات ويطمئننا على هذا الفهم، سياق الآية الكريمة، فإن فيه عدولاً عن الإجمال ـ في قوله ـ تعالى ـ: ﴿**هل أدلكم على تجارة تنجيكم**. . .﴾ إلى التوضيح في قوله ـ عز وجل ـ: ﴿**تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله**﴾.

الأخرى: صاغ المحققان الفاضلان/ د. أحمد مطلوب، د. خديجة الحديثي، عبارة ابن الزملكاني «وإن لم يكن من باب الالتفات» بأسلوب «الاعتراض» ونفهم من ذلك أن هذا النوع من الالتفات تفرد به ابن الزملكاني، ولم يكن من باب الالتفات عند من سبقه من هذا الفن البلاغي ثم ألا يدل قوله إن تقدم ذكر الشيء على سبيل الإجمال ثم توضحه بعد ذلك، فيكون أبلغ مما لو ذكرته مبيناً من أول الأمر «ألا يدل هذا القول على مفهوم الالتفات؟».

الصـورة الرابعـة:

أشار بعض اللغويين القدامى أن الالتفات هو «الاعتراض عند قوم»[1] وذكر ابن المعتز أنّ (من محاسن الكلام والشعر اعتراض كلام في كلام لم يتمم معناه ثم يعود إليه فيتمّمه في بيت واحد[2] ونقل أبو هلال العسكري تعريف ابن المعتز للاعتراض)[3].

ويفهم من هذا التعريف أن أسلوب الاعتراض ينضم إلى فن الالتفات في خصيصة العدول والانصراف من عبارة إلى أخرى.

---

(1) العمدة ج 2/ 54.
(2) البديع ص 60.
(3) كتاب الصناعتين ص 410.

وقد صرح بذلك قدامة ابن جعفر في مطلع حديثه عن الالتفات، فقال: (من نعوت المعاني الالتفات، وهو أن يكون الشاعر آخذاً في معنى فكأنه يعترضه إما شك فيه أو ظن بأن راداً يرد عليه قوله أو سائلاً يسأله عن سبب فيعود راجعاً على ما قدمه، فإما أن يؤكده أو يذكر سببه أو يحل الشك فيه)[1] ولعل من المفيد أن نضيف إلى ذلك أن السكاكي يذكر في «باب الاعتراض» من مؤلفه «مفتاح العلوم»[2] شاهداً قرآنياً كريماً، عده ابن أبي الاصبع قبله ـ من شواهد الالتفات ـ في مؤلفه «بديع القرآن»[3] وذكر الزركشي[4] أن الرازي (ت 606) يرى أن «الاعتراض» يقرب من الالتفات في نقل الكلام إلى غيره... وجعل منه قوله ـ تعالى ـ: ﴿**اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود**﴾ [ص: 17].

ونقل الزركشي ـ أيضاً ـ عن أبي جعفر بن الزبير الأندلسي (ت 608) أنه عد أسلوب الاعتراض في قوله ـ تعالى ـ: ﴿**ق والقرآن المجيد * بل عجبوا...**﴾ شبيهاً بالالتفات[5]. وأعلم أن أسلوب الاعتراض ـ ومثله الالتفات ـ (قد جاء في القرآن وفصيح الشعر ومنثور الكلام...)[*].

الصورة الخامسة:

ذكر بعض اللغويين القدامى لفظة «التلوين» مرادفة لمصطلح «الالتفات» فقد نقل الزركشي أن (الثعلبي سماه المتلون ويسميه أهل المعاني

(1) نقد الشعر ص 168.
(2) مفتاح العلوم ص 181.
(3) بديع القرآن ص 43.
(4) البرهان في علوم القرآن ج 3/333 ـ 334.
(5) المصدر السابق.
(*) سنعرض لأسلوب الاعتراض بالتفصيل في الفصل الثالث.

«الالتفات»[1] وهو بهذا يكون عاماً أي يشمل كل كلام حصل فيه انتقال وانصراف من طريقة إلى أخرى، واستعمل بعض المفسرين لفظتي «التلوين» و «الالتفات» للدلالة على معنى واحد، هو العدول أو الانصراف.

ومن هؤلاء المفسرين الشيخ أَبو السعود العمادي (ت 951) في تفسيره المسمى «إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم»؛ ومن أمثلة ذلك قوله في تفسيره للآية الكريمة **﴿إذا قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء﴾** [المائدة: 112] يقول أبو السعود: (إذ منصوبة بمضمر خوطب به النبي ﷺ بطريقة تلوين الخطاب والالتفات)[2].

وقال في تفسيره لقوله ـ تعالى ـ: **﴿وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى﴾** [سبأ: 37]. (الكلام مستأنف من جهته ـ عز وجل ـ خوطب به الناس، بطريقة التلوين والالتفات مبالغة في تحقيق ما سبق.

أي وما جماعة أموالكم وأولادكم، بالجماعة التي تقربكم عندنا قربة)[3].

ومثله قوله ـ تعالى ـ: **﴿هذا نزلهم يوم الدين * نحن خلقناكم فلولا تصدقون﴾** [الواقعة: 56].

قال أبو السعود (فيه تلوين للخطاب وتوجيه له إلى الكفرة بطريقة الإلزام والتبكيت)[4] ومثله ـ أيضاً ـ قوله ـ تعالى ـ: **﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنون بها قل إنما الآيات عند الله وما يشعركم أنها**

---

(1) البرهان في علوم القرآن ج 2/246.
(2) إرشاد العقل السليم ج 3/96.
(3) المصدر السابق ج 7/136.
(4) المصدر السابق ج 8/196.

إذا جاءت لا يؤمنون﴾ [الأنعام: 109]. قال أبو السعود: (فيه تلوين للخطاب)[1] وقال أبو حيان: (أخبر على جهة الالتفات)[2].

وأرى من المفيد أن نقول ـ هنا ـ ما يأتي:

إن لفظة «الالتفات» جاءت ـ في حديث أبو السعود ـ معطوفة على لفظة «التلوين» مما يشير إلى أن للفظتين دلالتان متقاربتان أو أن «التلوين» صورة من صور «الالتفات» وأن السياق في كل موضع من المواضع السابقة ـ قد عدل من معنى إلى معنى، وهذا هو مفهوم الالتفات وقد احتفظ كل سياق بدلالته البلاغية التي يؤديها «الالتفات» أو «التلوين».

كذلك يورد أبو السعود عبارة «صرف لها» أو «توجيه له» للدلالة على العدول في السياق وحصول الالتفات فيه، ومن ذلك قوله ـ تعالى ـ: **﴿لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً﴾** [النور: 12].

قال أبو السعود: (فيه تلوين للخطاب وصرف له عن رسول الله ﷺ وذويه إلى الخائضين لتشديد ما في «لولا» التحضيضة من التوبيخ والتشنيع، لا بطريقة الإعراض عنهم لجناياتهم لغيرهم على وجه المثابة بل التوسل بذلك إلى وصفهم بما يوجب الإتيان بالمحضض عليه ويقتضيه اقتضاء تاماً ويزجرهم عن صده زجراً بليغاً)[3].

ومثله قوله ـ عز وجل ـ: **﴿وقل للمؤمنات يغضن من أبصارهن. . . وتوبوا إلى الله جميعاً﴾** [النور: 31].

فإن فيه تلويناً للخطاب وصرفاً له عن رسول الله ﷺ إلى الكل لإبراز كمال العناية بما في حيزه من أمر التوبة.

---

(1) المصدر نفسه ج 3/172.
(2) البحر المحيط ج 5/283.
(3) تفسير ابن السعود ج 6/161.

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿**خلق الإنسان من عجل سأريكم آيتي فلا تستعجلون**﴾ [الأنبياء: 37].

فإن فيه «تلويناً» للخطاب وصرفاً له عن رسول الله ﷺ إلى المستعجلين بطريقة التهديد والوعيد. أي: (سأريكم نقمتي في الآخرة كعذاب النار وغيره)[1].

وقال ـ أيضاً ـ في تفسيره لقوله ـ تعالى ـ: ﴿**ألم ترَ إلى الذين...، أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة...**﴾ [النساء: 77 ـ 78].

فإن الكلام مسوق من قبله ـ تعالى ـ بطريقة تلوين الخطاب، وصرفه عن رسول الله ﷺ. إلى المخاطبين في الآية الكريمة لبيان حقارة الدنيا وعلو شأن الآخرة)[2].

ومثله في قوله ـ تعالى ـ: ﴿**ما لكم من ملجأ يومئذٍ وما لكم من نكير فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظاً**﴾ [الشورى: 47 ـ 48].

فإن فيه «تلويناً» للكلام «وصرفاً له» عن خطاب الناس بعد أمرهم بالاستجابة و «توجيهاً له» إلى رسول الله ﷺ.

أي: (فإن لم يستجيبوا وأعرضوا عما تدعوهم إليه، فما أرسلناك رقيباً ومحاسباً عليهم)[3].

وإذا تأملنا السياق الكريم في كل موضع من المواضع السابقة ـ وغيرها ـ وأنعمنا النظر في مواضع تفسيرها عند أبي السعود في مؤلفه

(1) المصدر السابق ج 6/67.
(2) المصدر نفسه ج 4/204.
(3) تفسير أبي السعود ج 8/32.

المسمى «إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم».

وجدنا أن عبارات «تلوين الخطاب» أو «التوجيه له» أو «الصرف له». تقابل دلالة «الالتفات» أو هي من فروع «الالتفات» ذلك الفن البلاغي الواسع.

المبحث الرابع ـ أساليب جديدة من «فن الالتفات»

إن «الالتفات» فن بلاغي أصيل، واسع الأفق، فلا يمكن تقييده ببعض الأنماط ولا حصره ببعض الشواهد، فإنه يتضمن ألواناً تعبيرية متعددة، وأساليب متنوعة الأغراض والدلالات. انطلاقاً من هذه الفكرة، حاولت ـ بقراءة متأنية للنص الكريم، مستعيناً بكتب التفسير ـ غرس بعض الزهرات الجديدة أضيفها إلى رياض هذا الفن الجميل، قسمتها إلى عدة أنماط:

النمط الأول ـ «العدول من معرفة إلى أخرى»:

قد يعدل السياق الكريم من معرفة إلى أخرى لتحقيق مزية بلاغية يقتضيها المقام ومقتضى الحال، ويمكن تقسيم هذا النوع من الالتفات إلى أربع صور:

الصورة الأولى:

قد ينصرف السياق إلى الضمير ويعدل عنه إلى اسم الإشارة فيأتي في موضعه، لتحقيق نكتة بلاغية، كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿**والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر هؤلاء يبور**﴾ [فاطر: 10].

فأنت ترى أن العدول عن الضمير «هم» وإيثار اسم الإشارة «أولئك» ومجيء القول الكريم ﴿ومكر أولئك﴾، بدلاً من القول ﴿ومكرهم﴾ أفاد

الإيذان بكمال تميزهم بما هم فيه من الشر والفساد عن سائر المفسدين واشتهارهم بذلك، فضلاً عما أفاده السياق من معنى البعد للتنبيه على ترامي أمرهم في الطغيان وبعد منزلتهم في العدوان.

ومثله ـ أيضاً ـ قوله ـ تعالى ـ: **﴿وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين﴾** [الحجر: 66] فقد تضمن السياق الكريم أكثر من مزية بلاغية، **الأولى**: العدول عن الضمير «هم» وإيثار اسم الإشارة «هؤلاء» بدلاً عنه فقال ـ تعالى ـ: ﴿أن دابر هؤلاء﴾ بدلاً عن ﴿دابرهم﴾ للدلالة على اتصافه بصفاتهم القبيحة التي هي مدار ثبوت الحكم. أي: دابر هؤلاء المجرمين مقطوع.

الأخرى: العدول عن صيغة المضارع «تقطع» إلى صيغة المفعول «مقطوع» لكونها أدخل في الدلالة على الواقع.

الصـورة الثانيـة:

وقد يعدل السياق الكريم عن الضمير، إلى الاسم الموصول لتحقيق نكتة بلاغية، كقوله ـ تعالى ـ: **﴿ولما جاء أمرنا نجينا شعيباً والذين معه برحمة منا، وأخذت الذين ظلموا الصيحة﴾** [هود: 94].

فقد عدل سياق الآية الكريمة عن الضمير «هم» إلى الاسم الموصول «الذين» فجاء القول الكريم ﴿فأخذت الذين﴾ بدلاً من أخذتهم، (تسجيلاً عليهم بالظلم وإشعاراً بأن ما أخذهم إنما أخذهم بسبب ظلمهم)[1] وتأمل قوله ـ تعالى ـ: **﴿فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصرف عنها سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون﴾** [الأنعام: 157].

تجد أن السياق الكريم قد آثر أسلوبين من أساليب الالتفات:

(1) تفسير أبي السعود ج 4/237.

الأول: الالتفات من الغيبة «بآيات الله» إلى التكلم بـ «نون» العظمة ﴿**سنجزي**﴾ لتهويل الخطب، ولتربية المهابة، وإلقاء الرهبة في قلوبهم.

الآخر: العدول عن الضمير «هم» لإيثار الاسم الموصول «الذين»، بطريق الالتفات (تنصيصاً على اتصافهم بما في حيز الصلة وإشعاراً بعلة الحكم وإسقاطاً عن رتبة الخطاب. وعبر عما جاءهم بآيات الله تهويلاً للأمر وتنبيهاً على أن تكذيب آية من آيات الله ـ تعالى ـ كاف في الأظلمية، فما ظنك بتكذيب القرآن المنطوي على الكل)[1].

الصـورة الثالثـة:

تتنوع أساليب الالتفات أو العدول في النص القرآني الكريم. فقد يعدل السياق إلى ضمير الغيبة دون الخطاب أو اسم الإشارة لتحقيق نكتة بلاغية يقتضيها المقام، كقوله ـ تعالى ـ: ﴿**هي راودتني عن نفسي**﴾ [يوسف: 26].

ففي التعبير عنها بضمير الغيبة ﴿هي﴾ دون الخطاب أو اسم الإشارة؛ (مراعاة لحسن الآداب مع الإيماء إلى الإعراض عنها)[2] علماً بأن (**يوسف**) ـ عليه السلام ـ لم يسبق أولاً إلى القول، ستراً عليها ـ أي: على امرأة العزيز ـ فلما خاف على نفسه وعلى عرضه الطاهر قال ﴿هي راودتني﴾ وأتى بضمير الغيبة ﴿هي﴾، إذ غلب عليه الحياء أن يشير إليها ويعنيها بالإشارة فيقول: ﴿هذه راودتني﴾ أو ﴿تلك راوَدتني﴾.

الصـورة الرابعـة:

من أكثر صور الالتفات أو العدول استخداماً في الإعجاز المبين: صورة العدول عن الإضمار إلى الإظهار، ومع كثرة وقوع هذا النوع ـ من الالتفات ـ

---

(1) تفسير أبي السعود ج 3/202.
(2) المصدر نفسه ج 42/268.

تتعدد الأغراض البلاغية وتتنوع المزايا الفنية التي يقتضيها كل سياق.

ولتحقيق الدقة في متابعتها نقسمها حسب دلالتها البلاغية إلى عدة مجموعات:

1 ـ لتربية المهابة:

كقوله ـ تعالى ـ: ﴿**ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير**﴾ [البقرة: 107].

فقد عدل السياق الكريم عن الإضمار إلى الإظهار، وذلك بوضع الاسم الجليل في قوله ـ تعالى ـ: ﴿من دون الله﴾ موضع الضمير، كأن يكون «من دونه» لما في هذا العدول من تربية للمهابة، ومن إشعار بنمط الحكم.

ومثله قوله ـ تعالى ـ: ﴿**تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون**﴾ [البقرة: 229].

فإن العدول عن المضمر إلى الظاهر بذكر الاسم الجليل ﴿الله﴾ لتربية المهابة، وإدخال الروعة، فضلاً عن تعقيب النهي بالوعيد للمبالغة في التهديد.

واقرأ قوله ـ تعالى ـ: ﴿**وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون**﴾ [المائدة: 14].

فالعدول عن الإضمار إلى لفظ الجلالة ﴿الله﴾ سبحانه وتعالى لتربية المهابة من إدخال الروعة لتشديد الوعيد، كذلك أفاد التعبير بـ «الصنع» الإيذان برسوخه في ذلك.

قال أبو حيان في تفسيره للنص الكريم: (هذا تهديد ووعيد شديد بعذاب الآخرة إذ موجب ما صنعوا إنما هو الخلود في النار)[1].

(1) البحر المحيط ج / 447.

2 ـ للاستلذاذ بذكر الاسم الظاهر:

فقد يعدل السياق الكريم عن الضمير إلى الاسم الظاهر، للاستلذاذ بالذكر. كقوله ـ تعالى ـ: ﴿**وبالحق أنزلناه وبالحق نزل**﴾ [الإسراء: 105].

فإن مقتضى الظاهر أن يقال (وبه) فترك الضمير «به» وأتى بالاسم الظاهر ﴿وبالحق نزل﴾ لزيادة التمكين والتثبيت، لأن المقام مقام تقرير حكمة الإنزال. وفي هذا العدول عن «به» إلى قوله ـ تعالى ـ ﴿وبالحق﴾ استلذاذ بذكره)[1].

قال الزركشي: (منها ما يفيد الاستلذاذ بذكره. كقوله ـ تعالى ـ: ﴿**وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء**﴾ [الزمر: 74]. ولم يقل (منها) ولهذا عدل عن ذكر الأرض إلى الجنة، وإن كان المراد بالأرض الجنة)[2].

3 ـ قصد التعظيم:

كقوله ـ تعالى ـ: ﴿**لكنا هو الله ربي ولا أشرك بربي أحداً**﴾ [الكهف: 38]. فقد أعاد السياق الكريم ذكر «الرب» وآثره على الإضمار. (لما فيه من التعظيم والهضم للخصم)[2].

ومثله قوله ـ تعالى ـ: ﴿**الحاقة * ما الحاقة**﴾ [الحاقة: 1 ـ 2].

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿**القارعة * ما القارعة**﴾ [القارعة: 1 ـ 2].

يقول الزركشي: (كان القياس ـ لولا ما أريد به من التعظيم والتفخيم ـ (الحاقة ما هي) (القارعة ما هي)[3].

---

(1) المصدر السابق ج 2/387.
(2) البرهان في علوم القرآن ج 2/482.
(3) المصدر السابق ج 2/486.

وتأمل قوله ـ تعالى ـ: ﴿**فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة * وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة**﴾ [الواقعة: 8 ـ 9].

فقد انصرف السياق الكريم إلى الإظهار ﴿ما أصحاب الميمنة﴾، ﴿ما أصحاب المشأمة﴾ (تفخيماً لما ينال الفريقين من جزيل الثواب وأليم العقاب)[1].

ومثله قوله ـ تعالى ـ: ﴿**واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم**﴾ [البقرة: 283].

وقوله ـ عز وجل ـ: ﴿**بل كذبوا بالساعة واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيراً**﴾ [الفرقان: 11].

4 ـ للتبرك والتعليل:

كقوله ـ تعالى ـ: ﴿**إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا * الله وليهما * على الله فليتوكل المؤمنون**﴾ [آل عمران: 122] فقد عدل السياق الكريم عن الإضمار إلى إظهار الاسم الجليل فكان مقتضى الظاهر أن يكون «وعليه فليتوكل» لكن الاسم الكريم جاء ظاهراً للتبرك والتعليل)[2].

5 ـ لإبانة مزيد الاهتمام والتعظيم:

كقوله ـ تعالى ـ: ﴿**وقرآن الفجر * إن قرآن الفجر كان مشهودا**﴾ [الإسراء: 78].

فقد عدل عن الإضمار إلى الإظهار، إبانة لمزيد من الاهتمام بالإعجاز المبين «قرآن الفجر» وتعظيماً لشأنه.

---

(1) المصدر السابق ج 2/486.
(2) البرهان في علوم القرآن ص 2/491.

ومثله ـ أيضاً ـ قوله ـ عز وجل ـ: ﴿**ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون**﴾ [المائدة: 56].

فإن في العدول عن الإضمار إلى الإظهار، تعظيماً وإثباتاً لغلبتهم.

6 ـ للتهويل:

كقوله ـ تعالى ـ: ﴿**ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله**﴾ [آل عمران: 78].

فإن العدول عن الإضمار إلى إظهار الاسم الجليل لتهويل ما أقدموا عليه من القول.

ومنه ـ أيضاً ـ قوله ـ عز وجل ـ: ﴿**وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة**﴾ [التوبة: 105].

فقد (وضع الظاهر موضع المضمر ليفيد تهويل الأمر، فضلاً عما تضمنه السياق الكريم من مزية تربية المهابة)(1).

أي في إظهار قوله ـ تعالى ـ: ﴿إلى عالم الغيب والشهادة﴾.

والانصراف عن الإضمار كقولك (إليه).

7 ـ المبالغة والتقوية:

كقوله ـ تعالى ـ: ﴿**وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شيء علماً، على الله توكلنا**﴾ [الأعراف: 89].

فإن العدول عن الإضمار ـ كقولك (عليه) إلى إظهار الاسم الجليل.

في قوله ـ تعالى ـ: ﴿على الله توكلنا﴾ للمبالغة في التضرع ومثله قوله

---

(1) البرهان في علوم القرآن ج 2/491.

ـ عز وجل ـ: ﴿فإذا عزمت فتوكل على الله * إن الله يحب المتوكلين﴾ [آل عمران: 159]. .

قال الزركشي: (قال ـ تعالى ـ: ﴿إن الله يحب. .﴾ ولم يقل (إنه يحب) أو (لأني أحب)، تقوية لداعيه المأمور بالتوكل بالتصريح بالمتوكل عليه)[1].

8 ـ إزالة اللبس:

كقوله ـ تعالى ـ: ﴿قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء﴾ [آل عمران: 26].

نقل الزركشي عن ابن الخشاب قوله: (قد عدل عن الضمير في قوله ـ تعالى ـ: ﴿تؤتي الملك﴾ فلو قال (تؤتيه) لأوهم أنه الأول.

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿يظنون بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء﴾ [الفتح: 6].

كرر «السوء» لأنه لو قال (عليهم دائرته) التبس فيما يعود الضمير إليه. . .

9 ـ التعليل:

كقوله ـ تعالى ـ: ﴿وعد الله لا يخلف الله وعده﴾ [الروم: 6].

إن السياق الكريم آثر الإظهار في قوله ـ عز وجل ـ: ﴿لا يخلف الله﴾ على إضمار الاسم الجليل لتعليل الحكم وتفخيمه.

ومثله قوله أيضاً ـ عز وجل ـ: ﴿والله يكتب ما يبيّتون فأعرض عنهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا﴾ [النساء: 8].

فإن عدول السياق الكريم عن الإضمار، بإظهار الاسم الجليل لتعليل

(1) تفسير أبي السعود ج 2/101.

الحكم وتقوية استقلال الجملة التذييلية[1].

10 ـ الذم والتقبيح:

كقوله ـ تعالى ـ: ﴿**أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء إنا اعتدنا جهنم للكافرين نزلاً**﴾ [الكهف: 102].

فقد عدل السياق الكريم عن الإضمار إلى الإظهار في قوله ـ تعالى ـ: ﴿للكافرين﴾ ولم يقل (لهم) ذماً لهم وإشعاراً بأن ذلك الاعتداد بسبب كفرهم المتضمن لحسبانهم الباطل[2].

ومثله ـ قوله تعالى ـ: ﴿**أفتعبدون من دون إله ما لا ينفعكم شيئاً ولا يضركم * أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون**﴾ [الأنبياء: 67].

فإن إظهار الاسم الكريم في قوله ـ عز وجل ـ ﴿من دون الله﴾ والعدول عن إضماره كقولك (من دونه) أفاد مزيد استقباح ما فعلوا.

قال ـ تعالى ـ: ﴿**كأن لم يغنوا فيه * ألا بعداً لمدين كما بعدت ثمود**﴾ [هود: 95].

فـ (إن العدول عن الإضمار إلى الإظهار ليكون أدل على طغيانهم الذي أداهم إلى هذه المدينة وليكون أنسب بمن شبه هلاكهم بهلال ثمود)[3].

واقراء قوله ـ تعالى ـ: ﴿**ولا يتمنونه أبداً بما قدمت أيديهم، والله عليم بالظالمين**﴾ [الجمعة: 7].

فقد آثر السياق الكريم الإظهار في قوله ـ تعالى ـ: ﴿بالظالمين﴾ على الإضمار. كقولك (بهم) لذمهم والتسجيل عليهم بأنهم ظالمون.

---

(1) تفسير أبـي السعود ج 3/14.
(2) المصدر نفسه ج 5/248.
(3) المصدر السابق ج 5/258.

11 ـ الإهانة والتحقير:

كقوله ـ تعالى ـ: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان * ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر**﴾ [النور: 21].

فقد أفاد العدول عن الإضمار إلى الإظهار في لفظة ﴿الشيطان﴾ في الموضع الثاني ـ أفاد السياق الكريم في الدلالة على الإهانة والتحقير.

ويبدو أن هذه الدلالة لا تظهر كما لو كان القول (ومن يتبع خطواته).

ومثله قوله ـ عز وجل ـ: ﴿**إن الشيطان ينزغ بينهم إن الشيطان كان للإنسان عدواً مبيناً**﴾ [الإسراء: 53].

12 ـ زيادة التقرير:

كقوله ـ تعالى ـ: ﴿**فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحد**﴾ [الكهف: 110]. فإن العدول عن الإضمار إلى الإظهار في الموضعين ـ «لقاء ربه» «عبادة ربه» ـ مع التعرض لعنوان الربوبية، لزيادة التقرير وللإشعار بعلية العنوان للآمر والنهي ووجوب الامتثال فعلاً وتركاً)[1].

13 ـ قصد العموم:

كقوله ـ تعالى ـ: ﴿**حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها**﴾ [الكهف: 77].

فقد عدل السياق الكريم عن الإضمار في قوله: ﴿استطعما أهلها﴾. فلم يقل (استطعمهم) للإشعار بتأكيد العموم، وإنهما لم يتركا أحداً من أهلها إلا استطعماه، ومع ذلك قابلهم بأحسن الجزاء ـ وفيه التنبيه على محاسن الأخلاق، ودفع السيئة بالحسنة)[2].

---

(1) البرهان في علوم القرآن ج 2/288.

(2) المصدر السابق ج 2/494 ـ 495.

وقوله ـ تعالى ـ: **﴿وما أبرىء نفسي إن النفس لأمارة بالسوء﴾** [يوسف: 53].

فإن السياق الكريم انصرف عن الإضمار فلم يقل (إنها لأمارة) وآثر الإظهار فقال ـ تعالى ـ: ﴿إن النفس لأمارة﴾ ليدل على أن المراد التعميم.

ومثله قوله ـ تعالى ـ: **﴿إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغني من الحق شيئاً﴾** [النجم: 28].

أما قوله ـ عز وجل ـ: **﴿وإنا إذا أذقنا الإنسان منا رحمة فرح بها، وإنْ تصبهم سيئةٌ بما قدّمت أيديهم فإنَّ الإنسانَ كفور﴾** [الشورى: 48].

فإن إيثار الإظهار، والعدول عن الإضمار ـ فلم يقل (فإنه) ـ حقق المبالغة في إثبات أن هذا الجنس شأنه كفران النعيم.

14 ـ قصد الخصوص:

كقوله ـ تعالى ـ: **﴿وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبـي إن أراد النبـي أن يستنكحها﴾** [الأحزاب: 50].

لم يقل (لك) أو (أرادت)، أي: عدل عن الضمير إلى الظاهر للتنبيه على الخصوصية وأنه ليس لغيره ذلك (بل يختص به) النبـي ﷺ ـ حسب اختصاصها به كما ينطق به ـ.

قوله ـ تعالى ـ: **﴿خالصة لك﴾** [الأحزاب: 50].

النمط الثاني ـ «العدول من صيغة إلى أخرى»:

لتحقيق غرض بلاغي أو دلالي أو غيرهما قد يعدل السياق الكريم من صيغة إلى أخرى وهذا النمط يكثر وروده في القرآن الكريم، لذلك توخينا تقسيمة إلى عدة صور منها:

الصـورة الأولـى:

فقد يؤثر السياق الكريم صيغة اسم «الفاعل» أو «اسم المفعول» فيعدل عن صيغة «الفعل» لتحقيق نكتة بلاغية وخصيصة فنية يكشفها السياق.

ومن ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿**أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين**﴾ [آل عمران: 142].

فأنت ترى أن إيثار السياق لصيغة «اسم الفاعل» في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ويعلم الصابرين﴾ وعدوله عن وقوع صيغة الفعل بعد اسم الموصول، كأن يكون القول (والذين صبروا) كما قال ـ تعالى ـ: ﴿الذين جاهدوا﴾.

أفاد الدلالة على (أن المعتبر هو الاستمرار على الصبر فضلاً عما حققه من تجانس وتناسق في المحافظة على الفواصل)(1).

ومثله قوله ـ تعالى ـ: ﴿**إن في ذلك آية لمن خاف عذاب الآخرة ذلك يوم مجموع له الناس * وذلك يوم مشهود**﴾ [هود: 103].

قال الزمخشري: (فإن قلت: لأي فائدة أوثر اسم المفعول على فعله؟ قلت لما في اسم المفعول من دلالات على ثبات معنى الجمع لليوم المشهود وأنه لا بد من أن يكون مضروباً بجمع الناس له)(2).

أي: قد عدل السياق الكريم عن صيغة «يفعل: يجمع» وآثر اسم المفعول المشتق منه «مجموع»، لدلالة على ثبوت معنى الجمع لليوم المشهود الموصوف بالجمع.

كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿**يوم يجمعكم ليوم الجمع**﴾ [التغابن: 9].

---

(1) تفسير أبـي السعود ج 2/91.
(2) الكشاف ج 2/292.

وقد عبر بـ «المجموع» لأن الجمع يكون في المستقبل. وفيه تقرير للجمع وثبوته.

يقول ابن الأثير: (فإنه إنما آثر اسم المفعول الذي هو «مجموع» على الفعل الذي هو «يجمع» لما فيه من الدلالة على ثبات الجمع لليوم، وأنه الموصوف بهذه الصفة، وإن شئت فوازن بينه وبين قوله ـ تعالى ـ: ﴿يوم يجمعكم ليوم الجمع﴾.

(فأنت تعثر على صحة ما قلت)[1] ويبدو أن كلام ابن الأثير منقول من قول الزمخشري.

الصـورة الثانـية:

العدول أو الانصراف عن صيغة «فَعَلَ» إلى صيغة «تَفْعَل» أو «يَفْعَل» لتحقيق نكتة بلاغية؛ من أوائل العرب القدامى الذين أشاروا إلى هذه الصورة هو الفراء فقد ذكر في تفسير قوله ـ تعالى ـ: **﴿فلم تقتلون أنبياء الله من قبل﴾** [البقرة: 91].

إنه «يقول القائل» إنما تقتلون للمستقبل، فكيف قال ـ تعالى ـ: ﴿من قبل﴾ ونحن لا نجيز في الكلام «أنا أضربك أمس».

ألا أنك تعنف الرجل بما سلف من فعله فتقول: (ويحك لم تكذب؟ ألم تبغضك نفسك إلى الناس؟.

ومثله قوله ـ تعالى ـ: **﴿واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان﴾** [البقرة: 102].

ولم يقل (ما تلت الشياطين)، وذلك عربـي كثير في الكلام)[2].

---

(1) المثل السائر ج 2/191.

(2) معاني القرآن ج 1/61.

فكان مقتضى الظاهر أن يكون «قتلتم» ولكن السياق عدل عن ذلك، وصلحت ﴿من قبل﴾ مع قوله ـ تعالى ـ: ﴿فلم تقتلون﴾، و (ليس الذين خوطبوا بالقتل هم القتلة، إنما قتل الأنبياء أسلافهم الذين مضوا فتولوهم على ذلك ورضوا به فنسب القتل إليهم)(1).

ومما يجري هذا المجرى قوله ـ تعالى ـ: ﴿**والله الذي أرسل الرياح فتثير سحاباً فسقناه إلى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور**﴾ [فاطر: 9].

فقد عدل السياق الكريم عن صيغة «فعل» إلى «تفعل» في قوله ـ عز وجل ـ: ﴿فتثير﴾ لغرض تحقيق المبالغة في تحقيق إثارة الرياح للسحاب وتقدير تصوره في ذهن السامع واستحضار تلك الصورة البديعة الدالة على القدرة الربانية الباهرة والحكمة الجليلة.

يقول الزمخشري: (فإن قلت: لم جاء ﴿فتثير﴾ على المضارعة دون ما قبله وما بعده؟ قلت: ليحكي الحال التي تقع فيها إثارة الرياح السحاب، وتستحضر تلك الصورة البديعة الدالة على القدرة الربانية وهكذا، يفعلون بفعل فيه نوع تمييز وخصوصية بحال تستغرب أو تهم المخاطب أو غير ذلك)(2) فأنت تلحظ أن هذا التفنن البلاغي ـ بتوسط يفعل «تثير» بين صيغتي فعل «أرسل» و «سقناه» ـ حقق (استحضار تلك الصورة حتى كأن الإنسان يشاهدها)(3).

يقول ابن الأثير: (هكذا يفعل بكل فعل فيه تمييز وخصوصية كحال تستغرب أو تهم المخاطب أو غير ذلك(4)(*) ولو جاء السياق بصيغة «فعل»

---

(1) المصدر السابق.
(2) الكشاف ج 3/301.
(3) الطراز ج 2/138.
(4) لعلك تلحظ أن هذا القول منقول من كلام الزمخشري.
(*) المثل السائر ج 2/186.

فقال (أثارت) لما تحققت هذه اللمحة البلاغية العظيمة.

ومثله قوله ـ تعالى ـ: ﴿**ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة إن الله لطيف خبير**﴾ [الحج: 63].

قال الزمخشري: (فإن قلت: هل قيل «فأصبحت» ولم صرف إلى لفظ المضارع؟.

قلت: لنكتة فيه، وهي إفادة بقاء أثر المطر بعد زمان.

كما تقول أنعم عليَّ فلان عام كذا فأروح وأغدوا شاكراً له، ولو قلت: فرحت وغدوت لم يقع ذلك الموقع)(1).

وتابع ابن الأثير(2) والعلوي(3) ما ذهب إليه الزمخشري، فذكرا أن السياق الكريم قد عدل عن لفظ (الماضي إلى المستقبل، فقال ـ تعالى ـ: ﴿فتصبح الأرض مخضرة﴾ ولم يقل (وأصبحت) عطفاً على «فأنزل» وذلك لإفادة بقاء أثر المطر زماناً بعد زمان، فإنزال الماء مضى وجوده، واخضرار الأرض باق(2).

ومثله أيضاً قوله ـ عز وجل ـ: ﴿**إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله**﴾ [الحج: 25].

ذكر ابن الأثر أن السّياق الكريم: (عطف المستقبل «ويصدون» على الماضي «كفروا» لأن كفرهم كان وجد ولم يستجدوا بعده كفراً ثانياً، وصدهم متجدد على الأيام لم يمض كونه، إنما هو مستمر يستأنف في كل حين(4).

---

(1) الكشاف ج 21/3.
(2) المثل السائر ج 189/2.
(3) الطراز ج 138/2 ـ 139.
(4) المثل السائر ج 199/2.

فأن ترى أن العدول عن صيغة «فعل» إلى صيغة «يفعل» في قوله ـ تعالى ـ: ﴿يصدون﴾ لأن مجيئه بصيغة «يفعل» يشعر (أنه في كل وقت بصدد ذلك، ولو ـ تعالى ـ: ﴿وصدوا﴾ لأشعر بانقطاع صدهم)[1].

أي: أن في العدول عن عطف الماضي على الماضي تنبيهاً على أن كفرهم ثابت مستمر أما «صدهم» فهو متجدد على مر الأوقات وتكرر الساعات.

وتتنوع الأغراض البلاغية التي تتحققها التراكيب التي تنتمي إلى هذه الصورة.

فقد يفيد عدول السياق الكريم عن صيغة «فعل» إلى «أفعل» أو يفعل، حكاية الحال الماضية، كقوله ـ تعالى ـ: ﴿**وقال الملك إني أرى...**﴾ [يوسف: 43].

فإن مقتضى الظاهر أن يكون القول: (إني رأيت) فعدل السياق عن صيغة «فعل» إلى صيغة «يفعل» «أرى» لحكاية الحال الماضية.

أو يفيد السياق الدلالة على الاستمرار والتجدد، كقوله ـ تعالى ـ: ﴿**وقال نسوة في المدينة إمرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه**﴾ [يوسف: 30].

فإن إيثارهن لصيغة «يفعل»: تراود للدلالة على دوام المراودة.

الصـورة الثالثـة:

قد يعدل السياق الكريم عن صيغة «يَفْعَلُ» فيؤثر صيغة «فَعَلَ» لتحقيق مزية بلاغية، كقوله ـ تعالى ـ: ﴿**ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات والأرض**﴾ [النمل: 87].

---

(1) البرهان في علوم القرآن ج 3/337.

فقد عدل النسق الكريم عن صيغة «يفعل» إلى صيغة «فعل» وذلك في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ففزع من في السموات ومن في الأرض﴾ وكان مقتضى الظاهر أن يكون القول (فيفزع)، لأن الحدث لم يقع بعد، ولكنه عدل إلى صيغة «فعل» إشارة إلى تحقيق وقوعه، فهو لا محالة واقع.

فضلاً عما توحيه صيغة «فزع» من تصور أن الزمن قد طوى، وأنه قد فزع من في السموات ومن في الأرض.

يقول الزمخشري: (فإن قلت: لم قيل (ففزع) دون (فيفزع)؟ قلت: لنكته، وهي الإشعار بتحقيق الفزع وثبوته وأنه كائن لا محالة واقع على أهل السموات والأرض، لأن الفعل الماضي يدل على وجود الفعل، وكونه مقطوعاً به والمراد فزعهم عند النفخة الأولى حين يصعقون)[1].

وذكر ابن الأثير أن الفرق بين صيغة «فَعَلَ» وصيغة «يَفْعلُ» في الأخبار أن صيغة «فعل» تبين هيئة الفعل وتستحضر صورته ليكون السامع كأنه يشاهدها، والغرض بهذا هو الدلالة على إيجاد الفعل الذي لم يوجد)[2].

وأشار العلوي إلى أن إيثار الماضي والعدول إليه دال على مبالغة في الثوابت والاستقرار[3].

اقرأ قوله ـ تعالى ـ: ﴿يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار﴾ [هود: 98].

فقد عدل السياق الكريم عن صيغة «يفعل» إلى صيغة «فعل» فقال ـ عز وجل ـ: ﴿فأوردهم﴾ لتحقق وقوعه لا محالة، وكأنه قد وقع لما في ذلك من

---

(1) الكشاف ج 161/3.
(2) المثل السائر ج 190/2.
(3) الطراز ج 190/2.

الإرهاب والتخويف[1].

واقرأ ـ أيضاً ـ قوله ـ تعالى ـ: **﴿ويوم تسير الجبال وترى الأرض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداف﴾** [الحج : 47].

فقد عدل السياق الكريم عن صيغة «يفعل» بعد قوله ـ تعالى ـ: ﴿تسير﴾ و ﴿ترى﴾ إلى صيغة «فعل» في قوله ـ عز وجل ـ: ﴿وحشرناهم﴾ للدلالة على أن حشرهم قبل التسيير والبروز ليشاهدوا تلك الأحوال، كأنه ـ تعالى ـ قال: وحشرناهم قبل ذلك لأن الحشر هو المهم[2].

ولأن الحشر يقع في المستقبل فقد عبر عنه بصيغة «فعل» تنبيهاً على تحقيق الوقوع، بل كأنه قد وقع فعلاً لمن أنكره.

وإذا تأملت المواضع التي وردت فيها هذه الصور وجدت أن مدلول السياق في هذه المواضع ـ يعدل إلى صيغة «فعل» تقريراً وتحقيقاً لوقوعه في المستقبل بإيهام وقوعه في الماضي والفراغ منه ومبالغة في التهديد والوعيد.

ونرى من المفيد أن نشير ـ هنا ـ إلى أن مثل هذه التراكيب ترد في الغالب في مشاهد البعث والقيامة والحشر، وفي مشاهد وعد المؤمنين بالجنة ووعد الكافرين بالنار[3].

الصورة الرابعة ـ العدول إلى صيغة «أفْعَل»:

فقد يعدل السياق الكريم عن صيغة «المصدر» إلى صيغة «افْعَل».

كقوله ـ تعالى ـ: **﴿قل أمر ربـي بالقسط * وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين﴾** [الأعراف: 29].

---

(1) البحر المحيط ج 5/259.
(2) المثل السائر ج 2/190.
(3) الإكسير في علم التفسير ص 147.

فإن مقتضى الظاهر أن يكون القول (أمر ربي بالقسط ﴿ وبإقامة وجوهكم . . .) . لكن السياق الكريم عدل إلى صيغة «أفعل» لأن المعنى المعبر عنه الذي هو (إقامة الصلاة) معنى مهم . وقد حققت المخالفة في الصيغة ما يأتي :

(أ) دلالة عامة هي ؛ أن الحديث بلغ حداً من المعنى يجب على السامع أن يلتفت إليه .

(ب) دلالة خاصة تحققت بتوجيه الأمر إليهم بإقامة الصلاة ، وهي لبيان مزيد من العناية بالصلاة .

ثم تأمل التعبير عن الصلاة بقوله : ﴿وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد﴾ .

تجد في التعبير بإقامة الوجوه (فيه معنى العزة ورفع الرأس إلى السماء عند مساجد الله حيث تنحني الأصلاب لخالقها ، وتجد في ساحته مؤكدة بذلك أنها لا تنحني لمخلوق ما دامت عرفت الانحناء للخالق)[1] .

يقول ابن الأثير (إنما يفعل ذلك توكيداً لما أجرى عليه فعل الأمر لمكان العناية بتحقيقه)[2] .

وبعبارة موجزة كان تقدير الكلام (أمر ربي بالقسط وبإقامة وجوهكم عند كل مسجد) فعدل عن ذلك إلى فعل الأمر للعناية بتوكيده في نفوسهم فإن الصلاة من أوكد فرائض الله على عباده ، ثم أتبعها بالإخلاص الذي هو عمل القلب .

كذلك قد يعدل عن صيغة «أَفْعَلُ» إلى صيغة «أفْعَل» .

كقوله ـ تعالى ـ: **﴿يا هود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين إن تقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء ، قال:**

(1) خصائص التركيب ص 205 .

(2) المثل السائر ج 2/ 184 ينظر ـ أيضاً ـ الطراز ج 2/ 137 .

﴿أُشهِدُ الله واشْهَدوا أني بريء مما تشركون﴾ [هود: 53 ـ 54].

قال الزمخشري: (فإن قلت هلا قيل: أُشْهِدُ الله وأُشهدكم؟.

قلت: لأن إشهاد الله على البراءة من الشرك إشهاد صحيح ثابت في معنى تثبيت التوحيد وشد معاقده وأما أشهادكم فما هو إلا تهاون بدينهم ودلالة على قلة المبالاة بهم فحسب فعدل به عن لفظ الأول لاختلاف ما بينهما، وجيء به على لفظ الأمر بالشهادة كما يقول الرجل لمن يبس الثرى بينه وبينه: (أشهد على أني لا أحبك) تهكماً به واستهانة بحاله)[1].

فأنت ترى أن السياق الكريم قد عدل عن صيغة «أفْعَلُ»: «أشهد» وآثر صيغة «أفْعَل» لأن المخالفة ـ كما ذكر الزمخشري ـ تحقيق الفرق بين الشهادتين، شهادة الله ـ تعالى ـ على براءته وتلك شهادة صحيحة، وشهادتهم، وتلك شهادة لا فائدة منها إلا التهاون.

فلما وجد هذا الفرق المعنوي بين الشهادتين وجب أن تحقق الصياغة ضرباً من المخالفة، وأنت ترى ـ أيضاً ـ أن صيغة «الأمر» قد (أنزلتهم منزلة المأمور، وجعلت سيدنا «هود» عليه السلام ـ في منزلة الآمر)[2].

فالسياق قد أفاد من صيغة «أفْعَل» دلالة الاستهزاء بهم إذ شهادتهم لا تأثير لها ولا اعتبار بها.

النمط الثالث:

لا يقتصر الالتفات في العبارة القرآنية على العدول عن لفظة إلى لفظة أخرى بل عبر الأسلوب القرآني في هذا المجال حدود الالتفات في اللفظة

(1) الكشاف ج 2/276.
(2) خصائص التراكيب ص 206.

إلى الجملة، فنجد السياق الكريم يعدل عن جملة إلى جملة أخرى لنكتة بلاغية ويمكن تقسيم هذا النمط إلى خمس صور.

الصـورة الأولـى:

قد يعدل السياق الكريم عن الجملة الفعلية إلى الجملة الاسمية لتحقيق خصيصة فنية، كقوله ـ تعالى ـ: ﴿**وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم إذ مزقتم كل ممزق إنكم لفي خلق...**﴾ [سبأ: 7].

قال أبو السعود العمادي في تفسيره للآية الكريمة:

(قد عدل القول الكريم من الجملة الفعلية الدالة على الحدث مثل «تبعثون» أو «تخلقون خلقاً جديداً» إلى الجملة الاسمية المصدرة بـ «إن» وذلك في قوله ـ تعالى ـ: ﴿إنكم لفي خلق جديد﴾ للإشباع في الاستبعاد والتعجب)[1].

ومثله قوله ـ تعالى ـ: ﴿**أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاماً فهم لها مالكون**﴾ [يس: 71].

فقد انصرف القول الكريم عن الجملة الفعلية، أي (نملكها إياهم) إلى الجملة الاسمية ﴿فهم لها مالكون﴾ للدلالة على استقرار مالكيتهم لها واستمرارها)[2].

ومثله قوله ـ عز وجل ـ: ﴿**فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث**﴾ [الأعراف: 176].

فإن إيثار الجملة الاسمية «فمثله كمثل الكلب» والعدول عن الجملة الفعلية، كأنه يقال (فصار مثله كمثل الكلب)، للإيذان (بدوام اتصافه بتلك

---

(1) تفسير أبـي السعود ج 6/122 ـ 123.

(2) المصدر السابق ج 7/178.

الخسيسة وكمال استمراره عليها)[1].

تأمل قوله ـ تعالى ـ: ﴿**وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره**﴾ [النحل: 12] تجد أن السياق الكريم قد عدل عن الجملة الفعلية الدالة على الحدوث ـ كأن يقال: (وسخر النجوم) ـ إلى الجملة الاسمية الدالة على الدوام والاستمرار.

الصــورة الثانيــة:

قد يقتضي المقام عدول السياق عن الجملة الاسمية، والانصراف إلى الجملة الفعلية، كقوله ـ تعالى ـ: ﴿**تحيتهم يوم يلقونها سلام وأعدلهم أجراً كريماً**﴾ [الأحزاب: 44].

فقد عدل السياق الكريم عن الجملة الاسمية المناسبة لما قبلها، كأن يقال: (وأجرهم أجر كريم) أو (ولهم أجراً كريم).

وانصرف إلى الجملة الفعلية فقال ـ تعالى ـ: ﴿وأعد لهم أجراً كريما﴾ فأفاد أي ـ السياق ـ المبالغة في الترغيب، والتشويق إلى الوعد ببيان أن الأجر هو المقصد الأقصى من بين سائر آثار الرحمة، وأنه موجود بالفعل مهيأ لهم، فضلاً عما حققه هذا العدول من الانسجام في مراعاة فواصل الآي[2]، إذا جاء قوله ـ تعالى ـ: ﴿وأعد لهم أجراً كريما﴾ متناسقاً مع الآية الكريمة السابقة ﴿**وكان الله بالمؤمنين رحيما**﴾ [الأحزاب: 43].

وتأمل قوله ـ تعالى ـ: ﴿**إنما سلطانه على الذين يتولونه، والذين هم به مشركون**﴾ [النحل: 100].

تجد أولاً أن السياق الكريم آثر الجملة الفعلية في الصلة الأولى،

---

(1) المصدر نفسه ج 3/293.
(2) تفسير أبي السعود ج 1/107.

﴿يتولونه﴾ لإفادة الاستمرار التجددي.

وتجد ـ ثانياً ـ أنه عدل عن الجملة الفعلية في الصلة الثانية، إلى الجملة الاسمية.

فقال ـ تعالى ـ: ﴿الذين هم به مشركون﴾ للدلالة على الثبات. وتأمل ـ ما أفاده تكرار الاسم الموصول ﴿الذين﴾ من الاحتراز عن كون الصلة الثانية حالية مفيدة؛ عدم دخول غير المشركين من أولياء الشيطان تحت سلطانه.

فضلاً عما حققه النسق الكريم من تقديم الجملة الأولى «الفعلية»: ﴿الذين يتولونه﴾ على الجملة الثانية «الاسمية»: ﴿الذين هم به مشركون﴾ التي تقابل الصلة الأولى في قوله ـ عز وجل ـ: ﴿**إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا * وعلى ربهم يتوكلون**﴾ [النحل: 99].

فتأمل رعاية الموازنة بينها وبين ما يقابلها من التوكل على الله.

فلو جاء السياق الكريم في غير بنيته النصية الكريمة ، التي نزل بها لا نفصل كل من القرينتين مما تقابلها.

الصـورة الثالثـة:

قد يكون الالتفات أو العدول جزء من التركيب.

كقوله ـ تعالى ـ: ﴿**أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين**﴾ [الأنبياء: 55].

ففي انصراف الشق الأخير من التركيب عن الجملة الفعلية إلى الجملة الاسمية ﴿أنت من اللاعبين﴾ إيذان برجحانه عندهم.

تأمل قوله ـ تعالى ـ: ﴿**وقال الشيطان لما قضى الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي**﴾ [إبراهيم: 22].

فقد آثر السياق الكريم الجملة الاسمية المنفية ﴿ما أنا بمصخركم وما أنتم بمصرخي﴾ فكأَنَّ ما مضى كان جواباً منه عن توبيخهم وتقريعهم، وهذا جواب عن استغاثتهم واستعانتهم به في استدفاع ما دهمهم من العذاب فضلاً عما حققه هذا العدول من (مبالغة في بيان عدم إصراخه إياهم، والإشارة إلى أنه ـ أيضاً ـ مبتلي بمثل ما ابتلوا به ومحتاج إلى الأصراخ، فكيف من أصراخ الغير؟)[1].

وتأمل ـ أيضاً ـ قوله ـ عز وجل ـ: **﴿لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك﴾** [المائدة: 28].

فقد انصرف جواب القسم ـ الساد مسد جواب الشرط، كما يقول النحاة ـ عن الجملة الفعلية الواقعة في الشرط ﴿بسطت إليَّ يَدَكَ لتقتلني﴾.

إلى جملة اسمية مصدرة بـ ﴿ما﴾ الحجازية ـ النافية العاملة ـ وقد أفاد اقتران خبرها بـ «الباء» توكيد نفيها.

كذلك أفاد عدول السياق عن الجملة الفعلية إلى الجملة الإسمية المنفية ـ المؤكد نفيها بـ «الباء» المبالغة في إظهار براءة «هابيل» ببيان استمراره على نفي بسط اليد. فالجملة الإسمية المنفية، تدل على دوام الانتفاء.

ثُمَّ وازن بين أجزاء الجملتين، تجد أن الجار والمجرور ﴿إلي﴾ قد تقدم على المفعول به ﴿يدك﴾ في الجملة الأولى، أما في الجملة الثانية فقد جاء متأخراً عن المفعول به ﴿يدي إليك﴾ وفي ذلك إشارة على تحرج «هابيل» عن قتل أخيه «قابيل»، وأنه استسلم له خوفاً من الله)[2].

وجاء الشرط بلفظ الفعل ﴿بسطت﴾، والجواب ـ أو الجزاء ـ بلفظ

---

(1) تفسير أبـي السعود ج 2/10.
(2) الكشاف ج 1/706.

اسم الفاعل ﴿بباسط﴾ ليفيد (أنه لا يفعل ما يكتسب به هذا الوصف الشنيع ولذلك أكده بالباء المؤكدة بالنفي)[1].

قال أحمد الاسكندري: (وإنما امتاز اسم الفاعل عن الفعل بهذه الخصوصية من حيث أن صيغة الفعل لا تعطي سوى حدوث معناه من مفاعل لا غير، وأما اتصاف الذات به فذلك أمر يعطيه اسم الفاعل ومن ثم يقولون: قام زيد فهو قائم، فيجعلون اتصافه بالقيام ناشئاً عن صدوره منه، ولهذا كان معنى قوله ـ تعالى ـ: **﴿لتكونن من المرجومين﴾** [الشعراء: 116].

عدولاً عن الفعل الذي هو «لنرجمنك» إلى الاسم تغليظاً: يعنون أنهم يجعلون هذه لثبوتها ووقوعها به، كالسمة والعلامة الثابتة، ولا يقتصرون على مجرد إيقاعها به»[2].

وأرى من المفيد أن أعرض في نهاية هذا الفصل الملاحظات الآتية:

الأولى: إن أي دارس ـ مهما أوتي من دراية ودربة ـ لا يستطيع أن يحدد فروع هذا الفن العريق، ولا أنماطه أو صوره، بل أجد من التعسف والتكلف أن نغلق أبواب هذا الفن البلاغي الأصيل عند حدود معدة مسبقاً وعلى أنماط ثابتة نقلها الخلف عن السلف، لأن مساحة هذا الفن هي كل ميادين القول الأدبـي البليغ، وفضاءه أرحب من قيودنا.

الثانية: وفرة هذا الأسلوب في التعبير القرآني الكريم، بل أقول معتمداً على استقراء مواضعه في الإعجاز المبين، أنه قد ورد هذا الأسلوب في كل السور الكريمة، المكية منها والمدينة، ويندر أَنْ تخلوا منه سورة من الكتاب العزيز ـ حتى السور القصار ـ وفي أكثر من موضع من كل سورة.

---

(1) الكشاف ج 1/706.
(2) هامش الكشاف ج 1/607 ـ 608.

الثالثة: يؤثر السياق القرآني الكريم هذا الأسلوب ـ في مواضع كثيرة ـ لا لتحقيق أغراض بلاغية ودلالية وأسلوبية فقط، بل لتحقيق ـ أيضاً ـ غرض نفسيّ مؤثر لما تتطلبه صيغة هذا الفن من الانتقال من أسلوب إلى أسلوب، وفي ذلك استجلاب للنفوس واستمالة للقلوب، فضلاً عما يبثه من لمحات مضيئة في «أدب الخطاب» و «أسلوب الحوار» حسبما يقتضيه مقام المتحدث والمتلقي ومقتضى الحال.

الرابعة: إن فناً بلاغياً له مثل هذه الخصائص التركيبية والدلالية، لا بد أن يحظى بنصيب أوفر في دراسته وتحليله في مجال الدرس البلاغي المعاصر وبخاصة الدرس الجامعي.

من مواضيع الالتفات في القرآن الكريم

الالتفـات الضميـري :

1 ـ النمط الأول: من الغيبة إلى الخطاب

البقرة	20_21، 27_28	آل عمران	8_13، 179
النساء	128	المائدة	14_15
الأنعام	1_2، 101_102، 193	الأعراف	192_193، 75، 14
التوبة	3، 19	يونس	75، 68
النحل	42_43، 74، 75	مريم	70_71، 88_89
النمل	90	الروم	11
السجدة	10	النبأ	29_30
التين	7		

2 ـ النمط الثانـي: من الغيبة إلى المتكلم

البقرة	33_34، 159_160	آل عمران	54_80
النساء	54، 80	النحل	2، 121_122
مريم	9	الحج	28
الزخرف	9	ق	22

3 ـ النمط الثالث: من الخطاب إلى الغيبة

البقرة	87_88، 45، 271_27، 209_210	آل عمران	8_9
الأنعام	61_62	التوبة	19
يونس	14_15	النور	2
الروم	39		

الإسراء	63_64	الزخرف	17
الأحزاب	50		

* وضعت أرقام الآيات الكريمة حسب رواية (حفص) عن (عاصم) رضي الله عنهما

4 ـ النمط الخامس: من المتكلم إلى الغيبة

البقرة	23، 159، 172	آل عمران	11، 30، 56، 79
النساء	30، 57	المائدة	14
الأنعام	33، 34، 89، 90، 112،		
	158، 171_172	التوبة	3
يونس	9	الكهف	12، 5
الجن	25	طه	2_4
النمل	83_84	يس	35

5 ـ النمط السادس: من المتكلم إلى الخطاب

البقرة	97	الأنعام	112

من مواضع الالتفات في أسلوب الإظهار في موضع الإظهار

السورة	رقم الآية	السورة	رقم الآية
البقرة	33، 34، 38، 90، 166، 165، 213، 229، 235، 268	آل عمران	19،23،32.
المائدة	56، 59	الأنعام	1، 15، 34، 68، 84، 101
الأعراف	86، 89، 79، 107	التوبة	3، 36، 37، 49، 68، 72، 75، 79، 91، 94، 96، 104، 105، 109، 120، 176، 193
يونس	23، 39، 44، 50، 87	هود	63، 115
يوسف	38، 53	الرعد	22، 23
إبراهيم	44	الحجر	89
النحل	77، 97، 111، 126	الإسراء	8، 34، 47، 78، 85، 88، 89، 99
الكهف	8، 10، 50، 51، 53، 102، 110، 109	مريم	38، 67، 92
طه	52، 123	الأنبياء	3
الحج	11، 44، 52، 53، 55	المؤمنون	3، 41، 117
النور	21، 35، 45	الفرقان	8، 22، 67
الشعراء	63، 67	القصص	7
الروم	7، 33، 45	لقمان	11
ص	4	الزمر	35
الشورى	45	الحجرات	40
الواقعة	9	التغابن	12
الماعون	4، 7		

من مواضع الالتفات العدول من معرفة إلى معرفة أخرى

السورة	رقم الآية	السورة	رقم الآية
البقرة	40، 59، 75، 145، 181، 272	آل عمران	20
المائدة	110	الأنعام	7، 31، 124، 125، 127
الأعراف	76، 145، 172	الأنفال	44
التوبة	3	يونس	15، 51، 60
يوسف	57	الرعد	7، 27، 33
إبراهيم	44	الحجر	66
النحل	35، 37، 39، 60	مريم	73
طه	98	الأنبياء	3، 39
الحج	72	المؤمنون	10
القصص	5	العنكبوت	62
الفرقان	11	الروم	10، 29، 47
فاطر	10، 26	الأحقاف	7
الذاريات	60	الطور	42
المطففين	4	الماعون	2

من مواضع الالتفات الزمني العدول إلى صيغة فعل

يونس	3	التوبة	45
يوسف	2	الرعد	27
إبراهيم	4، 21، 48	النحل	12، 28
الأحزاب	67	سبأ	41

العدول إلى صيغة «يفعل»

هود	19، 109	يوسف	43
الرعد	28	إبراهيم	4
النحل	8، 28	الحجر	5، 7
ص	18		

في القرنية الإعرابية			
السورة	رقم الآية	السورة	رقم الآية
البقرة	177	القلم	9
في الالتفات العددي			
هود	14	يونس	87

بعض المراجع والمصادر

القـرآن الكريم:

1 ـ الإتقان في علوم القرآن ـ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت 911) ـ تحقيق/ محمد أبـي الفضل إبراهيم مكتبة ومطبعة الحسيني ـ القاهرة.

2 ـ إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ـ أبو السعود العمادي (ت 951م) ـ دار إحياء التراث بيروت.

3 ـ أساليب بلاغية، الفصاحة، البلاغة، المعاني ـ د. أحمد مطلوب ـ وكالة المطبوعات ـ الكويت ـ 1980م.

4 ـ إعجاز القرآن ـ السيوطي (ت 911هـ) ـ تحقيق/ سيد أحمد صقر ـ دار المعارف ـ 1963.

5 ـ الإكسير في علم التفسير ـ الطوفي البغدادي (ت 716هـ) ـ تحقيق/ د. عبد القادر حسين، المطبعة النموذجية ـ مصر ـ 1977م.

6 ـ أنـوار الـربيـع في أنـواع البـديـع ـ بـدر الـديـن بـن معصـوم المـدنـي (ت 1120هـ) ـ تحقيق/ شاكر مهدي شاكر ـ مطبعة النعمان ـ النجف/ العراق ـ ط (1) ـ 1968م.

7 ـ الإيضاح في علوم البلاغة ـ الخطيب القزويني (ت 739هـ) ـ دار الكتب العلمية ـ لبنان ـ ط (1) ـ 1985م.

8 ـ البـديـع، عبـد الله بـن المعتـز (ت 296هـ) ـ تحقيـق/ اغنـاطيـوس كراتشفوفسكي ـ مطبعة المثنى ـ بغداد ـ 1967م.

9 ـ البديع في نقد الشعر، أسامة بن منقذ (ت 584هـ) ـ تحقيق/ د. أحمد بدوي، ود. حماد عبد الحميد مطبعة الحلبـي ـ القاهرة ـ 1960م.
10 ـ بديع القرآن، ابن أبـي الاصبع المصري (ت 654هـ) ـ تحقيق/ حفني محمد شرف ـ مطبعة نهضة مصر ـ ط (1) ـ 1957م.
11 ـ البحر المحيط ـ أبو حيان الأندلسي (ت 754هـ) مطبعة السعادة، مصر ـ 1939.
12 ـ البرهان في علوم القرآن ـ بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت 794هـ) ـ تحقيق/ محمد أبـي الفضل إبراهيم مطبعة الحلبـي ـ ط (2) ـ 1957م.
13 ـ البرهان الكاشف في إعجاز القرآن ـ كمال الدين بن عبد الكريم الزملكاني (ت 651هـ) ـ تحقيق/ د. أحمد مطلوب، د. خديجة الحديثي، مطبعة العاني ـ بغداد ـ ط (1) ـ 1974م.
14 ـ البرهان في وجوه البيان ـ أبو الحسين إسحاق بن وهب (ت 372) ـ تحقيق/ د. أحمد مطلوب، د. خديجة الحديثي ـ ط (1) ـ 1967م.
15 ـ البلاغة القرآنية ـ محمد حسين أبو موسى ـ دار الفكر العربـي.
16 ـ تأويل مشكل القرآن ـ ابن قتيبة (ت 276هـ) ـ تحقيق/ سيد أحمد صقر ـ دار إحياء الكتب ـ 1954 ـ مصر.
17 ـ التبيان في علم البيان ـ ابن الزملكاني (ت 651هـ) ـ تحقيق/ أحمد مطلوب، د. خديجة الحديثي، مطبعة العاني ـ بغداد ـ ط (1) ـ 1964م.
18 ـ التحرير والتنوير ـ محمد الطاهر بن عاشور ـ دار الشرقية ـ تونس ـ 1956م.
19 ـ التصوير البياني ـ د. حفني محمد شرف ـ مكتبة الشباب ـ مصر ـ ط (2).
20 ـ الجامع لأحكام القرآن ـ القرطبـي (ت 672هـ) ـ دار الكتاب العربـي ـ القاهرة ـ 1967م.

21 ـ الخصائص ـ ابن جني (ت 392هـ) ـ تحقيق/ محمد علي النجار ـ دار الكتب ـ 1952.

22 ـ خصائص التراكيب ـ د. محمد أبو موسى ـ مكتبة وهبه ـ ط (2) ـ مصر.

23 ـ دلالات التراكيب ـ د. محمد أبو موسى ـ مكتبة وهبه ـ ط (1) ـ مصر ـ 1979.

24 ـ شروح التلخيص (وهي؛ مختصر التفتازاني على تلخيص المفتاح للخطيب القزويني، ومواهب المفتاح لابن يعقوب وعروس الأفراح للسبكي) ـ مطبعة الحلبي ـ 1937م.

25 ـ الطراز المتضمن لأسرار البلاغة، وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة العلوي (ت 749هـ) ـ مراجعة وضبط وتدقيق جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية.

26 ـ الكامل ـ أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (ت 285هـ) ـ تحقيق/ محمد أبي الفضل إبراهيم والسيد شحاتة ـ دار النهضة ـ مصر.

27 ـ كتاب الصناعتين للكتابة والشعر ـ أبو هلال العسكري (ت 395) ـ تحقيق/ علي محمد البجاوي ومحمد أبي الفضل إبراهيم ـ مطبعة الحلبي ـ ط (1) ـ 1952م.

28 ـ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت 528هـ) ـ دار المعرفة بيروت ـ لبنان.

29 ـ المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ابن الأثير (ت 637هـ) ـ تحقيق/ محمد محيي الدين عبد الحميد ـ مطبعة الحلبي ـ مصر ـ 1979.

30 ـ مجاز القرآن ـ أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت 208هـ) ـ تحقيق/ محمد فؤاد سزكين ـ دار الفكر ـ ط (2) ـ 1970م.

31 ـ المحتسب ـ ابن جني (ت 392هـ) ـ تحقيق/ عبد الحليم النجار د. عبد الفتاح إسماعيل شلبي ـ القاهرة ـ 1386هـ.
32 ـ معاني القرآن ـ الفراء (ت 207هـ) ـ تحقيق/ أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار ـ دار الكتب المصرية ـ 1955م.
33 ـ معجم مقاييس اللغة ـ أحمد بن فارس ـ تحقيق عبد السلام محمد هارون ـ مطبعة الحلبي ـ مصر ـ ط (2) ـ 1972م.
34 ـ مفتاح العلوم ـ أبو يعقوب السكاكي (ت 626هـ) ـ تحقيق/ د. أكرم عثمان ـ دار الرسالة ـ بغداد ـ ط (1) ـ 1982م.
35 ـ نقد الشعر ـ قدامة بن جعفر (ت 337هـ) ـ تحقيق/ كمال مصطفى ـ مكتبة المثنى ـ بغداد ـ ط (2) ـ 1963م.
36 ـ نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ـ فخر الدين الرازي (ت 606هـ) ـ تحقيق/ إبراهيم السامرائي، محمد بركات حمدي دار الفكر ـ عمان ـ الأردن ـ 1985.

مصادر أخرى:
37 ـ فن الالتفات في مباحث البلاغيين ـ جليل رشيد فالح ـ مجلة آداب المستنصرية بغداد ـ العدد (9) ـ 1984م.
38 ـ فن الالتفات في البلاغة العربية (رسالة ماجستير) ـ قاسم فتحي سليمان كلية الآداب ـ جامعة الموصل ـ 1988م.

الفصل الثالث

الاعتراض

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أسلوب الاعتراض في القرآن الكريم:

الاعتراض: أسلوب من أساليب التعبير: قال عنه ابن جني: (اعلم أن هذا القبيل من هذا العلم كثير قد جاء في القرآن، وفصيح الشعر ومنثور الكلام، وهو جار عند العرب مجرى التأكيد)[1].

ويقصد بأسلوب الاعتراض (أن يؤتى في أثناء الكلام أو بين كلامين متصلين بجملة أو أكثر لنكتة)[2] بلاغية.

وقد ذكر النحاة أن جملة الاعتراض (جملة صغرى لا محل لها من الإعراب تتخلل جملة كبرى وهي المفيدة تقوية بين جزأي صلة أو إسناد أو مجازاة أو نحو ذلك)[3].

وميز بعضهم بين الجملة الاعتراضية والجملة الحالية، فذكروا ما يأتي:

(أ) امتناع قيام المفرد مقام المعترضة.

(ب) جواز اقترانها بـ «الفاء» و «لن» و «حرف تنفيس».

(ج) كونها طلبية ـ غير خبرية ـ كالأمرية والاستفهامية وغيرها وجوزوا وقوع الجملة الاعتراضية بين ما يأتي:

---

(1) الخصائص ج 1/335.
(2) ينظر/ الإيضاح 206 ـ شروح التلخيص ج 3/237 ـ نهاية الإيجاز ص 111.
(3) تسهيل الفوائد ص113ـ البرهان في علوم القرآن ج 3/56ـ مغني اللبيب ج 2/386.

(أ) الفعل ومرفوعه.

(ب) الفعل ومفعوله.

(ج) المبتدأ والخبر.

(د) ما أصله مبتدأ والخبر.

(هـ) الشرط وجوابه.

(و) القسم وجوابه.

(ز) الموصوف والصفة.

(ح) المعطوف عليه والمعطوف.

ومواضع أخرى يحسن استعمالها في اللغة العربية ومنعوا وقوعها في مواضع، ليس من همنا ذكرها ومعرفتها.

ولا يسمى النحاة الجملة اعتراضية حتى يكون ما قبلها وما بعدها بينهما اتصال لفظي والزمخشري يكثر من ذكر الاعتراض في شيء بين كلامين بينهما اتصال معنوي، فيعترض عليه النحاة[1] ولنا في موقف النحاة الملاحظة الآتية:

لم يتعرض النحاة القدامى لجملة الاعتراض، فلم أجد في (كتاب) سيبويه أو (مقتضب) المبرد أية إشارة إليها.

أما النحاة المتأخرون فلم نجد في مؤلفاتهم إلا إشارات مقتضبة ويبدو أن الدافع لذكرها عندهم هو القرينة الإعرابية، فأنت تجد أن إشاراتهم تتصدرها العبارة الآتية (جملة الاعتراض لا محل لها من الإعراب) مما توحي للدارس كأنها جملة مهملة لو أسقطت لم تختل فائدة الكلام.

وهناك من سمى «الاعتراض»: التفاتاً ـ وهو قدامة بن جعفر[2] وجعله

(1) شروح التلخيص ج 3/238.

(2) نقد الشعر ص 87.

محمد بن علي الجرجاني من أنواع «التتميم»[1]. وينفرد عن التتميم بأنه لا يكون فضلة ولا أخراً. وذهب آخرون إلى أن الاعتراض هو الحشو[2].

ويبدو أن الفرق بينهما ظاهر، وهو:

(أن الاعتراض يفيد زيادة في غرض المتكلم والناظم، والحشو: إنما يأتي لإقامة الوزن لا غير)[3] وذكر يحيـى بن حمزة العلوي أن الاعتراض هو كل كلام أدخل في غيره أجنبـي بحيث لو أسقط لم تختل فائدة الكلام)[4].

وهذا الرأي - أيضاً - غير دقيق فالاعتراض يأتي (لإفادة الكلام تقوية وتسديداً أو تحسيناً)[5].

وجملة الاعتراض ليست أوفر حظاً عند البلاغيين، فقد عدها كثير منهم من أنواع الأطناب، وذكروا بعض الأغراض البلاغية التي تحققها[6]، لكن حديثهم جاء مقصوراً على ذكر بعض الشواهد القرآنية التي نراها مكررة في مؤلفاتهم، فكأن ليس في الكتاب العزيز غير هذه الشواهد؛ وذكروا بعض الأبيات الشعرية التي نقلها بعضهم عن بعض. وجاء الدارسون واختصروا ما في مؤلفات السابقين.

لكن مفسري الإعجاز المبين - وفي مقدمتهم الزمخشري - ودارسي علوم القرآن - وفي مقدمتهم الزركشي - لهم جهود مثمرة، ولمحات مضيئة تهدي الدارس لمثل هذه الظاهرة اللغوية، فقد وقفوا عند مواضع متعددة

---

(1) الإشارات والتنبيهات ص 163.
(2) ينظر مثلاً/ مفتاح العلوم ص 667 - كتاب الصناعتين ص 410 - المثل السائر ج 2/182 - الطراز ج 2/167.
(3) خزانة الأدب ص 326.
(4) الطراز ج 2/167.
(5) مغني اللبيب ج 2/386.
(6) الإيضاح في علوم البلاغية ص 206 - شروح التلخيص ج 3/237.

لجملة الاعتراض في الكتاب العزيز، وحاولوا الكشف عن النكات البلاغية والأسلوبية التي حققتها جملة الاعتراض في تركيب النص القرآني.

وفي خاتمة هذا المقدمة، أرى من المفيد أن أقول: إن موقف البلاغيين والنحاة قد استوقفني، وأنا استقرىء مواضع الجملة الاعتراضية في القرآن الكريم، وقد تجاوزت (مئة وسبعين موضعاً)(1)، فسألت نفسي السؤال الآتي:

إذا كانت جملة الاعتراض قد جاءت في مثل هذا العدد من المواضع الكريمة حتى صارت ظاهرة أسلوبية قرآنية، فهل يليق بنا أن نقول عنها: إنها (جملة لا محل لها من الإعراب.. ولو أسقطت لم تختل فائدة الكلام). ونلوذ بالصمت ولا نضيف شيئاً؟. ثم ألا يتطلب منا ـ نحن المتخصصين بعلوم لغة القرآن تقديم دراسة مستقلة لهذه الظاهرة اللغوية، نتبين فيها أبرز تراكيبها النحوية ومواضعها، ودلالتها البلاغية.

هذه الهواجس وغيرها كانت دافعاً لوضع هذه الدراسة. وقد قسمتها على مبحثين:

المبحث الأول: مواضع وقوع جملة الاعتراض في التركيب القرآني.

المبحث الثاني: الأثر البلاغي لأسلوب الاعتراض.

---

(1) لعل من المفيد أن نذكر أن الاستاذ (محمد عبد الخالق عضيمة) أشار في مؤلفه القيم «دراسات لأسلوب القرآن الكريم في جميع رواياته» ـ أشار إلى خمسة وثلاثين موضعاً فقط. وقد أشار كثير من أهل اللغة القدامى والمتأخرين إلى أن (الاعتراض يرد كثيراً في القرآن الكريم).

* ينظر/ المثل السائر ج 3/42 ـ بل يقول العلوي (الاعتراض في القرآن الكريم أكثر من أن يحصى).

* ينظر/ الطراز ج 2/172 ـ وستجد في نهاية هذه الدراسة بعض مواضع الجملة الاعتراضية في القرآن.

المبحث الأول

يتضمن مواضع وقوع جملة الاعتراض في التركيب القرآني ويضم هذا المبحث نمطين:

النمط الأول: يضم المواضع التي جاء فيها الاعتراض جملة واحدة. ومن هذه المواضع:

(أ): بين الشرط وجوابه، ومن ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿**وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا: إنما أنت مفتر**﴾ [النحل: 101].

فقد وقعت جملة الاعتراض الاسمية ﴿والله أعلم بما ينزل﴾ بين جملة الشرط ﴿إذا بدلنا...﴾ المصدرة بـ ﴿إذا﴾ المتضمنة معنى الشرط ـ وبين جوابه ﴿قالوا﴾.

قال ابن الأثير: (فهذا الاعتراض بين ﴿إذا﴾ وجوابها، لأن تقدير الكلام، (وإذا بدلنا آية مكان آية قالوا إنما أنت مفتر) فاعترض بينهما بقوله ـ تعالى ـ: ﴿والله أعلم بما ينزل﴾.

وهو مبتدأ وخبره وفائدته إعلام القائلين أنه مفتر أن ذلك من الله وليس منه وأنه أعلم بذلك منهم)[1]. ومثله قوله ـ تعالى ـ: ﴿**فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار**﴾ [البقرة: 24].

(ب) بين القسم وجوابه، كقوله ـ تعالى ـ: ﴿**فالحق والحق أقول**

---

(1) المثل السائر ج 3/ 43.

لأملأن جهنم منك﴾ [ص: 84 ـ 85].

الأصل: أقسم بالحق، وجملة ﴿والحق أقول﴾ (اعتراض بين المقسم به والمقسم عليه ومعناه: لا أقول إلا الحق)[1].

(ج) بين المبتدأ والخبر، ومن ذلك قوله ـ تعالى ـ: **﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفساً إلا وسعها أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون﴾** [الأعراف: 42].

فقد وقعت جملة الاعتراض ﴿لا نكلف نفساً إلا وسعها﴾ بين المبتدأ الموصول ﴿الذين...﴾ والخبر الذي هو جملة ﴿أولئك أصحاب الجنة﴾. وقد أفادت جملة الاعتراض (الترغيب في اكتساب ما يؤدي إلى النعيم المقيم ببيان سهولة مناله ويسر تحصيله)[2].

(د) بين ما أصله المبتدأ والخبر: ومن ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً أولئك لهم جنات عدن﴾ [الكهف: 30 ـ 31].

نقل عن ابن عصفور[3] أنه ذكر أن قوله ـ تعالى ـ: ﴿أنا لا نضيع...﴾ اعتراض واقع بين ما أصله مبتدأ، وهو اسم ﴿إن﴾: الذين، وبين الخبر الجملة الاسمية ﴿أولئك لهم جنات عدن﴾.

(هـ) بين الفعل ومفعوله: ومن ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿ليقولن كأن لم تكن بينكم وبينه مودة يا ليتني﴾ [النساء: 73].

قال الزمخشري: (﴿كأن لم يكن بينكم وبينه مودة﴾ اعتراض بين الفعل

---

(1) الكشاف ج 3/384.
(2) تفسير أبي السعود ج 3/228.
(3) المغني اللبيب ج 2/391.

الذي هو ﴿ليقولن﴾ وبين مفعوله، وهو ﴿يا ليتني﴾ والمعنى: كأن لم تتقدم له معكم مودة)[1].

(و) بين الموصوف وصفاته: ومن ذلك قوله ـ تعالى ـ: **﴿فلا أقسم بمواقع النجوم، وإنه لقسم لو تعلمون عظيم، إنه لقرآن كريم﴾** [الواقعة: 75 ـ 77].

فقد اعترض بين الموصوف «قسم» وصفته «عظيم» بجملة ﴿لو تعلمون﴾ كما اعترض بين ﴿أقسم بمواقع النجوم﴾ وجوابه ﴿إنه لقرآن كريم﴾ الذي بينهما، وقد قصد بهذا الاعتراض التأكيد.

ومثله ـ أيضاً ـ قوله ـ عز وجل ـ: **﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان، ومن دونهما جنتان فبأي آلاء ربكما تكذبان، مدهامتان﴾** [الرحمن: 66 ـ 74].

فقوله ـ تعالى ـ: ﴿مدهامتان﴾ صفة لـ ﴿جنتان﴾ وسط بينهما الاعتراض، للتنبيه.

(ز) بين المعطوف والمعطوف عليه، كقوله ـ عز وجل ـ: ﴿فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً أن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين، وقالت امرأة فرعون﴾ [البقرة: 8 ـ 9].

فإن قوله ـ تعالى ـ: ﴿إن فرعون. . .﴾ جملة اعتراضية، واقعة بين الجملة المعطوفة، والجملة المعطوفة عليها، مؤكدة لمعنى خطئهم.

يقول الزمخشري: (وما أحسن نظم هذا الكلام عند المرتاض بعلم محاسن النظم. . .)[2].

ومثله قوله ـ تعالى ـ: **﴿فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم**

---

(1) الكشاف ج 4/544.

(2) الكشاف ج 3/167.

الأنبياء بغير حق، وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلاً﴾ [النساء: 155].

فقوله ـ تعالى ـ: ﴿بل طبع الله عليها بكفرهم﴾ (كلام معترض بين المعطوفين جيء به على وجه الاستطراد مسارعة إلى رد زعمهم الفاسد أي: ليس كفرهم وعدم وصول الحق إلى قلوبهم لكونها غلفاً بحسب الجملة، بل الأمر بالعكس حيث ختم الله عليها بسبب كفرهم)(1).

(ح) بين أجزاء الصلة: كقوله ـ تعالى ـ: **﴿والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة﴾** [يونس: 27].

جاءت جملة ﴿وترهقهم ذلة﴾ معطوفة على ﴿كسبوا السيئات﴾، فهي من الصلة وما بينهما اعتراض بين به قدر جزائهم، وجملة ﴿ما لهم من الله عاصم﴾: خبر.

ونكتفي ـ هنا ـ بعرض هذه المواضع، أما المواضع الأخرى التي جاءت أمثلتها في القرآن الكريم، فقد وجدنا من المفيد أن نشير إليها خلال ذكرها ابتعاداً عن التكرار.

النمط الثاني: ويضم هذا النمط ثلاث صور، هي:

الصورة الأولى: الاعتراض بأكثر من جملة: ومن ذلك قوله ـ تعالى ـ: **﴿ووصينا الإنسان بوالديه، حملته أمه وهناً على وهن وفصاله في عامين، أن اشكر لي ولوالديك﴾** [لقمان: 14].

فاعترض بقوله ـ تعالى ـ: ﴿حملته أمه وهناً على وهن وفصاله في عامين﴾ بين ﴿ووصينا﴾، وبين الموصى له، وفائدة ذلك: (اذكار الولد بما كابدته أمه في المشقة، في حمله وفصاله، فذكر الحمل والفصال يفيد زيادة

---

(1) تفسير أبي السعود العمادي ج 3/ 228.

التوصية بالأم لتحملها من المشاق والمتاعب في حمل الولد ما لا يتكلفه الوالد، ولهذا جاء في الحديث الشريف: التوصية بالأم ثلاثاً وبالأب مرة واحدة)[1] فقد خص الاعتراض الأم بالذكر تنبيهاً على اختصاصها بمزيد المشقة وتعاطي المباشرة له في كل أحواله، وأنت تتلمس في هذا الاعتراض حسن الوصف وروعة السياق.

قال الزمخشري: (فإن قلت: فقوله ـ تعالى ـ: ﴿حملته أمه وهناً على وهن، وفصاله في عامين﴾.

كيف اعترض بين المفسر والمفسر؟:

قلت: لما وصى بالوالدين ذكر ما تكابد الأم وما تعانيه من المشاق والمتاعب في حمله وفصاله هذه المدة المتطاولة إيجاباً للتوصية بالوالدة خصوصاً وتذكيراً بحقها العظيم مفرداً)[2].

ولعل من المفيد أن نشير ـ هنا ـ إلى أن النص القرآني السابق قد ذكره بعض البلاغيين[3] شاهداً على إفادة الاعتراض، (تخصيص أحد المذكورين بزيادة التأكيد على أمر علق بهما).

وهذا الاعتراض وقع بين الفعل «وصينا» ومتعلقه ﴿أن اشكر لي ولوالديك﴾ ومثله ـ أيضاً ـ قوله ـ عز وجل ـ: ﴿**رب إني وضعتها أنثى، والله أعلم بما وضعت، وليس الذكر كالأنثى وإني سميتها مريم**﴾ [آل عمران: 36]. فيمن قرأ بسكون «تاء» ﴿وضعت﴾.

فالجملتان المصدرتان بـ ﴿إني﴾ من قولها ـ عليها السلام ـ ما بينهما،

---

(1) البرهان في علوم القرآن ج 3/58.
(2) الكشاف ج 3/232.
(3) ينظر الإيضاح ص 116 ـ 117.

اعتراض والمعنى: وليس الذكر الذي طلبته كالأنثى التي وهبت لها.

ويرى الزمخشري أن في النص الكريم جملتين «معترضتين»[1]. وذكر ابن هشام أن (ذلك فيه نظر، لأن الذي في الآية الثانية اعتراضان، كل منهما بجملة لا اعتراض واحد بجملتين)[2].

ومما يجري هذا المجرى، الاعتراض بأكثر من جملة بين الموصوف وصفته، قوله - تعالى -: **﴿ذلكم الله ربي عليه توكلت وإليه أنيب فاطر السموات والأرض﴾** [الشورى: 10 - 11].

فقد اعترض بقوله - تعالى -: ﴿عليه توكلت وإليه أنيب﴾ بين الصفة ﴿فاطر السموات والأرض﴾ والموصوف[3] لفظ الجلالة ﴿الله﴾.

الصورة الثانية: الاعتراض بأكثر من جملتين: من ذلك قوله - تعالى -: **﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان، فبأي آلاء ربكما تكذبان، ذواتا أفنان، فبأي آلاء ربكما تكذبان، فيهما عينان تجريان، فبأي آلاء ربكما تكذبان، فيهما من كل فاكهة زوجان، فبأي آلاء ربكما تكذبان، متكئين على فرش بطائنها من استبرق وجنى الجنتين دان﴾** [الرحمن: 46 - 54].

جاء في كتاب شروح التلخيص[4] وغيره[5] («في قوله - تعالى -: ﴿متكئين على فرش بطائنها من استبرق﴾ يجوز أن تكون حالاً من قوله - تعالى -: **﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾**فيلزم أن يكون فيه اعتراض بسبع جمل مستقلات، إن كان ﴿ذواتا أفنان﴾ خبر مبتدأ محذوف، وإلا فيكون

---

(1) الكشاف ج 2/425.
(2) مغني اللبيب ج 2/394.
(3) الكشاف ج 3/462.
(4) شروح التلخيص ج 3/244.
(5) الإتقان ج 1/224.

بست جمل، وهذا مثال حسن لا غبار عليه، ومن أحسن ما يمثل به اعتراض أكثر من جملة).

ومثله قوله ـ تعالى ـ: ﴿**وقيل يا أرض ابلعي ماءك، ويا سماء اقلعي وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجودي وقيل بعداً للقوم الظالمين**﴾ [هود: 44].

فإن قوله ـ تعالى ـ: ﴿وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجودي﴾ ثلاث جمل معترضة بين ﴿وقيل يا ارض ابلعي ماءك﴾ وقوله ـ سبحانه ـ: ﴿قيل بعداً﴾.

ويبدو لي ـ والله أعلم ـ أن اختيار عبارة: الاعتراض بسياق واحد، للصورة الثانية أقرب إلى الواقع النحوي واللغوي والدلالي للنص الكريم من عبارة (الاعتراض بأكثر من جملة أو جملتين)، لأن هاتين الجملتين ـ أو أكثر ـ تشكلان سياقاً واحداً ترتبط ألفاظه نظماً ودلالة.

فضلاً عن أن هذا الرأي يبعد النص الكريم عن الخلاف[1] الذي لا فائدة فيه وقد يبعد الدارس عن الهدف الأهم، وهو البحث عن فائدة الاعتراض والنكت البلاغية التي حققها بمعونة السياق.

الصورة الثالثة: وقوع الاعتراض في الاعتراض:

ومن ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿**فلا أقسم بمواقع النجوم، وإنه لقسم لو تعلمون عظيم، إنه لقرآن كريم**﴾ [الواقعة: 75 ـ 77].

ففي النص الكريم اعتراضان:

---

(1) ومن ذلك ما نقله (الزركشي ـ في البرهان ج 3/62 ـ وابن هشام في مغني اللبيب ج 2/394 ـ وأبو حيان، البحر المحيط ج 4/348 ـ 349 (من خلاف حول عدد الجمل المعترضة في النص الكريم).

أحدهما: جملة اسمية ابتدائية، هي قوله ـ تعالى ـ: ﴿وإنه لقسم لو تعلمون عظيم﴾ فأتى بها اعتراضاً بين القسم وجوابه، على قصد المبالغة للمقسم به واهتماماً بذكر حاله قبل جواب القسم، وفيه إعظام له، وتفخيم لشأنه. وذلك يكون أوقع في النفوس وأدخل في البلاغة.

ثانيهما: جملة فعلية بين الموصوف والصفة، وهو قوله ـ تعالى ـ: ﴿لو تعلمون﴾ فإنه ـ سبحانه وتعالى ـ وسطه بين الموصوف والصفة، تفخيماً لشأنه وتعظيماً لأمره، كأنه قال: وإنه لقسم لو علمتم حاله أو تحققتم أمره، لعرفتم عظمة شأنه وفخامته. فأنت ترى أن هذين الاعتراضين (قد اختصا بمزيد البلاغة وموقع الفخامة مبلغاً لا ينال)[1].

ومثله ـ أيضاً ـ قوله ـ عز وجل ـ: ﴿**وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجودي**﴾ [هود: 44]. فهذا التركيب الكريم جاء معترضاً بين قوله ـ تعالى ـ: ﴿وقيل يا أرض ابلعي ماءك﴾ وقوله ـ عز وجل ـ: ﴿وقيل بعداً﴾. وما يهمنا ـ في هذه الصورة ـ أن في النص الكريم اعتراضاً في اعتراض: فإن قوله ـ تعالى ـ: ﴿وقضي الأمر﴾ معترض بين ﴿وغيض الماء﴾ وبين: ﴿واستوت على الجودي﴾. وفي ذلك نكتة هي: إفادة أن هذا الأمر واقع بين القولين لا محالة، ولو أتى به آخراً لكان الظاهر تأخره، فبتوسطه ظهر كونه غير متأخر. وفي دخول الاعتراض على الاعتراض فائدة عامة هي: أن السياق قد أفاد معنى أن الاستواء يحصل عقب الغيض[2].

وذكر الزركشي (أنه منه قوله ـ تعالى ـ في سورة «العنكبوت» حكاية عن إبراهيم ـ عليه السلام ـ قوله: ﴿**اعبدوا الله واتقوه**﴾ [العنكبوت: 16]. ثم اعترض تسلية لقلب النبي ﷺ بقوله: ﴿**إن تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم**

---

(1) الطراز ج 2/170.
(2) الإتقان في علوم القرآن ج 1/224.

وما على الرسول إلا البلاغ المبين﴾ [العنكبوت: 17]. وذكر آيات إلى أن قال: **﴿فما كان جواب قومه﴾** [العنكبوت: 24]. يعني قوم إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ فرجع إلى الأول)[1].

قال السبكي في «شروح التلخيص» (لا مانع من وقوع الاعتراض في الاعتراض عند البيانيين بل على قواعد النحاة ـ أيضاً ـ[2]. ولكننا لا ندري لم جعل «السبكي» الشاهد القرآني الأول ﴿وإنه لقسم لو تعلمون عظيم﴾ اعتراضاً نحوياً، وقوله ـ عز وجل ـ: ﴿وغيض الماء وقضي الأمر...﴾ اعتراضاً في اعتراض بياني[3]؟ وما الفائدة من هذا التقسيم؟.

الصورة الرابعة: هذه الصورة لم يتعرض لها كثير من البلاغيين في حديثهم عن أنماط الاعتراض، وإنما ذكروها منفصلة عن تلك الأنماط، والصحيح ـ كما سيتبين لنا ذلك ـ أنها من صور الاعتراض، وهذه الصورة كثر[4] ورودها في الكتاب العزيز، فقد أطلق عليها بعض البلاغيين

---

(1) البرهان في علوم القرآن ج 3/63.
(2) شروح التلخيص ج 3/345.
(3) المصدر السابق ج 3/346.
(4) ومن مواضع هذه الصورة في القرآن الكريم:
سورة النساء، الآيات: 79، 84، 139.
سورة الأنفال، الآيتان: 51، 52.
سورة يوسف، الآية: 65.
سورة الحج، الآيات: 10، 48، 52، 53.
سورة العنكبوت، الآية: 32.
سورة فصلت، الآية: 46.
سورة الصف، الآية: 5.
سورة المائدة، الآيات: 54، 17، 7.
سورة التوبة، الآية: 81.
سورة طه، الآيتان: 61، 64.

«الاعتراض التذييلي»[1]، والشرط في التذييل كونه يعقب جملة يقيد كونها للتأكيد من غير اشتراط كون تلك المعقب بها لها محل. ومن غير اشتراط كون الجملة الواقعة اعتراضاً تذييلياً، بين كلامين متصلين أم لا فالاعتراض إذن يشمل هذه الصورة، (لأنه يكون بين كلامين متصلين لا محل له، والنكتة يجوز أن تكون هي للتأكيد في الاعتراض، فيكون بينه وبين التذييل عموم من وجه لاجتماعهما في هذه الصورة، وانفراد التذييل بما لا يكون بين كلامين متصلين، وانفراد الاعتراض بما لا يكون للتأكيد)[2]. والاعتراض يفيد (توكيد مضمون ما قبله وتعزيزه)[3].

ومن ذلك قوله ـ تعالى ـ: **﴿أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت وكان أمر الله مفعولاً * أن الله لا يغفر أن يشرك به. . .﴾** [النساء: 47 ـ 48]. فقوله ـ عز وجل ـ: ﴿وكان أمر الله مفعولاً﴾ اعتراض تذييلي مقرر لما سبق وتقوية للسياق القرآني. ومثله قوله ـ عز وجل ـ: ﴿الذين يبخلون ويأمرون الناس. . . واعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً﴾، فجملة ﴿واعتدنا للكافرين عذاباً

= سورة النور، الآيتان: 35، 41.
سورة السجدة، الآية: 9.
سورة الحديد، الآية: 29.
سورة التغابن، الآيتان: 4، 8.
سورة الأعراف، الآيات: 3، 151، 155، 170.
سورة يونس، الآيات: 18، 83، 92.
سورة الأنبياء، الآية: 45.
سورة الفرقان، الآية: 29.
سورة يس، الآية: 80.
سورة المجادلة، الآية: 6.

(1) الإيضاح ـ للقزويني ص 118.
(2) شروح التلخيص ج 3/242.
(3) تفسير أبي السعود ج 6/291.

مهيناً﴾ اعتراض تذييلي مقرر لما قبله[1].

ومثله أيضاً ـ عز وجل ـ ﴿لا يؤاخذكم الله باللغو . . . والله غفور عليم﴾ [البقرة: 225]. جملة اعتراض تذييلي مقرر لمضمون قوله تعالى: ﴿لا يؤخكم . . .﴾.

ومثله ـ أيضاً عز وجل ـ: ﴿**وشاركهم في الأموال والأولاد وعدهم، وما يعدهم الشيطان إلا غروراً، إن عبادي ليس لك عليهم سلطان**﴾ [الإسراء: 64 ـ 65]. فإن قوله ـ عز وجل ـ: ﴿وما يعدهم الشيطان إلا غروراً﴾ اعتراض تذييلي لبيان شأن مواعيده (والالتفات إلى الغيبة لتقوية معنى الاعتراض مع ما يتضمن من صرف الكلام عن خطابه وبيان شأنه للناس ومن الإشعار بعلية شيطنته للغرور، وهو تزيين الخطأ بما يوهم أنه صواب)[2].

(1) المصدر السابق ج 2/ 177.
(2) تفسير أبـي السعود ج 5/ 184.

المبحث الثاني

الأثر البلاغي لأسلوب الاعتراض

لا يأتي أسلوب الاعتراض إلا لغرض بلاغي، ونكتة يفصح عنها السياق ومن صور هذا الأثر البلاغي:

الصورة الأولى: كثر ورود أسلوب الاعتراض لتقرير الكلام وتقويته وتسديده: ومن ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿**تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد، في الأرض**﴾ [يوسف: 73]. فقوله ـ تعالى ـ: ﴿لقد علمتم﴾: اعتراض بين القسم وجوابه. وفائدته (تقرير علمهم بالبراءة من الفساد والبعد عن تهمة السرقة ثم أنهم مع إثبات علمهم بذلك أكدوا ذلك بالقسم مبالغة في الأمر)(1).

ومثله قوله ـ تعالى ـ: ﴿**وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون**﴾ [النمل: 34]. فقد اعترض بقوله ـ عز وجل ـ: ﴿وكذلك يفعلون﴾ أوّل كلام بلقيس، وبقية كلامها «إني مرسلة إليهم بهدية...» ليفيد هذا الاعتراض تقرير الكلام وثبوته، وعن قيمة هذا الأسلوب وبلاغته.

يقول ابن الأثير:(ومن غريبة وعجيبة قوله ـ جل وعلا ـ: ﴿**وإذا قتلتم نفساً فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون**﴾ [البقرة: 72].

---

(1) الطراز ج 2/171.

فقوله ـ تعالى ـ: ﴿والله مخرج﴾ جملة ابتدائية وردت معترضة بين الكلامين، وفائدتها: التقرير في نفوس السامعين بأن تدافع بني إسرائيل في قتل النفس ليس نافعاً لهم في إخفائه وكتمانه، لأن الله ـ تعالى ـ مظهره، وتعريف بأنه تعالى مطلع على كل خافية. ولو جاء الكلام غير معترض فيه لكان: وإذ قتلتم نفساً فادارأتم فيها فقلنا اضربوه بعضها. ولا يخفى على البليغ الفرق بين ذلك وبين كونه معترضاً)(1).

فأكرم بمعاني التنزيل فما أنفعها وأعلى مكانها وأرفعها.

وذكر الزمخشري في تفسيره لقوله ـ تعالى ـ: **﴿ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفاً، واتخذ الله إبراهيم خليلاً * ولله ما في السموات وما في الأرض﴾** [النساء: 125 ـ 126]. (إن قوله ـ عز وجل ـ: ﴿واتخذ الله إبراهيم خليلاً﴾ جملة اعتراضية ـ لا محل لها من الإعراب ـ فائدتها: تأكيد وجوب اتباع ملته لأن من بلغ من الزلفى عند الله اتخذه خليلاً، كان جديراً بأن تتبع ملته وطريقته)(2).

ومثله قوله ـ تعالى ـ: **﴿وهو السميع العليم * صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون﴾** [البقرة: 137 ـ 138]. فقوله ـ عز وجل ـ: ﴿ومن أحسن من الله صبغة﴾، جملة اعتراضية (مقررة لما في صبغة الله من معنى النجاح والابتهاج)(3).

ومثله ـ أيضاً ـ قوله ـ عز وجل ـ: **﴿وآمنوا بما نُزِّل على محمد وهو الحق من ربهم﴾** [محمد: 2]. فقد أفادت الجملة الاعتراضية ﴿وهو الحق من ربهم﴾ التوكيد المقرر لمعنى النص القرآني الكريم.

---

(1) المثل السائر ج 3/ 43.
(2) الكشاف ج 1/ 566.
(3) تفسير أبـي السعود ج 1/ 168.

الصورة الثانية: قد يقصد بأسلوب الاعتراض، التنزيه:

ومن ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿**ويجعلون لله البنات سبحانه وله ما يشتهون**﴾ [النحل: 57]. وتقديره: ويجعلون لله البنات ولهم ما يشتهون. فاعترض بين المفعولين بـ ﴿سبحانه﴾ وهو مصدر[1] لغرض التنزيه عما نسبوه إليه من اتخاذ البنات، ومبالغة في الإنكار عليهم في هذه المقالة، فكأنه قال: ويجعلون لله البنات وهو منزه عن ذلك، ولهم ما يشتهون. وفيه تعظيم له ـ تعالى ـ، وفيه ـ أيضاً ـ: الشناعة على من جعل البنات لله. قال ابن يعقوب المغربي ـ في شروح التلخيص ـ (ولو أعرب ﴿ولهم ما يشتهون﴾: جملة حالية بأن يكون التقدير: (ويجعلون لله البنات والحال أن لهم ما يشتهون من البنين) لم يبلغ منزلة إفادة هذه الشناعة المستفادة من العطف المؤكد بالتنزيه)[2].

فانظر إلى ما اشتملت عليه هذه اللفظة، أعني قوله: ﴿سبحانه﴾ من حسن الموقع بكونها واردة على جهة الاعتراض، وما تضمنته من الفوائد الشريفة والأسرار الخفية (من الإنكار والتهكم وإظهار التعجب من حالهم وغير ذلك من اللطائف فسبحان الله لقد أنشأت هذه الآية للعارفين استطرافاً وعجباً، وحركت قلوبهم أشواقاً وطرباً، لما اشتملت عليه من عجائب الفصاحة التي لا يطلع بها لسان، ومن غرائب البلاغة ما لا يطلع على فجها إنسان)[3].

الصورة الثالثة: قصد التنبيه:

ومن ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿**حذر الموت، والله محيط بالكافرين، يكاد البرق يخطف أبصارهم**﴾ [البقرة: 19ـ20]. فإن جملة ﴿والله محيط بالكافرين﴾،

---

(1) المثل السائر ج 42/3.

(2) شروح التلخيص ج 239/3.

(3) الطراز ج 170/2.

اعتراض، و «الواو» تسمى اعتراضية ونكتة هذه الجملة الاعتراضية ـ كما يقول الزمخشري: (التنبيه على أن الحذر من الموت لا يفيد)[1].

واقرأ قوله ـ تعالى ـ: **﴿ألم تر إلى ربك كيف مد الظل، ولو شاء لجعله ساكناً ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً﴾** [الفرقان: 45]. فقد اعترض تركيب الشرط ﴿ولو شاء لجعله ساكناً﴾ بين المعطوفين: ﴿ألم تر إلى ربك. . .﴾ و ﴿ثم جعلنا الشمس. . .﴾ ليفيد التنبيه من أول الأمر على أنه لا مدخل فيما ذكر من المد للأسباب العادية[2].

الصورة الرابعة: تفيد الوعد والوعيد:

ومنها قوله ـ تعالى ـ: **﴿وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها وما يمكرون إلا بأنفسهم وما يشعرون﴾** [الأنبياء: 123]. إن قوله ـ تعالى ـ: ﴿وما يمكرون إلا بأنفسهم﴾: (اعتراض على سبيل الوعد لرسول الله ﷺ، والوعيد للكفرة، وما تحيق غائلة مكرهم إلا بهم)[3].

الصورة الخامسة: تفيد الترغيب:

ومن ذلك قوله ـ تعالى ـ: **﴿كلا إنها تذكرة * فمن شاء ذكره * في صحف مكرمة﴾** [عبس: 11 ـ 13]. فإن قوله ـ تعالى ـ: ﴿في صحف﴾ متعلق بمضمر هو صفة لـ ﴿تذكرة﴾ وما بينهما ـ أي: فمن شاء ذكره: اعتراض جيء به للترغيب فيها، والحث على حفظها.

صور أخرى: ليس بمقدور أي دارس أن يحصر الأغراض البلاغية والنكت الإعجازية التي يحققها أسلوب الاعتراض في القرآن الكريم، فكل غرض متعلق نوعه وفائدته بدلالة السياق ومضمونه، ونظامه. وإننا نعلم أن

---

(1) الكشاف ج 1/218.
(2) تفسير أبـي السعود ج 6/22.
(3) المصدر السابق ج 3/182.

السياق القرآني - في هذا المجال وفي غيره - أكبر كثيراً من أن يحصى، وليس من الدقة العلمية أن نقيد فوائد الاعتراض بأغراض محددة، ولكني أجد من باب إتمام فائدة هذه الدراسة عرض المزيد من الشواهد القرآنية المتضمنة مزيداً من النكات والأسرار البلاغية.

فقد يقصد بالاعتراض: التبرك، كقوله - عز وجل -: ﴿**لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين**﴾ [الفتح: 27]. أو يقصد به: الثناء، كقوله - تعالى -: ﴿**وزكريا ويحيى وعيسى والياس، كل من الصالحين...**﴾ [الأنعام: 85]. فجملة ﴿كل من الصالحين﴾ اعتراض جيء به للثناء عليهم بالصلاح. ثم جاء قوله - تعالى -: ﴿**وإسماعيل واليسع ويونس ولوطاً وكلاً فضلنا على العالمين**﴾. وأنعم النظر في قوله - تعالى -: ﴿**وكذلك مكنا ليوسف في الأرض، ولنعلمه من تأويل الأحاديث، والله غالب على أمره، ولكن أكثر الناس لا يعلمون، ولما بلغ أشده أتيناه حكماً وعلماً وكذلك نجزي المحسنين، وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت: هيت لك، قال: معاذ الله، إنه ربي أحسن مثواي، إنه لا يفلح الظالمون**﴾ [يوسف: 21 - 32].

فقوله - تعالى -: ﴿وكذلك مكنا﴾ إلى قوله - عز وجل -: ﴿وراودته التي هو في بيتها...﴾: إعتراض جيء به نموذجاً للقصة (ليعلم السامع من أول الأمر أن ما لقيه من الفتن التي ستحكي بتفاصيلها له غاية جميلة وعاقبة حميدة وأنه - عليه السلام - محسن في جميع أعماله ولا يخفى أن مدار حسن التخليص إلى هذا الاعتراض قبل تمام الآية الكريمة إنما هو التمكين البالغ المفهوم من كلام العزيز. فإدراج الإنجاء السابق تحت الإشارة بذلك في قوله - تعالى -: ﴿وكذلك مكنا﴾ كما فعله الجمهور ناء في التقريب والتأمل[1].

(1) تفسير أبي السعود ج 4/264.

وتأمل قوله ـ تعالى ـ: ﴿**وعلى الله قصد السبيل، ومنها جائر ولو شاء لهداكم أجمعين**﴾ [النحل: 9]. فالجملة الاعتراضية ﴿ومنها جائر﴾ جيء بها لإبراز الحاجة إلى البيان والتعديل وإظهار جلال قدر النعمة في ذلك. ومعنى النص الكريم ﴿على الله﴾ تعالى ـ بيان الطريق المستقيم الموصل إلى الحق وتعديله بما ذكر من نصب الأدلة يسلكه الناس باختيارهم ليصلوا إلى المقصد وهذه هي الهداية المفسرة بالدلالة على ما يوصل إلى المطلوب.

واقرأ ـ أيضاً ـ قوله ـ عز وجل ـ: ﴿**قال أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة، فإني نسيت الحوت، وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره وأتخذ سبيله في البحر عجباً**﴾ [الكهف: 63]. فإن قوله ـ تعالى ـ: ﴿واتخذ سبيله في البحر عجبا﴾ بيان لطرف من أمر الحوت منبىء عن طرف آخر منه، وما بينهما اعتراض ـ وهو قوله ـ تعالى ـ: ﴿وما أنسانيه إلا الشيطان أن اذكره. . .﴾ أفاد الاعتناء بالاعتذار.

الخاتمة

عزيزي القارىء، لا أريد الإطالة فيثقل عليك الحديث، لكني في خاتمة هذا الفصل، أجد من الضروري عرض الملاحظة الآتية، وهي أن الاعتراض يحقق تأثيراً نفسياً رائعاً، ويكسب السياق طعماً حلو المذاق، ورغبة في تواصل الاستماع والفهم.

ويبدو لي ـ والله أعلم ـ أن هذا الجانب المهم قد أغفل الإشارة إليه كثير من الدارسين القدامى والمحدثين. لكننا بعد هذه الدراسة المتواضعة، نقول باطمئنان، إن لهذا الفن الأدبي الجميل وهذا الأسلوب الفني الرائع تأثيراً في النفس، يحقق راحة وتشويقاً عميقاً. فقطع العبارة الأولى بعبارة جديدة لا علاقة لها بالنظم، تكسب النفس فسحة زمنية للتفكير والتأمل، ثم التشويق لما سيأتي من كلام يتم فائدة العبارة فتتجدد في النفس رغبة متواصلة للاستماع والفهم والإصغاء بسبب تنوع أساليب العبارة الواحدة، وتزاحم النكات البلاغية.

من مواضع الجملة الاعتراضية في القرآن الكريم

التسلسل	اسم السورة	رقم الآية
1 ـ	البقرة	6، 19، 24، 45، 73، 80، 92، 103، 133، 138، 201، 222، 225، 271
2 ـ	آل عمران	36، 54، 74، 128، 135
3 ـ	النســاء	37، 45، 47، 67، 78، 79، 95، 135، 113، 139، 147، 155، 162
4 ـ	المائدة	7، 17، 54، 59، 106، 107، 124، 130، 140، 142، 145، 152
5 ـ	الأنعام	52، 58، 85، 106، 107، 124، 130، 140، 142،145،152.
6 ـ	الأعراف	3، 42، 90، 95، 97، 99، 102، 151، 155،170
7 ـ	الأنفال	51، 52، 55
8 ـ	التوبة	61، 74، 76، 81، 98
9 ـ	يونس	18، 27، 71، 75، 83، 92، 103
10 ـ	هود	20
11 ـ	يوسف	21، 22، 23، 25، 68، 99، 103
12 ـ	إبراهيم	9
13 ـ	الحجر	21
14 ـ	النحل	9، 14، 42 ـ 43، 57، 101
15 ـ	السراء	64 ـ 65
16 ـ	الكهف	2، 63
17 ـ	مريم	21، 60، 64 ـ 65

التسلسل	اسم السورة	رقم الآيـة
18 ـ	طه	11، 12، 64
19 ـ	الأنبياء	45
20 ـ	الحج	10، 47، 48، 52، 53، 71
21 ـ	المؤمنون	117
22 ـ	النور	35، 42
23 ـ	الفرقان	29، 45
24 ـ	النمل	24، 25
25 ـ	القصص	8، 29
26 ـ	العنكبوت	12، 16، 30، 32
27 ـ	لقمان	14
28 ـ	السجدة	1، 9
29 ـ	الأحزاب	28، 72، 50، 38
30 ـ	يس	80
31 ـ	الصافات	160
32 ـ	ص	24، 39، 70، 75
33 ـ	الزمر	29، 45، 64
34 ـ	غافر	25
35 ـ	فصلت	9، 10، 46
36 ـ	الشورى	7، 10، 11
37 ـ	الدخان	4
38 ـ	الجاثية	
39 ـ	الأحقاف	21

التسلسل	اسم السورة	رقم الآيـة
40 ـ	محمد	2، 26
41 ـ	ق	32
42 ـ	الطور	21
43 ـ	النجم	30
44 ـ	الرحمن	39، 43، 49، 63
45 ـ	الواقعة	2، 76
46 ـ	الحديد	29
47 ـ	المجادلة	6
48 ـ	الصف	5
49 ـ	المنافقون	1
50 ـ	التغابن	4، 8
51 ـ	الملك	20
52 ـ	المعارج	28
53 ـ	نوح	25
54 ـ	عبس	12
55 ـ	المطففين	7، 8، 26
56 ـ	الأعلى	8
57 ـ	الغاشية	22
58 ـ	البلد	2

المراجع والمصادر

القرآن الكريم:

1 - الإتقان في علوم القرآن - السيوطي (ت 911هـ) - تحقيق/ محمد أبي الفضل إبراهيم - ط (1) - مكتبة ومطبعة الحسيني - القاهرة.

2 - أدب الكاتب - ابن قتيبة (ت 276هـ) - محمد محي الدين عبد الحميد - القاهرة - 1954.

3 - الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة - محمد بن علي الجرجاني (ت 816هـ) تحقيق/ د. عبد القادر حسين - دار نهضة مصر - القاهرة.

4 - إعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج (ت 360هـ) - تحقيق/ إبراهيم الأنباري - المؤسسة المصرية العامة للتأليف - 1964.

5 - الأمالي الشجرية - ابن الشجري (ت 544هـ) - دار المعرفة - بيروت - لبنان.

6 - إملاء ما من به الرحمن - العكبري (ت 616هـ) - تصحيح وتعليق/ إبراهيم عطوة عوض - ط (1) - مطبعة الحلبي - مصر - 1961م.

7 - الإيضاح - الخطيب القزويني (ت 739هـ) - مطبعة صبيح - القاهرة - 1971.

8 - البحر المحيط - أبو حيان الأندلسي (ت 745هـ) - مطبعة السعادة، مصر - 1329هـ.

9 ـ البرهان في علوم القرآن ـ الزركشي (ت 794هـ) ـ محمد أبي الفضل إبراهيم ـ ط (2) ـ مطبعة البابي الحلبي ـ 1973م.
10 ـ تأويل مشكل القرآن ـ ابن قتيبة (ت 276هـ) ـ تحقيق/ السيد أحمد صقر ـ دار التراث ـ القاهرة ـ 1973.
11 ـ التأويل النحوي في القرآن الكريم ـ د. عبد الفتاح أحمد ـ مكتبة الرشد، ـ ط (1) ـ 1984م.
12 ـ البيان في أقسام القرآن الكريم ـ ابن قيم الجوزية (ت 751هـ) ـ تحقيق/ طه يوسف شاهين ـ القاهرة ـ 1968م.
13 ـ تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) (ت 672هـ) ـ دار الكتاب العربي للطباعة والنشر 1967م.
14 ـ ثلاث رسائل في إعجاز القرآن (للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني) ـ تحقيق/ محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام ـ دار المعارف ـ مصر.
15 ـ حاشية الشهاب (عناية القاضي وكفاية الراضي)، على تفسير البيضاوي (ت 685هـ) ـ المكتبة الإسلامية.
16 ـ الخصائص ـ ابن جني (ت 393هـ) ـ تحقيق/ محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، ـ ط (1) ـ بيروت.
17 ـ دراسات لأسلوب القرآن الكريم ـ محمد عبد الخالق عضيمة ـ دار الحديث ـ مصر ـ 1973م.
18 ـ شروح التلخيص ـ (للتفتازاني (ت 792هـ) وآخرين) ـ مطبعة الحلبي ـ مصر ـ 1937م.
19 ـ العمدة ـ ابن رشيق أبو علي الحسن القيرواني (ت 456هـ) ـ القاهرة ـ 1934م.
20 ـ القاموس المحيط ـ الفيروزآبادي ـ عالم الكتب ـ بيروت ـ لبنان (د. ت).

21 ـ كتاب الصناعتين ـ لأبـي هلال العسكري (ت 395هـ) ـ تحقيق/ علي محمد البجاوي ومحمد أبـي الفضل إبراهيم ـ مطبعة الحلبـي ـ ط (1) ـ 1952.
22 ـ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ـ الزمخشري (ت 538هـ) ـ دار المعرفة ـ بيروت، و (الانتصاف فيما تضمنه الكشاف) ـ ابن منير الإسكندري (في هامش الكاشف).
23 ـ لسان العرب، ابن منظور (ت 711هـ) ـ المؤسسة المصرية العامة ـ القاهرة ـ مصر.
24 ـ المثل السائر ـ ابن الأثير (ت 637هـ) ـ تحقيق/ أحمد الحوفي ـ بدوي طبانة مكتبة النهضة ـ مصر.
25 ـ مشكل إعراب القرآن ـ مكي بن أبـي طالب القيسي (ت 437هـ) ـ تحقيق/ د. حاتم صالح الضامن مطبعة الأعظمي ـ بغداد ـ 1975.
26 ـ معاني القرآن ـ الفراء (ت 207هـ) ـ تحقيق/ أحمد يوسف نجاتي، عبد الفتاح شلبـي ومحمد علي النجار ـ دار الكتب المصرية ـ (1955، 1973).
27 ـ معاني القرآن وإعرابه ـ الزجاج (ت 311هـ) ـ شرح وتحقيق/ عبد الجليل عبده شلبـي ـ المكتبة المصرية ـ القاهرة ـ 1973.
28 ـ معترك الأقران ـ السيوطي ـ تحقيق/ علي محمد البجاوي دار الفكر العربـي ـ (1969 ـ 1973).
29 ـ معجم ألفاظ القرآن ـ مجمع اللغة العربية ـ القاهرة، الهيئة العامة المصرية للكتاب ـ 1973.
30 ـ معجم المصطلحات البلاغية ـ د. أحمد مطلوب ـ مطبعة المجمع العلمي العراقي ـ 1983.
31 ـ مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ـ ابن هشام (ت 761هـ) ـ تحقيق/

محي الدين عبد الحميد ـ دار الكتاب ـ بيروت ـ لبنان.
32 ـ مفتاح العلوم ـ السكاكي (ت 626هـ) ـ تحقيق/ د. أكرم عثمان يوسف ـ مطبعة الرسالة ـ ط (1) ـ 1982.
33 ـ المفردات في غريب القرآن ـ الراغب الأصفهاني (ت 502هـ) ـ تحقيق/ محمد سيد كيلاني القاهرة ـ 1961م.
34 ـ همع الهوامع ـ السيوطي ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان.

الفصـل الرابـع

مِن بَلاغَة أسلوبُ الحوارُ القُرآني

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة:

منذ زمن ليس بقصير، اختمرت عندي فكرة كتابة دراسة حول «بلاغة الحوار في القرآن» وأنا أعلم علم اليقين أن هذا الجهد سيكون متواضعاً لأن ميدانه امتدت أطرافه إلى أعماق النص القرآني الكريم، وقد تطوّعت أَقلامٌ ـ من القُدامى والمحدثين ـ رصينة، فالتقطت ما حباها الله ـ تعالى ـ من كنوزه شذرات نفيسة عظيمة، وارتشفت من بحوره قطرات بللت بها شفاهها العطشى إلى مزيد، فكنت «أحاور» نفسي حين أحس ترددها.

يا نفسي؛ إنَّ شأنَ هذه السطور شأن كلّ كتابة جديدة، قد يخطئها التوفيق في بعض الأمر، ويعوزها كمال لم يخلق للبشر، فيا نفسي، إن أصبت فلك أجران، وإن أخطأت فلك أجر المجتهد.

فعزمت ـ متوكلاً على الله ـ فقدمت هذه الدراسة، وقد حددت لها تتبع ملحظين فقط ـ من سياق الحوار القرآني ـ لأن ما يحققه هذا السياق الذي شاع وروده في القرآن الكريم من أغراض ودلالات وما يتضمنه من مسائل بلاغية. وأخرى تتعلق بالنظم، ومسائل فنية وغيرها لا يمكن أن يحدها وصف، أو يلم ببعض جوانبها جهد بشري متواضع.

وقد تضمنت هذه الدراسة «مدخلاً إلى أسلوب الحوار القرآني»

وملحظين. أما الملحظان، فقد أفردت لكل منهما مبحثاً:

المبحث الأول: تتبعت فيه بعض ما يحققه نظم الحوار القرآني من قيم تربوية ومبادىء خُلْقِية، ودروس عظيمة في حسن الأدب.

المبحث الثاني: حاولت فيه دراسة دور السياق في وصول الغرض من الحوار وبلوغ المعنى المقصود للمخاطب من حيث لا يشعر به.

وقد اقتضى تحقيق هذين المبحثين استقراء النصوص القرآنية الكريمة التي سلكت أسلوب الحوار، ومحاولة تدبر معانيها وفهم أغراضها، مستعيناً بمؤلفات المفسرين القدامى والمحدثين وجهود البلاغيين وفي مقدمتهم عبد القاهر الجرجاني والزمخشري كما حاولت تتبع ما كُتِب في الحوار القصصي عامة. وفي «الحوار القرآني» خاصة.

مدخل إلى «أسلوب الحوار القرآني»

من المسائل الأدبية المعروفة أن الحوار هو محرك للأحداث في النص القصصي، وهو روح تسري في كيان النص، تصور شخصياته. وبالحوار يتصاعد الصراع ليؤدي الهدف المقصود من العمل الأدبـي.

وليس من الضروري أن يتوافر الحوار في كل قصة، فقد تخلو منه، فيتجه النص مصوراً الأشخاص والأحداث حتى نهايتها.

وإذا تأملنا قصص القرآن الكريم، وجدنا الحوار يأتي على صور متنوعة وفنون يقصر دونها الوصف، ولكننا نرى من المفيد أن نشير ـ هنا ـ إلى بعض الملاحظات التي تتصل بأسلوب الحوار القرآني:

الملاحظة الأولى: يعتمد الحوار القرآني في الغالب على الحكاية، حكاية مقولات القائلين ونقلها على ألسنتهم نقلاً طبيعياً تلقائياً لا مبالغة فيه ولا افتعال فتصاغ المعاني على ما يقتضيه أسلوب إعجازه.

الملاحظة الثانية: يذهب الأسلوب الحواري في القرآن الكريم كل مذهب بليغ، فيشع ألواناً وفنوناً تتنوع حسب مقتضى الحال وداعية المقام. فهو قد يختصر الأحداث ويعرضها عرضاً سريعاً، فتطوى فيه التفاصيل. وتعني فيه الإشارة اللمَّاحة. واللمحة الدالة على العبارات المبسوطة، والأساليب الكاشفة وأحياناً يفصل الأمر تفصيلاً حيث لا يكون غير الكلمة ما يغني غناءها ويسد مسدها وفيما بين الأمرين درجات متفاوتة في الإيجاز

والتفصيل[1].

ونود أن ننبه ـ هنا ـ إلى أن أسلوب الحوار القرآني لا يقف عند حدود امتداده أو قصره، فقد تكون الصورة قصيرة ولكنها تشتمل على كل أجزاء الموقف، فتختار اللقطات الموحية والعناصر الحيّة التي تحقق الغرض وتفي بالحاجة وتكون أكثر دلالة ومغزى.

الملاحظة الثالثة: يكشف السياق القرآني عن حديث المرء لنفسه في صورة حواره أو مناجاته ـ تعالى ـ فمثال الأول ـ ما جاء على لسان إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ وهو يحاور قومه[2].

ومثال الثاني ـ ما جاء على لسان موسى ـ عليه السلام ـ في مدين وقد تولى إلى الظل بعد أن سقى لابنتي شعيب ـ عليه السلام[3] ـ.

وقد يكون بين شخصين كما في حوار سيدنا إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ مع أبيه (أزر)[4] ومع قومه[5]. وبين سيدنا نوح ـ عليه السلام ـ وابنه[6] وبين نوح ـ عليه السلام ـ وقومه[7].

ونجد ـ أيضاً ـ في القصص القرآني حواراً بين الله ـ عز وجل ـ والأنبياء[8] خاصة أو بين الله ـ تعالى ـ والإنسان عامة[9] وبينه ـ عز من قائل ـ

---

(1) القصص القرآني في منطوقه ومفهومه ـ عبد الكريم الخطيب ـ ط(1)ـ1964 ـ ص126.
(2) سورة الأنبياء، الآية: 57.
(3) سورة القصص، الآية: 24.
(4) سورة مريم، الآيات: 41 ـ 45.
(5) سورة الشعراء، الآيات: 69 ـ 82.
(6) سورة هود، الآيات: 41ـ43.
(7) سورة هود، الآية: 32.
(8) سورة البقرة، الآيات: 24 ـ 32.
(9) سورة الأعراف، الآيات: 10 ـ 17.

والملائكة[1] وبينه ـ جل وعلا ـ وإبليس[2]، أو يكون الحوار بين الإنسان والإنسان[3] أو بين الإنسان والحيوان[4].

وهناك فنون أخرى من أساليب الحوار القرآني لا حصر لها، ولكنها جميعاً تساق للعبر وبيَان مكانة الضالين ومنزلة المهتدين وعاقبة الضلال، وعاقبة الهداية، وبيان ما يقاوم به النبيون ووراءهم كل الدعاة للحق[5].

وفي كلٍّ هذه الأَساليب يأتي الحوار للعبرة بين المواقعات والأحداث ولا يأتي لمجرد المتعة من الاستماع والقراءة.

---

(1) سورة ص، الآيات: 20 ـ 23.
(2) سورة الأعراف، الآية: 11.
(3) سورة الكهف، الآيات: 34 ـ 38.
(4) سورة النمل، الآيات: 20 ـ 28.
(5) المعجزة الكبرى ـ القرآن ـ الإمام محمد أبو زهرة ـ دار الفكر العربي ـ 1970 ـ ص 162.

المبحث الأول

من صور الحوار القرآني، ما يكون بين شخصين كما في حوار سيدنا «إبراهيم» عليه الصلاة والسلام وأبيه «آزر».

قال ـ تعالى ـ: **﴿واذْكُرْ في الكِتابِ إبراهيمَ إنَّهُ كانَ صِدّيقاً نَّبياً * إذْ قَالَ لأَبيهِ ـ يا أَبتِ؛ لِمَ تَعْبُدُ مَا لاَ يَسْمَعُ ولا يُبْصِرُ ولا يُغْنِي عَنْكَ شيئاً يا أبتِ؛ إني قَدْ جَاءَني مِن العِلْمِ مَا لَمْ يأتِكَ، فاتَّبِعني أَهْدِكَ صِراطاً سوياً * يا أَبتِ؛ لا تَعْبُدِ الشَّيطانَ، إنَّ الشَّيطانَ كانَ للرَّحمنِ عَصياً * يَا أبتِ؛ إنّي أَخافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذابٌ مِنَ الرَّحمنِ فتكونَ للشَّيطانِ وَلِيّاً﴾** [مريم: 41 ـ 45].

تأمل النص الكريم تجد كلاماً يهز الأعطاف، ويأخذ بمجامع القلوب، وانتبه إلى أُسلوب الاستدراج والإذعان والانقياد بألطف العبارات وأرشقها، فهو مشتمل على حسن الملاطفة.

وأَنتَ تَرى أَنَّ النص الكريم يتضمن (أربع) عبارات حوارية، يتصدر كل عبارة قوله ـ تعالى ـ: ﴿يا أبت﴾.

أما الأولى: وهي قوله ـ تعالى ـ: **﴿إذْ قَالَ لأَبيهِ؛ يا أَبتِ لِمَ تَعْبدُ ما لاَ يَسْمَعُ ولا يُبصرُ ولا يُغنِي عَنْك شيئاً. .﴾** [مريم: 42].

فلأن إبراهيم ـ صلوات الله عليه ـ لما أراد هداية أبيه إلى الخير وإنقاذه مما هو متورط فيه من الكفر والضلال الذي خالف فيه العقل، وساق معه الكلام في أحسن اتساق وانتظام مع استعمال المجاملة، واللطف، واللين

والأدب الجميل والخلق الحسن، وذلك أنه بدأ بطلب الباعث له على عبادة الأوثان والأصنام ليتوصل بذلك إلى إقحامه.

ثم إنه تكايس معه فعرض عليه بأن من لا يسمع ولا يبصر ولا يغني شيئاً لا يكون حقيقاً بالعبادة، وأن من كان حياً سميعاً بصيراً مقتدراً على الإثابة والعقاب متمكناً من العطاء والإنعام والتفضل من الملائكة وسائر الأنبياء من جملة الخلق، فإنه لا يستحق العبادة ويستخف عقل من عبده، فكيف من هذه احالة في عدم الحياة والسمع والبصر من جملة الجمادات والأحجار التي لا حراك لها ولا حياة بها[1].

أما الثانية: وهي قوله ـ عز وجل ـ: **﴿يا أَبتِ، إِنّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ العِلمِ مَا لَمْ يأْتِكَ فاتَّبعنِي أَهدك صِراطاً سوياً﴾** [مريم: 43].

فلأن ﴿إبراهيم﴾ ـ عليه الصلاة والسلام ـ دعا أباه إلى الحق والتماس الهداية من جهة التنبيه والرفق به وسلوك جانب التواضع، فلم يخاطب أباه بالجهل عما يدعوه إليه ولا وصف نفسه بالاطلاع على كنه الحقائق والاختصاص بالعلم الفائق، ولكنه قال: إن معي لطائف من العلم وبعض منه، وذلك هو علم الدلالة على سلوك طريق. فاتبعني أنجك مما أنت فيه. وقال له ـ أهدك صراطاً سوياً ـ.

ولم يقل: (أُنجيك من ورطة الكفر وأنقذك من عماء الحيرة[2] تأدباً منه وتجنباً عن مباداته بقبيح كفره وتسامحاً عن ذكر ما يغيضه.

---

(1) المثل السائر ـ ابن الأثير ـ تحقيق/ محمد محي الدين عبد الحميد ـ مطبعة البابي الحلبي ـ ج 2/ 69 ـ 70 ينظر ـ أيضاً ـ الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنشور ـ ابن الأثر ـ تحقيق/ د. مصطفى جواد ـ د. جميل سعيد ـ مطبوعات المجمع العلمي العراقي ـ 1956 ـ ص 235.

(2) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة ـ يحيى بن حمزة العلوي ـ مطبعة دار المقتطف ـ القاهرة ـ 1914.

أما الثالثة: وهي قوله ـ عز وجل ـ: ﴿**يا أَبَتِ لا تَعْبُدِ الشَّيطانَ إِنَّ الشَّيطانَ كان للرحمن عصياً**﴾ [مريم: 44].

فلأنه ثبطه عما كان عليه ونهاه عنه، فقال سيدنا إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ إن الشيطان الذي عصى ربك وكان عدواً لك ولأبيك «آدم» ـ عليه السلام ـ هو الذي أوقعك في هذه الحبائل وورطك في هذه الورط وألقاك في بحر الضلالة.

وإنما خص إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ ذكر معصية الشيطان لله ـ تعالى ـ في مخالفته لأمره واستكباره. ولم يذكر عداوته لآدم وحواء. وما ذاك إلا من أجل إمعانه في نصيحته فذكر له ما هو الأصل تحذيراً له عن ذلك وعن مواقعته.

وأما الرابعة: وهي قوله ـ تعالى ـ: ﴿**يا أبتِ إنّي أَخافُ أَن يَمَسَّكَ عَذابٌ من الرَّحمنِ فتكونَ للشَّيطانِ وليّاً**﴾ [مريم: 45].

فلأنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ خوّفه من سوء العاقبة وما ينتج عليه من الوبال وفي النص الكريم ما لا يخفى من حسن الأدب، إذ لم يصرح بأن العقاب لاحق لأبيه وذكر ـ الخوف ـ ومس ـ إعظاماً لحرمة الأبوة ونكر ـ العذاب ـ تحاشياً عن أن يكون هناك عذاب معهود يخاف منه.

فكأن السياق جاء بما يشعر بالشك في ذلك تأدباً، وملاطفة له أي؛ وما يؤمنك إن بقيت على الكفر أن تستحق عذاباً عليه.

أنعم النظر في النص الكريم، تجد أَنَّ كل نصيحة من هذه النصائح قد تصدرت ـ كما ذكرنا ـ بقوله ـ تعالى ـ: ﴿يا أبت﴾ توسلاً إليه بحنو الأبوة واستعطافاً له ليكون أثر القول أسرع إلى الانقياد، وأدعى إلى مفارقة ما هو عليه من الجحود والعناد.

وهذا بخلاف ما أجابه به أبوه، فقد ناداه باسمه ولم يقل (يا بني) كما قال ﴿إبراهيم﴾ ـ عليه الصلاة والسلام ـ ﴿يا أبت﴾.

فإنه قال: (أَراغبٌ أَنتَ عن آلهتي يا إبراهيم).

إعراضاً عن مقالة سيدنا ﴿إبراهيم﴾ وإضراراً على ما هو فيه.

فكأن السياق يرسم لنا صورة الأب مقبلاً بفظاظة الكفر، وغلظ العناد منادياً.

ولا يفوتك أن تتنبه إلى تقديم الخبر على المبتدأ في قوله ـ تعالى ـ: ﴿أراغب أنت﴾ الذي أفاد الاهتمام بالإنكار والتمادي في المبالغة، وإظهار التعجب من أن يكون ﴿إبراهيم﴾ مثل هذا.

فانظر ما بين الخطابين من التفاوت في حوار سيدنا إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ الذي سلك في دعوته أحسن منهاج وأقوم سبيل واحتج عليه أبدع احتجاج بحسن أدب وحياء ورفق الدعوة التي تفيض بحنان البنوة في نظمها وفي نغماتها الهادئة والتي تفصح عن ملاطفة الأب رغم إساءته بالتهديد والوعيد، وبمقدار ما في عبارات الابن من رفق واسترضاء واستعطاف كانت عبارات الأب ـ كما صورها القرآن ـ جفوة وكأنها الجنادل التي تصك الأذان، ولم يمنع ذلك الابن العطوف من أن يعزّي أباه بأن يستغفر له ربه لمكانته عند الله ـ تعالى[1] ـ: ﴿**إنه كان بـي حفياً**﴾ [مريم: 47].

ونتوقف عند صورة أخرى من صور الحوار بين شخصين، ولكنها هذه المرة بين الأب وهو سيدنا نوح ـ عليه السلام ـ وابنه العاصي.

يقول ـ تعالى ـ على لسان نوح ـ عليه السلام ـ: ﴿**وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وكانَ في مَعْزِلٍ، يا بُنَيَّ ارْكَب مَعَنا ولا تَكُن مَعَ الكافِرينَ**﴾ [هود: 42].

(1) المعجزة الكبرى 168.

فَلك أن تتصور نداء سيدنا ﴿نوح﴾ لابنه قبل أن تنقطع العلاقة بين السفينة ﴿وَهيَ تَجْرِي بِهِمْ في مَوْجٍ كالجِبالِ﴾.

وبين النبي نوح ـ عليه السلام ـ وٱبنه العاصي أمرُ الله، والذي ﴿كان في مَعْزِلٍ﴾ أي: في مكان عزل فيه نفسه، بحيث لم يتناوله الخطاب بـ «اركبوا» فحملت سيدنا ﴿نوح﴾ شفقة الأبوة نحو فلذة كبده لإنقاذه من الكفر والغرق فقال له ـ يا بني ـ لفظة توحي ما تفجر في قلبه من عاطفة الحنان، حنان الأب ورفقه بولده، فكأننا نسمع النداء في مشهد من مشاهد الأبوة ﴿يا بُنَيَّ اركَبْ مَعنا ولا تَكُنْ مَع الكافرين﴾.

ويأتي رد الابن وقد غره غرور الصبا والابتعاد عن التصديق، والاعتداد بقدرته علـى النجاة.

فما قابل نداء أبيه ﴿نوح﴾ ـ يا بُنيّ ـ بقوله: ﴿يا أبتِ﴾. وإنما قال: ﴿سَآوي إلى جَبَلٍ يَعْصِمُني مِنَ الماءِ﴾ معتقداً أن الهلاك من الماء لا مِنَ الله، وأن النجاة في الاعتصام بالجبل لا في الاعتصام برحمة الله وطاعته.

فجاء رد أبيه نوح ـ عليه السلام ـ (مبيناً شأن الداهية، وقاطعاً أطماعه الفارغة محاولاً صرفه عن التعلل بما لا يغني عنه شيئاً، ليرشده إلى العياذ بالمعاذ الحق ـ عز حماه ـ)[1].

فقال ـ تعالى ـ: ﴿قَالَ لا عاصِمَ اليومَ مِن أَمرِ اللّهِ إلا مَن رَحِم﴾ [هود: 44].

يقول أبو السعود العمادي (كان مقتضى الظاهر أن يجيب بما ينطبق عليه كلامه، ويتعرض لنفي ما أثبته للجبل من كونه عاصماً له من الماء، بأن يقول: (لا يعصمك منها) مفيداً لنفي وصف العصمة عنه فقط من غير تعرض

(1) تفسير أبـي السعود ج 4.

لنفيه عن غيره ولا لنفي الموصوف أصلاً، لكنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ حيث قال: ﴿لا عاصِمَ اليومَ مِن أَمرِ الله﴾.

سلك طريقة نفي الجنس المنتظم لنفي جميع أفراد العاصم ذاتاً وصفة، كما في قولهم: (ليس فيه داع ولا مجيب) أي؛ أحد من الناس للمبالغة في نفي كون الجبل عاصماً بالوجهين المذكورين وجاء لفظ ـ اليوم ـ للتنبيه على أنه ليس كسائر الأيام التي تقع فيها الوقائع وتلم فيها الملمات المعتادة التي ربما يتخلص من ذلك بالالتجاء إلى بعض الأسباب العادية.

وعَبَّر عن ـ الماء ـ في محل إضماره بـ ﴿أمر الله﴾ أي؛ عذابه الذي إشير إليه حيث قيل ﴿حتى إذا جاء أمرنا﴾ تفخيماً لشأنه وتهويلاً لأمره. وتنبيهاً لابنه على خطئه، وتعليلاً للنفي المذكور فإن أمر الله لا يغالب وعذابه لا يرد.

وتمهيداً لحصر العصمة في جناب الله ـ عز جاره ـ بالاستثناء، كأنه قيل: لا عاصم من أمر الله إلا هو.

وإنما قيل: ﴿إلا من رحم﴾ تفخيماً لشأنه الجليل بالإبهام، ثم التفسير وبالإجمال ثم التفصيل. وإشعاراً بعلية رحمته في ذلك بموجب سبقها على غضبه[1].

ويفاجئنا التعبير الخاطف بانقطاع الحوار، لاقتحام الموج ﴿وحَال بَيْنَهُما المَوْجُ﴾ وكأَنَّ حيلولة الموج بين الاثنين جاءت رحمة بقلب نوح ـ عليه السلام ـ إذ حجبت بصره عن ذلك المصير الذي تهيبه.

ونحبس أنفاسنا نترقب نهاية الحوار المؤثر بين:

ـ أب تفجرت في قلبه عاطفة الأبوة.

---

(1) تفسير أبـي السعود ج 4/216.

- وابن لج به العناد فأصر على الباطل والضلال.

﴿فكانَ من المُغرَقِين﴾.

فكأن السياق الكريم آثر ﴿كان﴾ دون (صار) مبالغة في كون الابن منهم أي؛ من المغرقين أو كأنَّ ﴿كان﴾ قد أكدت كفره في السابق واللاحق، فقد صمَّ أذنيه عن سماع الحق من أبيه فتحدد في هذه اللحظة مصيره، ويظل الأب تغلبه شفقة الأبوة عن رؤية أمارات الموت، فيتجه إلى ربه - إذ نجا أهله إلا ابنه - **﴿وَنَادَى نُوحٌ ربَّهُ فَقَالَ ربِّ إِنَّ ٱبني من أَهْلِي وإنَّ وَعْدَكَ الحقُّ وأَنتَ أحكمُ الحاكمين﴾** [هود: 46].

فكأنَّنا من فرط التصوير نسمع أَنينَ الأب، وهو يضرع إلى ربه...

وإذا تابعت تطور الأحداث وجدت السياق الكريم قد جسد لنا قوة الله وعظمته: **﴿وقِيلَ يا أَرضُ ابْلَعِي مَاءَكِ ويا سماءُ أَقلِعي وغِيضَ الماءُ وقُضِيَ الأمرُ واسْتَوتْ على الجودِيّ، وقِيلَ بُعداً للقومِ الظَّالمين﴾** [هود: 45].

ونتوقف عند مشهد آخر، يدخل في مجال الحوار بين شخصين وهما سيدنا موسى وأخوه هارون - عليهما السلام -.

وكان هارون - عليه السلام - خليفة أخيه على بني إسرائيل، فوقف في هذا الأمر موقف الناصح المرشد.

قال - تعالى -: **﴿وَلَقَدْ قَالَ لهُم هَارونُ مِن قَبلُ يا قومِ إنَّما فُتِنْتُم بِهِ وإِنَّ رَبَّكُم الرحمنُ فاتّبعونِي وأَطِيعُوا أَمْرِي...﴾** [طه: 89].

وما كان لهارون - عليه السلام - أن يفعل أكثر من هذا، فقد أدى النصيحة لقومه ولكن القوم في لجاج وعناد، ولا يجد موسى إلا أخاه يصب عليه وقدة غضبه **﴿قالَ: يا هَارونُ مَا مَنَعَكَ إذ رَأَيتَهُم ضَلُّوا أَلاَّ تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيتَ أمري﴾** [طه: 91].

تأمل هذه الألفاظ المختلفة المتفجرة ﴿ألاَّ تتبعنِ؟ أَفَعَصيْتَ أَمْرِي﴾ أي؛ بالصلابة في الدين، والمحاماة عليه.

فإن قوله له ـ عليه السلام ـ (أَخلفتني)، متضمن للأمر بهما حتماً (لأن الخلافة لا تتحقق إلا بمباشرة المستخلف لو كان حاضراً، والهمزة للإبكار التوبيخي ـ والفاء ـ للعطف على مقدر يقتضيه المقام، أي؛ أَلَمْ تتبعني؟ أو أَخالفتني فعصيت أمري؟)[1].

إن سيدنا موسى ـ عليه السلام ـ قال: هذه الكلمات مصحوبة بما تنطق به من صراع مادي تنطلق في مجاله. فأخذ برأس أخيه، وبلحيته في عنف وتعنيف وكان ـ عليه السلام ـ (حديداً متصلباً في كل شيء، فلم يتمالك حين رآهم يعبدون العجل ففعل ما فعل..).

ولا يجد سيدنا هارون ـ عليه السلام ـ إلا هذه الألفاظ اللينة الرقيقة يستعطف بها أخاه. ويدعوه إلى الرفق به. والرحمة له.

فقال ـ تعالى ـ على لسان «هارون»: **﴿قال يا بنَ أُمّ لا تَأْخُذْ بِلحيتِي ولا برأْسي..﴾** [طه: 92].

فقد خص «الأم» ـ على حذف «ياء» المتكلم للتخفيف وهي تطرح في المنادى المضاف ـ بالإضافة استعظاماً لحقها وترقيقاً لقلبه فهارون يخاطب أخاه ـ عليه السلام ـ بـ (يا ابن أمي لا تعجل بمؤاخذتي وتعنيفي فإني لم آل جهداً في الإنكار على القوم، والنصح لهم ولكنهم استضعفوني فلم يرعووا لنصحي ولم يتمثلوا أمري. بل قاربوا أن يقتلوني)[2].

بمعنى؛ أني رأيت الإصلاح في حفظ الدهماء والمداراة معهم إلى أن

---

(1) تفسير أبـي السعود ج 38/6.
(2) تفسير المنار ج 209/9.

ترجع إليهم فلذلك استأنيتك لتكون أنت المتدارك للأمر حسبما رأيت ولا سيما وقد كانوا في غاية القوة، ونحن على القلة والضعف كما يعرب عنه قوله ـ تعالى ـ: ﴿إنَّ القومَ استضعفوني﴾ فلا تفعل بـي من المعاتبة والأذى ما يشمت بـي الأعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين أنفسهم بعبادة العجل بأن تلزني بهم لحظة الغضب والمؤاخذة فلست منهم في شيء ويستثير عاطفة الأخوة في قلب أخيه ويعتذر له عما جرى فيهدأ غضبه وتسكن ثورته، ويتحرك انفعاله من غضب عليه إلى شفقة، فيبـرىء هارون عليه السلام من التقصير في الإنكار على متخذي العجل وعابديه من قومه.

فيترك موسى ـ عليه السلام ـ أخاه ابن أمه أصل الحنان والرحمة، ويلتفت إلى السامري صاحب هذا التدبر وسبب هذه المحنة[1]: ﴿**قال: فما خَطْبُكَ يا سامري**﴾ [طه: 94].

ومن المشاهد القصيرة التي يأتي فيها الحوار مفصلاً غير مجمل، هذا المشهد الذي كان بين موسى ـ عليه السلام ـ وابنتي شعيب ـ عليه السلام ـ.

قال ـ تعالى ـ على لسان سيدنا موسى ـ عليه السلام ـ مخاطباً ابنتي شعيب ـ عليه السلام ـ: ﴿**قال ما خَطْبُكُما قالَتا لا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعاءُ وأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ**﴾ [القصص: 23].

فهذا التفصيل في جوابهما على سؤال كان أمراً لا بد منه.. إذ لا يستطيع موسى ـ عليه السلام ـ أن يكشف عن سبب وقوفهما بعيداً عن مورد الماء ليسقيا حين يُصْدِرَ الرِّعاءُ.

فيمكن أن يكون أنهما (كانتا تذودان لأن على الماء من هو أقوى منهما فلا يتمكنان من السقي.

---

(1) القصص القرآني ص 141.

وقيل: كانتا تكرهان المزاحمة على الماء. وقيل: لئلا تختلط أغنامهما بأغنامهم. وقيل: تذودان عن وجوههما نظر الناظر لتسترهما)[1].

فلما صرحتا له بحالهما، وأنهما ضعيفتان مجبولتان على الحياء ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾ - ولا رجل من هؤلاء يرفع لهما الماء من البئر، وأن أباهما شيخٌ كبيرٌ؛ عرف الحقيقةَ وعالج الموقف على الوجه الذي ينبغي، مما تقتضية المروءة والرحمة - معاً - لأمرأتين كانتا على حياءٍ عظيمٍ، فهما تكرهان المزاحمة، وتذودان عن وجهيهما نظر الناظر شيهةً وستراً.

ويكشف لك هذا الجوار وجهاً آخر هو ذلك (الخُلُقُ المندس في بني إسرائيل. وإلى ما ضُمَّت عليه قلوبُهم من غلظة وقسوةٍ وإلى ما انطوت عليه نفوسهم من أنانية وإثرة) فلا يقدمون لهما العون، ولا يسقون لهما، بل يدعونهما وشأنهما ولو ماتت ماشيتهما عطشاً.

فكأن السياق يهيىء الأذهان ممهداً لمشهد آخر يلحق به وهو ما كان بين موسى وشعيب - عليهما السلام - حين التقيا، فتأمل كيف لفتته إحدى ابنتيه إلى الاحتفاظ بموسى - عليه السلام - عندهم.

﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ﴾ [القصص: 26].

فابنة «شعيب» لم تقف عند حد دعوة أبيها إلى استئجار «موسى» بل أغرته بذلك وحرضته عليه، حين كشفت عن الصفات الطيبة التي يشتمل عليها والتي هي مطلوب كل من يريد عاملاً يعمل له، ويتولى شأناً من شؤونه فلم تقل (إنه قوي أمين) بل إنها جعلت ذلك قضية من القضايا المسلم بها

(1) الكشاف ج 170/3.

﴿إِنَّ خَيْرَ مَنْ استأجرت القويُّ الأمينُ﴾ [القصص: 26].

وفيه ـ أيضاً ـ: (حياء من التعيين وحشمة وخفراً، ولكن هذه إنما بعثها على هذا الأدب شيمة الحياء)[1].

هذه السجية العظيمة قد جسدها السياق الكريم. في مشاهد كثيرة في القرآن الكريم فإذا تأملتها وجدت الحوار يلوح بها. بل كأن النظم يومىء إليها. مبتعداً عن المباشرة غير قاصد التصريح أو التعريض حتى في الخصوم.

ولعل من المفيد هنا أن نقول: (إن كان دافع ابنة شعيب ـ عليه السلام ـ شيمة الحياء فإن امرأة العزيز إنما بعثها عليه التكلف والاستعمال لذلك الغرض الفاسد من المكر ـ والله أعلم ـ)[2].

فهذا سيدنا يوسف ـ عليه السلام ـ يرد على امرأة العزيز التي اتهمته بمراودتها موجهة سؤالها إلى زوجها ﴿قَالَت مَا جزاءُ مَنْ أَرادَ بِأَهلِكَ سُوءاً إلاّ أَنْ يُسْجَنَ أَو عَذابٌ أَليمٌ﴾ [يوسف: 25].

فأنعم النظر في النص الكريم فهي (لم تصرح في قولها بذكر يوسف وأنه أراد بها سوءاً، لأنها قصدت العموم، وأن كل من أراد بأهلك سوءاً فحقه أن يسجن أو يعذب لأن ذلك أبلغ فيما قصدته من تخويف يوسف)[3].

ويرد سيدنا يوسف ـ عليه السلام ـ على هذا الاتهام الجريء له، إذ ﴿قَال هيَ رَاودتنِي عَنْ نَفسِي﴾ فرده ـ عليه السلام ـ موجز فقد استغنى هذا القول بصدقه عن كل إطناب وتفصيل فسيدنا يوسف ـ عليه السلام ـ يدفع التهمة الظالمة التي رمى بها، وهكذا شأن أصحاب الحق، يجدون في الكلمة

(1) القصص القرآني ص 128.
(2) هامش الكشاف ج 2/313.
(3) الكشاف ج 2/313.

المرسلة على طبيعتها من غير حلف أو توكيد ما يغني عن كل قول.

وتأمل كيف آثر السياق الكريم لفظة ﴿هي﴾ على «هذه» أو «أنت» أو غيرهما لتكون إشارة بليغة إلى شيمة الحياء عند يوسف ـ عليه السلام ـ وعصمته عن التشهير بها على الرغم من أنها قصدت الكيد به.

إن أي دارس لا يمكن له أن يلم بكل خصائص هذا النمط من الحوار القرآني ولكن حسبنا أن ندرك كيف (يُؤْثِرُ الأنبياء والرسل في تحاورهم، الترفق في الخطاب الذي تسري فيه معاني الرحمة والمحبة والإخلاص والحياء)[1] وحسن الأدب، وتساميهم عن أَيَّةِ لفظة تمس الكرامة الإنسانية، بل إن حوارهم ينبثق من قلوبهم المؤمنة حانياً مترفقاً مشفقاً، مهما كانت المواجهة عنيفة كما في مشاهد الإنذار والتخويف من عذاب الله.

وكل أنماط الحوار في القرآن الكريم شاهد على ذلك، ولكن هذه الحقيقة لا تعفينا من ذكر مزيد من الشواهد. لما في التمثيل والتحليل من فائدة للدارس فحين خاطب الله ـ تعالى ـ سيدنا عيسى بن مريم ـ عليهما السلام ـ قائلاً: ﴿أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وأُمّي إلهين من دُونِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: 116].

فتصدر جواب عيسى ـ عليه السلام ـ لفظ ﴿سبحانك﴾ أي: أُنزهك تنزيهاً لائقاً بك من أن أقول ذلك أو من أن يقال في حقك ذلك فـ ﴿قَالَ: سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَن أَقولَ مَا لَيْسَ لِي بحقٍّ﴾.

أي: ما يستقيم وما ينبغي لي أن أقول قولاً لا يحق لي أن أقوله.

﴿إِنْ كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ. تَعْلَمُ مَا فِي نَفسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِك إِنَّك أَنْتَ عَلاَّمُ الغُيُوب * ما قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ ما أَمرتَني به..﴾ [المائدة: 117].

---

(1) سيكولوجية القصة في القرآن ص 210.

فجواب سيدنا «عيسى» يحكم ـ على أبلغ وجه وآكده ـ بانتفاء صدور جميع الأقوال المغايرة للمأمور به، فدخل فيه انتفاء صدور القول المذكور دخولاً أولياً أي: ما أمرتهم إلا بما أمرتني به، وإنما قيل: ﴿ما قلت لهم﴾ نزولاً على قضية حسن الأدب ومراعاة لما ورد في الاستفهام)(1).

وننتقل إلى مشهد آخر لنتأمر حواراً آخر بين شخصين ـ أيضاً ـ ولكن الحوار هذه المرة بين نبيين ـ عليهما السلام ـ الأول: هو الأب سيدنا إبراهيم، والثاني: هو الابن سيدنا إسماعيل ـ عليهما الصلاة والسلام ـ.

يقول ـ تعالى ـ: ﴿وقَالَ: إِنِّي ذَاهِبٌ إِلى رَبِّـي سَيَهدِينِ * رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالحينَ * فبشّرْناهُ بِغُلامٍ حَليمٍ﴾ [الصافات: 99 ـ 101].

فالنص الكريم يبلغ سيدنا إبراهيم ـ عليه السلام ـ (ببشاراتٍ ثلاث، أن المولود غلام وأنه يبلغ أوان الحلم، وأنه يكون حليماً).

﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعيَ﴾ أي: شب وارتجل وصار يسعى في مصالحه كأبيه يقول الزمخشري: (فلما بلغ أن يسعى مع أبيه في أشغاله وحوائجه...).

أي: إلى الحَدِّ الذي يقدر فيه على السعي، والمعنى في اختصاص الأب أنه أرفق الناس به وأعطفهم عليه، وغيره ربما عنف به في الاستسعاء فلا يحتمله. لأنه لم تستحكم قوته ولم يصلب عوده.

والمراد أنه على غضاضة سنه وتقلبه في حد الطفولة كان فيه من رصانة الحلم وفسحة الصدر ما جسره على احتمال تلك البلية العظيمة..(2).

﴿قَالَ: يا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي المَنَامِ أَنّي أَذْبَحُكَ﴾ [الصافات: 102].

---

(1) تفسير أبي السعود ج 3/101.
(2) الكشاف ج 8/347.

فاستهل سيدُنا إبراهيم حوارَه، بخطابِ ولده إسماعيل ـ عليهما السلام ـ بلفظة تنضح رفقاً وتحبباً في المناداة ﴿يا بني﴾ وهي تصغير (ابن) وقال ـ تعالى ـ: **﴿إِنِّي أَرى في المَنَامِ أَنّي أَذْبَحُكَ﴾**.

سيدنا إبراهيم ـ عليه السلام ـ يرى في المنام أنه يؤمر بذبح ولده هذا، ورؤيا الأنبياء هي كالوحي في اليقظة. فلهذا قال: **﴿إِنِّي أَرَى في المنامِ أَنّي أذبحك، فَانْظُر مَاذَا ترى؟﴾**.

وكأني بالسياق قد حقق ـ هنا ـ أكثر من إشارة.

أما الأولى: فهي تتجلى في عظمة الاختيار الربّاني لسيدنا «إبراهيم» ـ عليه السلام ـ في أَنْ يذبح ولده (وهو بِكره. ووحيده الذي ليسَ له غيره. أَجابَ ربه وامتثل أَمره. وسارع إلى طاعته)[1].

أما الثانية: فهي قوة الدلالة على كون الأنبياء صادقين ومصدوقين، لأنَّ (الحال إما يقظة أو حال منام، فإذا تظاهرت الحالتين على الصدق كان ذلك أقوى للدلالة من انفراد أحدهما)[2].

أما الثالثة: فهي مشاورة الأب للابن، فقد عرض سيدنا إبراهيم على ولده إسماعيل ـ عليهما السلام ـ ليكون أَطيب لقلبه. وأهون عليه من أَنْ يأخذه قسراً. ويذبحه قهراً.

يقول الزمخشري: (فإن قلت: لِمَ شاوره في أَمر هو حتم من الله؟. قلت: لَمْ يشاوره ليرجع إلى رأيه ومشورته. ولكن ليعلم ما عنده فيما نزل به من بلاء الله. فيثبت قدمه ويصبره إن جزع ويأمن عليه الزلل إن صبر وسلم،

---

(1) قصص الأنبياء ـ ابن كثير ـ تحقيق ومراجعة/ لجنة من العلماء ـ دار الأقصر ـ القاهرة ـ ط (1) ـ 1995 ـ ص 150.
(2) الكشاف ج 3/347.

وليعلمه حتى يراجع نفسه فيوطنها ويهون عليها، ويلقى البلاء وهو كالمستأنس به، ويكتب المثوبة بالانقياد لأمر الله قبل نزوله، ولأن المغافصة[1] بالذبح مما يستسمج، وليكون سنة في المشاورة[2].

أما الرابعة: فهي مما نلمحه من قوله تعالى: ﴿**قَالَ: يا أَبتِ ٱفْعَلْ ما تُؤمَرُ بِهِ سَتَجِدُنِي إِنْ شاءَ ٱللَّهُ مِنَ الصَّابرينَ**﴾ [الصافات: 102].

فجواب الابن يجسّد أَقصى درجات الطاعة بدءاً من لفظه الأول ﴿يا أبتِ﴾. ﴿ٱفعَل ما تُؤمَر﴾ أي: تُؤمَر به.

فكان الحذف قد أوسع مجال الطاعة إلى أبعد مدى.

وهذه «السين» التي اقترنت بصيغة يفعل لتدل على تأكيد وقوع الفعل مستقبلاً وتوكيد الامتثال لأي أمر والصبر على أي احتمال.

وكل هذا متعلق بمشيئة الله ـ عز وجل ـ: ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ ٱللَّهُ مِنَ الصَّابرين﴾ وهذا الجواب في غاية السداد والطاعة للوالد ولرب العباد.

وتَتَصَاعد وتيرة الحدث بشكل مفاجيء وسريع. فنحبس أنفاسناً هلعاً وترقباً لما سيقع.

﴿**فَلَمَّا أَسْلَما وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ**﴾ [الصافات: 103].

أي: استسلما لأَمرِ الله. وعزم على ذلك.

فقد انقاد إسماعيل لوالده إبراهيم ـ عليهما السلام ـ وأخلص نفسه لله وجعلها خالصة له.

ونظل نرقب الحدث العظيم وهو يأخذ عقولنا وقلوبنا إلى قمته. فإن

(1) المغافصة: من (غافصت الرجل أي: أخذته على غرة).
(2) الكشاف ج 3/348.

سيدنا إبراهيم أَخذ ابنه ﴿وتلَّه للجبين﴾ أي: صرعه على شقه فوقع أحد جبينيه على الأرض تواضعاً على مباشرة الأمر بصبر وجلد ليرضيا الرحمن ويخزيا الشيطان فكأن السياق الكريم يصور لنا سيدنا «إبراهيم» قد ألقى ابنه البِكر ووحيده على وجهه (ليذبحه من قفاه، لئلا يشاهده في حال ذبحه)[1].

وفجأة تنطلق من السياق إشارة سريعة فقد جاء الفرج من رب السموات إلى خليله «إبراهيم» **﴿وَنَادينَاهُ أَنْ يا إِبراهيمَ * قد صَدَّقتَ الرُّؤيا﴾** [الصافات: 104 ـ 105].

أي: قد حصل المقصود من اختبارك وطاعتك ومبادرتك إلى أمر الله، فتستريح النفوس ويقتضي المقام أَن تختصرَ الأحداث، فجواب ـ لما ـ محذوف تقديره.

﴿فلمّا أَسلما وتلَّه للجبين وَنَادَينَاهُ أَن يا إبراهيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرؤيا﴾ كأَنَّ ما كان مما تنطق به الحال ويحيط به الوصف من استبشارهما واغتباطهما وحمدها لله وشكرهما على ما أنعم عليهما من دفع البلاء العظيم بعد حلوله وما اكتسبا في تضاعيفه بتوطين الأنفس عليه من الثواب ورضوان الله الذي ليس وراءه مطلوب.

ويأتي قوله: **﴿إِنَّا كَذلِكَ نَجزِي المُحسنين﴾**، تعليلاً لتخويل ما خولهما من الفرج بعد الشدة والظفر بالبغية بعد اليأس **﴿إِنَّ هَذا لَهُوَ البلاءُ المُبين﴾** [الصافات: 106]. أي: الاختبار البين الذي يتميز فيه المخلصون من غيرهم. والمحنة البينة الصعوبة التي لا محنة أصعب منها[2].

وفي النص الكريم ما يطمئنا ويزيد يقيننا إلى عظمة هذا الجزاء **﴿وَفَدينَاهُ بِذَبْحٍ عَظيمٍ﴾** أي: جعل فداء ذبح ولده ما يسره الله ـ تعالى ـ له من العوض عنه.

---

(1) قصص الأنبياء ص 150.
(2) الكشاف ج /48 ـ 49.

ويوصلنا الحوار إلى نهاية هذا المشهد، إذ ينعم الله ـ تعالى ـ نعمة أخرى هي سلام الله على إبراهيم فيقول ـ تعالى ـ: ﴿وتَرَكْنَا عليهِ في الآخرين * سَلامٌ على إِبراهيمَ * كَذلِكَ نَجزِي المُحْسِنينَ * إِنَّهُ مِن عِبادِنا المؤمِنين﴾ [الصافات: 103 ـ 111].

ولا يفوتنا ـ هنا ـ أن نتوقف عند حوار سيدنا «يعقوب» وابنه «يوسف» ـ عليهما السلام ـ قال ـ تعالى ـ: ﴿إِذْ قالَ يوسُفُ لأبيهِ؛ يا أَبتِ إِنّي رأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً والشَّمسَ والقَمَرَ رأَيْتُهم لِي سَاجِدين قال: يا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُؤياكَ عَلى إِخوتِك فَيَكِيدوا لَكَ كيداً إِنَّ الشَّيطانَ للإِنسان عدوٌ مبين * وَكذلِكَ يَجْتَبيكَ رَبُّكَ ويُعَلمُكَ مِن تأْويلِ الأَحاديثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَليكَ وَعَلى آل يَعقوبَ كما أَتمَّها عَلَى أَبَويكَ مِن قبلُ؛ إِبراهيم وإِسحٰقَ إِنَّ رَبَّكَ عليمٌ حكيمٌ﴾ [يوسف: 4 ـ 6].

هذه الآيات الثلاث في بيانْ ما وقع بين «يوسف» في طفولته «وأبيه يعقوب» ﴿إذ قال يوسف لأبيه﴾ هذا شروع في بيان أحسن القصص أي: اذكر أيها الرسول إذ قال يوسف لأبيه:

وهذا أدب الأنبياء في خطابهم ﴿يا أبت﴾ في نداء الأب. وبدأ يوسف يخبر أباه بالقصة على وجه الدقة والإحاطة ﴿إني رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر﴾ في المنام بدليل ما يأتي بعده، ثم بين الصفة التي رأى عليها هذه الجماعة السماوية بقوله: ﴿رأيتهم لي ساجدين﴾.

و (كان الأصل في التعبير عن سجود هذه الكواكب التي ليس لها إرادة أن يقول: رأيت كذا وكذا ساجدة لي. ولكنه أراد أن يخبر والده أنه رآها ساجدة سجوداً كأنه عن أَرادة واختيار كسجود العقلاء المكلفين، فأعاد فعل ﴿رأيت﴾ وجعل مفعوله ضمير العقلاء وجمع صفة هذا السجود جمع المذكر السالم، لعلم أبوه أن هذه رؤيا إلهام، لا يمكن أن تعد من أضغاث الأحلام

التي تثيرها في المنام الخواطر والأفكار)[1].

ورد عليه أبوه يعقوب ـ عليه السلام ـ: ﴿قال: يا بُنَيَّ لا تَقْصُص رؤياكَ على إخوتك﴾ ـ يا بني ـ في اللفظ ما لا يخفى من العطف والتحبب والحنو. وقد فهم يعقوب ـ عليه السلام ـ تأويل رؤيا ابنه، واعتقد أن يوسف سيكون نبياً عظيماً ذا ظهور وسلطان يسود به أهله.

ولاح في الحوار خوفُ يعقوب على ابنه من إخوته إذا سمعوا برؤياه. وفهموا ما فهمه أبوهم، فيحسدونه، ويكيدون لإهلاكه، فنهاه أن يقص رؤياه عليهم، ﴿قال يا بُنيَّ * لا تَقْصُصْ رؤيَاكَ على أُخوتِك﴾.

وعلل الأمر بقوله: ﴿فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْداً﴾.

أَي: إن تقصصها عليهم يحسدوك ويحتالوا عليك ويتدابروا للإيقاع بِكَ تدبيراً شيطانياً يحكمونه بالتفكير والروية.

ويُفَسر ـ تعالى ـ سبب هذا الكيد تفسيراً نفسياً، فيقول ـ عز وجل ـ: ﴿إِنَّ الشَّيطانَ للإِنسانِ عدو مبين﴾.

أَي: أن هذا الكيد من وسوسة الشيطان في النزغ بين الناس عندما تعرض له داعية من هوى النفس وشرها الحسد الغريزي في الإنسان، كما عبر عنه يوسف بعد وقوعه وسوء تأثيره ﴿**مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَّغَ الشَّيطانُ بَينِي وبَينَ إخوتي**﴾ [يوسف: 100].

وتتابع أَحداث قصة يوسف وتتوالى مشاهدها، ولكن الملفت للنظر أن (هذه الرؤيا لا يظهر تأويلها إلا في آخر هذه الرواية، وأصحاب القصص في عصرنا يحتذون أسلوب قصة يوسف في سورته هذه. بوضع خبر مشكل خفي يشغل فكر القارىء في أولها ويظل ينتظر وقوع ما يحل إشكاله، ويفسر ما له

---

(1) المنار ج 5/254.

فلا يصيبه إلا في آخر القصة)[1].

وأرى من المفيد أن أسجل ـ هنا ـ هذه الإشارات التي قد تفيد الدارس وكل قارىء للقرآن الكريم، وهي أن حوار الأنبياء والرسل والصالحين قد اختص بتصدر لفظة «يا بني» إذا كان المتحدث هو الأب، كما في حوار سيدنا نوح وإبراهيم ويعقوب ولقمان ـ عليهم السلام ـ.

أما إذا كان المحاور هو الابن، فقد اختص السياق بلفظة «يا أبتِ» كما في حوار سيدنا إبراهيم، ويوسف ـ عليهما السلام ـ.

وفي ذلك؛ **أولاً**: إشارة بليغة لمَّاحة إلى أن هذا النمط من الحوار يظل محتفظاً ـ في جميع المواقف والمشاهد ـ بعظمة الأدب، والملاطفة، وشيمة الحياء. حتى وإن كان المخاطب متمسكاً بشركه وجهله وعناده.

ثانياً: إن في كل مشهد من هذه المشاهد دروساً وعبراً وقيماً عظيمة ينهل من معينها كل أديب وكل دارس لهذا النهج الإعجازي.

ثالثاً: إن هذه الإشارات ـ وغيرها ـ نلمحها من علاقات النظم القرآني، ومما تكشفه دلالات التراكيب. فالحوار القرآني يؤثر الإيماء والإشارة والتلميح في إبراز هذه القيم التربوية، والمثل العليا.

فلا يسلك النظم القرآني ـ هنا ـ أسلوب المباشرة أو التصريح أو التعريض في إبراز هذه القيم الخلقية.

وأنعم النظر في المشهد الآتي، وتأمل حوار سيدنا «موسى» ـ عليه السلام ـ والسحرة الذين جيء بهم إلى فرعون.

قال ـ تعالى ـ: ﴿**قَالُوا: يا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ من المُلقِينَ قَالَ: أَلقُوا**﴾ [الأعراف: 115 ـ 116].

---

(1) تفسير المنار ج 5/255.

وفي سورة ﴿طه﴾ قال ـ تعالى ـ: **﴿قَالُوا: يا موسى إما أن تلقي وإما أن تَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلقى قَالَ: بَلْ أَلقوا. . .﴾** [طه: 65 ـ 66].

قال الزمخشري: (تخييرهم إياه أدب. وحسن راعوه معه كما يفعل أهل الصناعات إذا التقوا كالمتناظرين قبل أن يتفاوضوا في الجدال، والمتصارعين قبل أن يتأخذوا للصراع. . .)(1).

وذكر بعض المفسرين أن فيه (إظهاراً للجلادة. . .)(2).

وذهب صاحب المنار إلى أن ما قيل من علة التخيير مراعاة الأدب، لا وجه له البتة. بل مقامهم بحضرة ملكهم الذي يدعي الألوهية والربوبية فيهم وما طلبوه منه وما وعدهم إياه. كله يقتضي أن يحتقروا خصمه لا أن يتأدبوا معه كما يتأدب أهل الصناعة الواحدة بعضهم مع بعض إذا تلاقوا للمباراة. . .

وما قاله البيضاوي وغيره من أن علته إظهار التجلد فضعيف. إذا لم يروا من «موسى» شيئاً بأعينهم يقتضيه. وإنما سمعوا أنه ألقى عصاه بحضرة فرعون فاستعدوا لمقابلته بعصي وحبال كثيرة يخيل إليه وإلى كل ناظر. إنها ثعابين تسعى. فيبطلون سحره بسحر مثله كما قال ملكهم فلنأتينك بسحر مثله. . . واختار صاحب المنار رأياً مفاده (أن مراعاة الفاصلتين في الموضعين هو الذين وحد بينهما بجعل كل منهما دالاً على رغبة السحرة والأولوية)(3).

وذكر الزمخشري (أن فيه ما يدل على رغبتهم في أن يلقوا قبله من تأكيد ضميرهم المتصل بالمنفصل. وتعريف الخبر. أو تعريف الخبر وإقحام المنفصل وقد سوغ لهم «موسى» ما تراغبوا فيه ازدراء لشأنهم وقلة مبالاة بهم

---

(1) الكشاف ج 2/103.
(2) تفسير أبي السعود ج 3/65، ج 6/27.
(3) تفسير المنار ج 6/64 ـ 65.

وثقة بما كانوا بصدده من التأييد السماوي وأن المعجزة لن يغلبها سحر أبداً)[1] مهما استنفذوا قصارى جهدهم، وبرزوا ما معهم، واستفرغوا أقصى ما يخفون).

وإذا أمعنا النظر في المشهد الكريم، وتدبرنا الحوار ـ في الموضعين ـ تأكدنا من أن لا تقاطع بين هذه اللمحات ـ وغيرها ـ جميعاً. ففي السياق مراعاة للأدب، وإظهار لجلادة سيدنا موسى ـ عليه السلام ـ وعدم المبالاة بسحرهم، وازدراء لشأنهم، وكل هذا ـ وغيره ـ مرده إلى ثقة سيدنا موسى ـ عليه السلام ـ بقوة الله وتأييده له، فلن يقدر عليه هؤلاء السحرة، ولن يغلبه سحر.

أما مراعاة الفواصل. فهي فضيلة بلاغية تضاف إلى تلك الخصائص وقد اقتضاها السياق والمقام، فحققها السبك، وليست هي الغاية من الصياغة. بل هي من مقتضيات المعنى الإعجازي.

(1) الكشاف ج 2/103.

المبحث الثاني

يذهب القرآن بالأسلوب الحواري كل مذهب، ويلونه ألواناً مختلفة. حسب مقتضى الحال. وداعية المقام.

وللحوار القرآني سمة خاصة وهي (تلك الذاتية التي يحتفظ بها هذا الحوار لشخصيات المتحاورين. . ذلك أننا في القصص القرآني لا نجد فرصة أبداً نفلت فيها من هذا الشعور الذي يستولي علينا من أننا إزاء شخصيات واقعية لها وجودها الذاتي. ولها منطقها وتفكيرها. ولها منزعها وإرادتها في الموقف الذي نقفه في الحدث. وفي الأسلوب الذي تعبر به عن موقفها)[1].

وسنعرض ـ هنا ـ للمحة فنية من لمحات هذا الأسلوب. وهي القدرة العظيمة للمحاججة والإقناع. وهذه القدرة نتلمسها من عدة اتجاهات. منها الواقع اللغوي، والعلاقات السياقية المنتظمة في النص، كذلك تمكن هذا النظم من التقرب من المخاطب والتلطف به، وإبطال أدواته وإقحامه. تأمل قوله ـ تعالى ـ: ﴿**وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آل فِرعَونَ يَكْتُمْ إِيمانَهُ: أَتقتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يقُولَ رَبِّي اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالبيّنَاتِ مِنْ رَبِّكُم وإن يَكُ كَاذِباً فَعَلَيهِ كَذِبُهُ، وإنْ يَكُ صادقاً يُصِبْكُم بَعْضُ الذي يَعِدُكُم**﴾ [غافر: 28] فانظر إلى حسن مأخذ هذا الكلام، وما تضمنه من النزول في الملاطفة.

فصدر الكلام بالإنكار عليهم في قتله واستقباحه، لأمرين:

---

(1) القصص القرآني ص 133.

أما الأول: فلأنَّه قائل بالتوحيد لله تعالى.

وأما الثاني: فلأنه قد جاءكم بالمعجزات الواضحة في هدايتكم إلى الخير. فمن هذه حاله كيف يقدم على قتله...

ثم أخذ بعد ذلك في الاحتجاج عليهم على جهة التقسيم. فقال: ليس يخلو حاله. أما أن يكون كاذباً فضر كذبه يعود عليه، وأنتم خالصون عنه. وإن يك صادقاً يصبكم بعض الذي يعدكم إن تعرضتم لقتله.

وفي سياق هذا الكلام من الملاطفة وحسن الأدب وكمال الإنصاف. ما يربو على كل غاية. وبيانه من أوجه:

أما أولاً: فلأنه صدر الكلام بكونه كاذباً على جهة التقدير ملاطفة واستنزالاً للخصم عن نخوة المكابرة ودعاء له إلى الإذعان والانقياد للحق وقدمه على كونه صادقاً، دلالة على ذلك[1].

وأما ثانياً: فلأنه فرض صدقه على جهة التقدير مع كونه مقطوعاً بصدقه. تقريباً للخصم. وتسليماً لما يدعيه من ذلك. وهضماً لجانب الرسول زيادة في الإنصاف ومبالغة فيه.

وأما ثالثاً: فإنه أردفه بقوله: (يصيبكم بعض الذي يعدكم) وإن كان التحقيق أنه يصيبهم كل ما يعدهم به لا محالة من أجل الملاطفة ـ أيضاً ـ.

وأما رابعاً: فإنه أتى «إنْ» للشرط، وهي موضوعة للأمور المشكوك فيها ليدل بذلك على أنه غير مقطوع بما يقوله على جهة الفرض.

وأما خامساً: فقوله ـ تعالى ـ في آخر الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ

---

(1) إشار بعض البلاغيين ـ ومنهم ابن الأثير والعلوي ـ إلى هذه الظاهرة الأسلوبية ـ وسموها (الاستدراج) ـ ينظر/ المثل السائر ـ ح 68/2 ـ الجامع الكبير ـ ص 23 ـ الطراز ج 281/2.

مسرفٌ كَذَّابٌ﴾ إنَّما أتي به على التلطف والإنصاف مخافة أن يبعدوا عن الهداية ومحاذرة من نفارهم عن طريق الصواب. . . وإلا فلو كان مسرفاً كذاباً، لما هداه الله إلى النبوة، ولما أعطاه إياها.

وهذا الكلام من الاستدراج للخصم وتقريبه وإيتائه إلى الحق ما لا يخفى على أحد من الأكياس)[1].

وفي القرآن الكريم مشاهد كثير. لحوار الأنبياء مع المشركين. ولكنك تلحظ أن الحوار في كل مشهد له خصائصه الفنية التي تفرد بها. وله بنيته النصية التي اقتضاها المقام وداعية الحال.

تأمل قوله ـ تعالى ـ: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُم: أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ. فَاطِرِ السَّموات والأَرضِ يَدْعُوكُم لِيَغْفِرَ لَكُم مِن ذُنُوبِكُم ويُؤَخِّرَكُم إلى أَجلٍ مُسمى﴾ [إبراهيم: 10].

فَأَنْتَ تَلْحظ أَن الحوار بدأ بتركيب الاستفهام المجازي ﴿أفي الله شك﴾ الدال على (الإنكار) فتقدمت أداة الاستفهام «الهمزة» على الظرف، (للإيذان بأن مدار الإنكار ليس الشك نفسه بل وقوعه فيما لا يكاد يتوهم فيه الشك أصلاً منقادين عن تطبيق الجواب على كلام الكفرة بأن يقولوا: أأنتم في شك من الله ـ تعالى ـ مبالغة في تنزيه ساحة السبحان عن شائبة الشك وتسجيلاً عليهم بسخافة العقول.

أي: أَفي شأنه ـ سبحانه ـ من وجوده ووحدته. ووجوب الإيمان به وحده وهو أظهر من كل ظاهر وأجلى من كل جلي حتى تكونوا من قبله في شك مريب[2].

---

(1) ينظر الطراز ج 2/284.
(2) تفسير أبـي السعود ج 6/36.

وبعد أن ساق الاستفهام الإنكاري، ألقى عليهم الأدلة والبراهين التي لا تردها إلا عقول بليدة عنيدة فكيف يُشكُّ بمن هو ﴿فاطر السموات والأرض﴾ أي: مبدعها ومن ﴿يدعوكم﴾ إلى الإيمان ﴿ليغفر لكم من ذنوبكم﴾ أي: بعضها.

فتأمل رد المشركين إذا قالوا: ﴿إِنْ أَنتُم إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾ لا فضل يؤهلكم لما تدعونه من النبوة ﴿تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونا﴾ بتخصيص العبادةِ بالله ـ سبحانه ـ: ﴿عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آباؤنَا فَأْتُونا بسلطانٍ مبين﴾ [إبراهيم: 10].

فقد جاء رد المشركين دالاً على المكابرة والعناد والجهل لأن رسلهم قد كانوا جاؤوهم من الآيات الظاهرة والبينات الباهرة ما تخر له صمم الجبال.

فـ ﴿قَالَتْ لَهُم رُسُلُهم﴾ مجاراة معهم في أول مقالتهم. وتقرباً من قولهم. لإقحامهم فيما قالوا وآثر السياق لفظة ﴿لهم﴾ لاختصاص الكلام بهم حيث أُريد إلزامهم بخلافِ ما سلف من إنكار وقوع الشك في الله ـ سبحانه ـ ثم جاء قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنْ نَحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُكُم﴾ كما تقولون: ﴿ولكنَّ اللَّهَ يَمُنُّ بالنبوة على مَن يشاء من عباده ﴿وَمَا كانَ لَنَا أَن نَأْتِيكُم بسُلطانٍ إلا بِإذن اللَّه﴾يعنون: أنَّ ذلك عطية من الله ـ تعالى ـ يعطيها من يشاء من عباده بمحض الفضل والامتنان من غير داعية توجبه.

قالوه تواضعاً وهضماً للنفس.

أَو: ما نحن من المَلائكة بل نحن بشر مثلكم ولكن الله يمن بالفضائل والكمالات والاستعدادات على من يشاء المن. وما يشاء ذلك إلا لعلمه باستحقاقه لها وتلك الفضائل والكمالات والاستعدادات هي التي يدور عليها ملك الاصطفاء للنبوة[1].

(1) تفسير أبـي السعود ج 5/37.

وتتصاعد وتيرة الحوار، فتجيء التراكيب قوية منتظمة. تجري في خفة واندفاعٍ وتراشق أشبه برمي السهام. ﴿**وَمَا لَنَا أَلا نَتَوكَّلَ على اللَّهِ..**﴾ أيَّ: عذر لَنَا في ألاَّ نتوكلَ عليهِ وقد هدانا سبيلنا؟.

أي: أرشد كلاً منا سبيله ومنهاجه الذي شرع له وأوجب عليه سلوكه في الدين.

وكأَنَّ رد الرسل ـ عليهم السلام ـ يفصح عما يضمره الكافرون لهم من أذى. مما يوجب القلق والاضطراب الفادح في التوكل. قالوا على سبيل التوكيد القسمي مظهرين كمال العزيمة ﴿**وَلَنَصْبرنَّ عَلى ما آذيتُمُونَا**﴾ بالعناد واقتراح الآيات وغير ذلك مما لا خير فيه[1].

«وعلى الله» خاصة «فليتوكل المتوكلون».

تأمل كيف ختمت كل آية من الآيتين السابقتين ﴿وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ «وعلى الله فليتوكل المتوكلون» والمراد ـ في الموضعين ـ واحد وهو إيجاب التوكل على الله وحده وفي ذلك من التطمين والتشجيع ما لا يخفى.

وحين أَدرك الذين كفروا بهزيمتهم في هذه المحاورة. وأحسوا بطلان حجتهم وسذاجتها بعدما رأوا البينات الفائقة للحصر فحلفوا على أن يكون ﴿**وَقَالَ الذينَ كفروا لِرُسُلِهم، لَنُخْرِجَنَّكم مِن أرضِنا أو لَتعُودُنَّ في مِلَّتِنا**﴾ ولكنَّ هيهات لهم ذلك. لأنَّ الله أوحى إلى رسله ﴿لنهلكن الظالمين﴾.

وكما ذكرت ـ سابقاً ـ فإنَّ مشاهد توحيد الله يكثر ورودها في القرآن الكريم ولكن بفنون متعددة وأساليب فنية متنوعة.

فهذا سيدنا «إبراهيم» يحاور المشركين من قومه الذين حاجوه في

---

(1) المصدر نفسه ج 6/38.

وحدانية الله قال ـ تعالى ـ: ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ، قال: أَتُحاجُونِي في اللَّه وقد هدانِ﴾ [الأنعام: 80].

أي: شرع قوم سيدنا إبراهيم في مغالبتهم في أمر التوحيد.

رد عليهم منكراً لما اجترءوا عليه في محاجته مع قصورهم عن تلك الرتبة وعزة المطلب وقوة الخصم. ولكن الحوار القرآني سلك مسلك التقرب والتلطف فألقى عليهم سؤالاً إنكارياً ﴿أتحاجوني في الله﴾ وجاء قوله ـ تعالى ـ: ﴿وقد هداني﴾ حالاً من ضمير المتكلم مؤكدة للإنكار.

فإن كونه ـ عليه السلام ـ مهدياً من جهة الله ـ تعالى ـ ومؤيداً من عنده مما يوجب استحالة محاجته ـ عليه السلام ـ.

أي: أتجادلونني في شأنه تعالى ووحدانيته والحال أنه ـ تعالى ـ هداني إلى الحق)[1].

﴿وَلاَ أخافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلاَّ أَنْ يَشاءَ رَبِّي شيئاً﴾ [الأنعام: 80].

أي: لا أخاف ما تشركون به ـ سبحانه ـ من معبوداتكم في وقت من الأوقات إلا في وقت مشيئته ـ تعالى ـ.

فأنت تلحظ أن في التعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميره ـ عليه السلام ـ إظهاراً منه لانقياده لحكمه ـ سبحانه وتعالى ـ واستسلامه لأمره واعتراف بكونه تحت ملكوته وربوبيته ﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شيءٍ عِلْماً﴾ [الأنعام: 80].

ثم تَأَمَّل قوله: ﴿أَفَلا تَتَذَكَّرُون﴾ أي: أتعرضون عن التأمل في أَنَّ آلهتكم غير قادرة على شيء من نفع أو ضر، وغير قادرة على إضراري.

---

(1) تفسير أبي السعود ج 3/164.

فقد آثر السياق لفظ «التذكر» دون «التفكير» ونظائره، إشارة إلى أن أمر أصنامهم مركون في العقول لا يتوقف إلا على التذكر.

ويتوالى ارتقاء الحوار القرآني، ليكشف عن طوايا الصدور، وخبايا النفوس فأنعم النظر في هذا المقطع من الحوار «وكيف أخاف ما أشركتم، ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطاناً».

فأنت ترى أن سياق قول سيدنا «إبراهيم» ـ عليه السلام ـ مقرر لإنكار الخوف ونفيه عنه ـ عليه السلام ـ ومفيد لاعترافهم بذلك فإنهم حيث لم يخافوا في محل الخوف فلأنه لا يخاف ـ عليه السلام ـ في محل الأمن أولى وأخرى.

أي: (وكيف أخاف أنا ما ليس في حيز الخوف أصلاً وأنتم لا تخافون غائلة ما هو أعظم المخلوقات. وأهوالها وهو إشراككم بالله الذي ليس كمثله شيء...).

ثم جاء قوله ـ تعالى ـ: ﴿ما لم ينزل به عليكم سلطاناً﴾ على طريقة التهكم، وفي تعليق الخوف الثاني بإشراكهم من المبالغة ومراعاة حسن الأدب ما لا يخفى ويختم المشهد بقوله ـ تعالى ـ: **﴿فأَيُّ الفَرِيقَينِ أَحَقُّ بالأَمنِ إِنْ كُنتُم تَعْلَمُونَ﴾** [الأنعام: 81].

وهذا سيدنا «نوح» ـ عليه السلام ـ يدعو قومه إلى الله ويحذرهم من عذاب ﴿يوم عظيم﴾ إذا هم لم يستجيبوا له ويستقيموا على الطريق الذي يدعوهم بآيات الله إليه.

قال ـ تعالى ـ: **﴿لَقَدْ أَرْسَلنا نُوحاً إلى قَوْمِه، فَقَالَ: يا قوم اْعبُدُوا اللَّهَ ما لكُم من إِلهٍ غَيرُه إِنِّي أَخَافُ عَلَيكُم عَذَابَ يومٍ عَظيم * قالَ الملأُ مِن قَوْمِهِ: إِنَّا لَنَرَاكَ في ضَلاَلٍ مبين * قَالَ يا قَوم: لَيْسَ بِـي ضَلالَةٌ، ولكِنِّي رَسُولٌ مِن**

ربِّ العَالَمين * أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وأَنْصَحُ لَكُمْ وأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ ما لاَ تَعْلَمُون * أَوَعَجِبْتُمْ أن جَاءَكُمْ ذِكرٌ من رَبِّكُم عَلى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُم وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ فَكَذَّبُوهُ فأَنْجَيناهُ والَّذينَ مَعَهُ في الفُلْكِ وأغْرَقْنَا الذينَ كَذَّبُوا بآياتِنا إِنَّهُم كَانُوا قوماً عَمين﴾ [الأعراف: 59 ـ 64].

يقول الزمخشري في تفسير للنص الكريم:

قوله ـ تعالى ـ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نوحاً﴾ جواب قسم محذوف، فإن قلتَ ما لهم لا يكادون ينطقون بهذه «اللام» إلا مع «قد»؟.

قلت: إنما كان ذلك لأن الجملة القسمية لا تساق إلا تأكيداً للجملة المقسم عليها التي هي جوابها، فكانت مظنة لمعنى التوقع الذي هو معنى «قد» عند استماع المخاطب كلمة القسم(1).

يبدأ سيدنا «نوح» ـ عليه السلام ـ المحاورة.

فقال: ﴿يا قوم، اعبدوا الله ما لكم من إله غيره، إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم﴾. فالرسول الكريم حريص على سلامة قومه، ضنين بهم أن تغتالهم الضلالة ويفتك بهم الكفر، ففي قوله ـ تعالى ـ: ﴿ما لكم من إله غيره﴾ بيان لوجه اختصاصه بالعبادة وفي قوله: ﴿إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم﴾ بيان للداعي على عبادته لأنه هو المحذور عقابه دون ما كانوا يعبدونه من دون الله.

و «اليوم العظيم» يوم القيامة أو يوم نزول العذاب عليهم، وهو الطوفان ولكن القوم يصرون على كفرهم وجهلهم وعنادهم فيلقون هذا الداعي الكريم بالتكذيب «قال: المَلأُ مِن قومِه، إنَّا لنراك في ضلال مبين».

ويظل الرسول الكريم حريصاً على سلامة قومه فيلقى سوءهم بإحسان ويدفع شرهم بخير.

---

(1) الكشاف ج 2/85.

ونلمس في حواره هذه اللمحة المضيئة ـ وما أكثرها في هذا الموقف وغيره ـ وهي إظهار التقرب والملاطفة لاستدراج الخصم إلى الإذعان والتسليم.

ونتبين بعض ما يتضمنه سياق الحوار من اللطائف الدقيقة إذا ما تأملناه حق تأمله يقول ـ تعالى ـ: على لسان سيدنا «نوح» ـ عليه السلام ـ مخاطباً قومه ﴿يا قومِ ليس بـي ضلالة ولكني رسول من رب العالمين﴾ فقد تصدر خطابه ﴿يا قوم﴾ ـ مرة ثانية، ولم يقل ـ يا قومُ ـ وفي ذلك ما لا يخفى من التقرب من المخاطب وملاطفته.

وقال: ﴿لَيْس بِـي ضلالة﴾ ولم يقل ـ ضلال ـ كما قالوا. لأَنَّ (الضِلالة؛ أخصُّ من الضِلال فكانت أَبلغ في نفي الضلال عن نفسه كأنه قال: ليس بـي شيء من الضلال).

فإِنْ قُلتَ: كيفَ وقع قوله: ﴿ولكنّي رسولٌ مِن ربِّ العالمين﴾ استدراكاً للانتقاء عن الضلالة؟.

قلت: كونه رسولاً من الله مبلغاً رسالاته ناصحاً في معنى كونه على الصراط المستقيم، فصح لذلك أن يكون استدراكاً للانتقاء عن الضلالة[1].

ونمضي في تدبر حوار سيدنا «نوح» ـ عليه السلام ـ ﴿أبلغكم رسالات ربـي﴾ أي: ما أوحي إليّ في الأوقات المتطاولة أو في المعاني المختلفة من الأوامر والنواهي والمواعظ والزواجر والبشائر والنذائر[2].

ونحاول جهد المستطاع الكشف عن بعض لطائف معاني سياق الحوار القرآني فتقرأ قوله: ﴿وأنصح لكم﴾.

---

(1) الكشاف ج 2/86.
(2) المصدر السابق.

يقال: نصحته، ونصحت له.

فقد أثر السياق الكريم تعدية الفعل ـ نص ـ بـ «اللام» لتحقيق أولاً: المبالغة وثانياً: الدلالة على إمحاض النصيحة، وأنها وقعت خالصة للمنصوح له مقصوداً بها جانبه لا غير فرب نصيحة ينتفع بها الناصح فيقصد النفعين جميعاً، ولا نصيحة أمحض من نصيحة الله تعالى ـ ورسله ـ عليهم السلام.

﴿واعلم من الله ما لا تعلمون﴾ ـ أي: من صفات الله وأحواله يعني؛ قدرته الباهرة وشدة بطشه على أعدائه، وأن بأسه لا يرد عن القوم المجرمين.

ويبلغ حوار سيدنا «موسى» ـ عليه السلام ـ موضعاً يلقي فيه هذا السؤال الإنكاري «أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم فينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون» فالهمزة ـ للإنكار والواو للعطف والمعطوف عليه محذوف.

كأنه قيل: أكذبتم وعجبتم ﴿أن جاءكم﴾ من أن جاءكم ـ ذكر ـ موعظة ـ من ربكم على رجل منكم ـ أي: على لسان رجل منكم وذلك أنهم كانوا يتعجبون من نبوة «نوح» ـ عليه السلام ـ ويقولون ـ ما سمعنا بهذا في أبائنا الأولين ـ يعنون إرسال البشر ـ ولو شاء ربنا لأنزل الملائكة ﴿لينذركم ولتتقوا﴾ ليحذركم عاقبة الكفر وليوجد منكم التقوى، وهي الخشية بسبب الإنذار ﴿ولعلكم ترحمون﴾ ولترحموا بالتقوى إن وجدت منكم إنهم يحسدون نوحاً، ويكذبونه أن يكون رسولاً من رب العالمين.

وذلك هو الداء المتمكن فيهم. وقد عز لهم هذا الداء وقطع بينهم وبينه الطريق، وسد بينه وبينهم منافذ الحوار والتفاهم والفهم.

فيصل بنا النص الكريم إلى نهاية المشهد ﴿فَكَذَّبُوهُ فأَنجَيناهُ والذينَ مَعَهُ في الفُلْكِ وأَغْرَقْنَا الذينَ كذَّبُوا بآياتِنا إِنَّهم كانوا قوماً عَمِين﴾.

ومما يجري هذا المجرى ـ انتقال حوار المستدل إلى غير الذي كان أخذاً فيه، لعدم فهم الخصم وجه الدلالة من الاستدلال الأول[1].

كما في قوله ـ تعالى ـ: **﴿أَلَمْ تَرَ إلى الذِي حَاجَّ إبراهيمَ في رَبِّه أَنْ أَتاهُ اللَّهُ المُلْكَ إذ قالَ إبراهيمُ: رَبـِّي الذي يُحْيـي ويُميتُ قال: أَنَا أُحْي وَأُمِيتُ قَالَ إبراهيمُ: فإنَّ اللَّهَ يأْتِي بالشَّمسِ من المَشْرقِ، فَأْتِ بِها مِنَ المَغْرِبِ، فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ، واللَّهُ لا يَهدي القومَ الظالمين﴾** [البقرة: 258].

يذكر ـ تعالى ـ مناظرة خليله «إبراهيم» ـ عليه السلام ـ مع هذا الملك الجبار المتمرد الذي ادعى لنفسه الربوبية فأبطل الخليل عليه دليله، وبين كفره وجهله وقلة عقله وألجمه الحجة، ولما دعاه إبراهيم الخليل إلى عبادة الله وحده لا شريك له، حمله جهله والضلال وطول الآمال على إنكار الصانع، فحاج إبراهيم الخليل في ذلك وادعى لنفسه الربوبية، فلما قال الخليل: ﴿رَبِّـي الذي يُحيـي ويُمِيت﴾.

فإن الملك الذي جادله إبراهيم ـ عليه السلام ـ فهم من الإحياء والإماتة قدرته على إبقاء من يستحق القتل، وحكمه على الحي بالموت.

﴿قال: أنا أحيي وأميت﴾.

وهذا (ليس بمعارضة للخليل بل هو كلام خارج عن مقام المناظرة. ليس بمنع ولا بمعارضة بل هو تشغيب محض[2].

فلم يرد إبراهيم مناقشته لكي يبين له مراده من الإحياء والإماتة بل انتقل إلى استدلال لا يجد الملك له وجهاً يتخلص به منه.

فإن الخليل استدل على وجود الصانع بحدوث هذه المشاهدات من

---

(1) الإتقان ج 2/137.
(2) قصص الأنبياء ص 135.

إحياء الحيوانات وموتها. على وجود فاعل ذلك الذي لا بد من استنادها إلى وجوده. ضرورة عدم قيامها بنفسها، ولا بد من فاعل لهذه الحوادث المشاهدة من خلقها وتسخيرها.

﴿قَالَ إبراهيمُ: فإنَّ اللَّهَ يأْتِي بالشَّمسِ مِنَ المَشْرِقِ فَأْتِ بِها مِنَ المَغْرِبِ﴾ [البقرة: 258].

أي: فإن كنت كما زعمت من أنك تحيـي وتميت فأت بهذه الشمس من المغرب فإن الذي يحيـي ويميت هو الذي يفعل ما يشاء ولا يمانع ولا يغالب، فإن كنت كما تزعم فافعل هذا، فإن لم تفعله فلست كما زعمت، وأنت تعلم وكل أحد أنك لا تقدر على شيء من هذا.

وبعد أن كشف حوار سيدنا «إبراهيم» المستند إلى الحجة والاقتناع كشف ضلال الملك وجهله وكذبه فيما ادعـاه، وبطلان ما سلكه وتبجح به فلم يبق له كلام يجيب الخليل به. بل انقطع وسكت **﴿فَبُهِتَ الذي كَفَرَ واللهُ لا يَهدِي القومَ الظالمين﴾**.

وكأن القول الكريم يضع نهاية تلقائية متوقعة مقنعة لحوار أو جدال بين الحق ـ وهو سيدنا إبراهيم ـ عليه السلام ـ والباطل ـ وهو الملك المشر ـ.

وتتنوع المشاهد وتتبدل الشخوص، فتتلون السياقات بلمحات مضيئة ونكات بليغة:

فهذا حوار بين شخصين، أحدهما كافر ثري، والآخر مؤمن فقير، لنتأمل ما دار بينهما من حوار.

يقول ـ تعالى ـ: **﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَثَلاً رَجُلَين، جَعَلْنَا لِأَحَدِهما جَنَّتين مِن أَعنابٍ وحَفَفناهُما بنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهما زَرْعاً * كِلْتَا الجَنَّتَينِ أَتت أُكُلَهَا، وَلَم تَظلِم مِنهُ شَيئاً، وَفَجَّرنا خِلالَهما نهراً * وكانَ لهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصاحبِهِ وَهُوَ**

يحاوِرُهُ: أَنَا أَكثرُ مِنكَ مالاً وأَعزُّ نفراً﴾ [الكهف: 32 ـ 34].

فقد جعل الله ـ تعالى ـ لهذا الكافر ﴿جنتين من أعناب﴾.

أي: بساتين من كروم متنوعة ﴿وحففناهما بنخيل﴾.

أي: جعلنا النخل محيطة بهما مؤزراً بها كرومها ﴿وجعلنا بينهما﴾.

أي: وسطها ﴿زرعاً﴾.

فتأمل ذلك الوصف الرباني البديع لمنظر هاتين الجنتين، ويبهرنا كيف سلك النظم في وصفها مسلك التدرج، فكأني بالسياق يرسم لنا بالكلمات هذا المنظر البهيج الذي يتدفق حسناً ونضارة، ويملأ النفس زهواً وإحساساً عميقاً بالجمال (بساتين من أعناب، محفوفة بالنخل، مؤزرة به، مسورة بجذوعه القائمات وبسعفاته الباسقات، وبينهما زرع، ليكون كل منهما جامعاً للأقوات والفواكه متواصل العمارة على الهيئة الرائقة والوضع الأنيق و ﴿كلتا الجنتين أتت أكلها﴾ أي: أتت ثمرها وبلغت مبلغاً صالحاً للأكل وتفردت هاتان الجنتان بنعم ربانية أخر.

«ولم تنقص منه» لم تنقص منه أكلها ﴿شيئاً﴾.

كما يعهد ذلك في سائر البساتين. فإن الثمار غالباً تكثر في عام وتقل في آخر وكذا بعض الأشجار يأتي بالثمر في بعض الأعوام دون بعض ﴿وفجرنا خلالهما﴾ فيما بين كل من الجنتين ﴿نهراً﴾ على حدة ليدوم شربهما ويزيد بهاؤهما فقد نعتها السياق الكريم بـ (وفاء الثمر وتمام الأكل من غير نقص، ثم بما هو أصل الخير ومادته من أمر الشرب، فجعله أفضل ما يسقى به وهو السيح بالنهر الجاري فيها. والأكل الثمر)(1).

يقول أبو السعود العمادي (لعل تأخير ذكر تفجير النهر في تكميل

(1) الكشاف ج 484/2.

محاسن الجنتين ـ كما في قصة البقرة ونحوها ـ ولو عكس لا نفهم أن المجموع خصلة واحدة بعضها مترتب على بعض فإن إيتاء الأكل متفرع على السقي عادة، وفيه إيماء إلى أن إيتاء الأكل لا يتوقف على السقي[1] كقوله ـ تعالى ـ: ﴿يكادُ زيتُها يضيء وَلَو لَمْ تَمسسه نار﴾ [النور: 35].

﴿وكان له﴾ أي: لصاحب الجنتين ﴿ثمر﴾ أنواع من المال غير الجنتين من ثمر ماله إذا كثر.

وبعد هذا الوصف الشائق للمشهد، يبدأ حوار الرجل الكافر الميسور. ﴿فقال لصاحبه﴾ أي: لصاحبه المؤمن.

﴿وهو يحاوره﴾ أي: يراجعه الكلام من حار يحور إذا رجع وسأله ﴿أنا أكثر منك مالاً وأعز نفراً﴾ وكأني بهذا الرجل الكافر يأخذ بيد صاحبه المؤمن الفقير يطوف به في الجنتين ويريه ما فيهما ويعجبه منهما ويفاخره بما ملك من المال والأعوان والأولاد. ﴿ودخل جنته﴾.

وقد أثر السياق الكريم إفراد الجنة بعد التثنية لأن معناه؛ ودخل ما هو جنته، ما له جنة غيرها، يعني: إنه لا نصيب له في الجنة التي وعد المؤمنون. فما ملكه في الدنيا هو جنته لا غير ولم يقصد الجنتين ولا واحدة منهما.

﴿وهو ظالم لنفسه﴾ وهو معجب بما أوتي مفتخر به كافر لنعمة ربه، معرض بذلك نفسه لسخط الله، وهو أفحش الظلم. فهو ضار لنفسه بعجبه وكفره.

﴿قال﴾ فالقول ـ هنا ـ استئناف مبن على سؤال نشأ من ذكر دخول جنته حال ظلمه لنفسه كأنه قيل: فماذا قال إذ ذاك، فقيل قال: (ما أظن أن تبيد هذه الجنة) أي: تفنى (أبداً) لطول أمله واستيلاء الحرص عليه وتمادي غفلته

---

(1) تفسير أبي السعود ج 551/5.

واغترار بمهلته وإطراحه النظر في عواقب أمثاله.

و (لعله إنما قاله بمقابلة موعظة صاحبه وتذكيره بفناء جنتيه ونهيه عن الاغترار بهما وأمره بتحصيل الباقيات الصالحات)[1].

﴿ولئن رُدِدْتُ إلى رَبِّي﴾ إقسام منه على أنه إن رد إلى ربه على سبيل العرض والتقدير وكما يزعم صاحبه. ليجدن في الآخرة خيراً من جنته في الدنيا تطمعاً وتمنياً على الله وادعاءً لكرامته عليه ومكانته عنده، وأنه ما أولاه الجنتين إلا لاستحقاقه واستئهاله له، وأن معه هذا الاستحقاق أينما توجه)[2].

فهذا الصاحب الكافر يعتقد أنه ـ تعالى ـ إنما أولاه ما أولاه في الدنيا لاستحقاقه الذاتي ولم يدر أن ذلك استدراج.

ويأتي رد صاحبه «قال له صاحبه» وهو الرجل الفقير المؤمن الذي لا مال له ولا نفر ولا جنة عنده ولا ثمر فإنه معتز بما هو أسمى وأبقى فهو ينكر على صاحبه المغرور كبره، ويذكره بمنشئه المهين، ويمن خلقه وسواه ويحذره أن يصيبه سخط الله ﴿وهو يحاوره﴾ جملة حالية. جاءت في الموضعين للتنبيه من أول الأمر على أن ما يتلوه كلام معتنى بشأنه مسوق للمحاورة ﴿أَكَفَرْتَ﴾ حيث قلت ما أظن الساعة قائمة «الذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلاً».

وتأمل كيف عبر السياق الكريم عنه ـ تعالى ـ بـ «الذي» لاسم الموصول للإشعار بعلية ما في حيز الصلة لإنكار الكفر والتلويح بدليل البعث الذي نطق به قوله ـ عز من قائل ـ: **﴿يا أيُّها الناسُ، إنْ كُنتُم في ريبٍ مِنَ البَعثِ فإنا خلقناكم من تراب﴾** [الحج: 5].

---

(1) الكشاف ج / 483.
(2) المصدر السابق ج 2/ 484.

﴿لكنَّا هو اللَّهُ ربِّـي﴾ أصله؛ لكن أنا، فحذفت الهمزة وألقيت حركتها على نون ـ لكن ـ فتلاقت النونان وكان الإدغام، ومدار الاستدراك قوله ـ تعالى ـ: ﴿أكفرت﴾.

كأنه قال: أنت كافر لكني مؤمن موحد ﴿ولا أُشْرِكُ بربـي أَحداً﴾ فيه إيذان بأن كفره كان بطريق الإشراك.

﴿ولَوْلاَ إذ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ؛ ما شاء الله﴾.

أي: (هلا قلت عند دخول جنتك والنظر إلى ما رزقك الله منها، ما شاء الله، اعترافاً بأنها وكل خير فيها إنما حصل بمشيئة الله وفضله، وأن أمرها بيده إن شاء تركها عامرة وإن شاء خربها: .

وقلت: ﴿لا قُوةَ إلا باللَّهِ﴾ إقراراً بأن ما قويت به من عمارتها وتدبير أمرها إنما هو بمعونته وتأييده، إذ لا يقوى أحد في بدنه ولا في ملك يده إلا بالله ـ تعالى ـ: ﴿إن ترني أَنا أَقلَّ مِنْكَ مالاً وَوَلداً﴾.

بمعنى: (إن ترني أفقر منك فأنا أتوقع من صنع الله أن يقلب ما بـي وما بك من الفقر والغنى فيرزقني لإيماني «جنة» «خيراً من جنتك». ويسلبك لكفرك نعمته ويخرب جنتك)[1].

﴿ويُرْسِل عَلَيْكَ حُسْباناً﴾ والحسبان ـ مصدر، بمعنى: الحساب كـ (البطلان) و (الغفران).

أي: مقداراً قدرة الله ـ تعالى ـ وحسبه وهو الحكم بتخريبها، وقيل: حسباناً بمعنى «عذاباً» و ﴿مِنَ السَّماءِ فتُصْبحُ صَعِيداً زَلَقا﴾.

أي: فتصبح جنتك أرضاً ملساء يزلقَ عليها لاستئصال ما عليها من

---

(1) الكشاف ج 2/485.

البناء والشجر والنبات ﴿أو يُصْبِحَ ماؤها غوراً﴾ أي: غائراً في الأرض. ﴿فَلَنْ تستطيع﴾ ـ أبداً ـ ﴿لَه﴾ أي: للماء الغائر ﴿طلباً﴾ فضلاً عن وجدانه وردّه.

وكان ما توقعه هذا المؤمن ـ وقَلْبُ المؤمنِ دَليلُه كما يقال ـ وفجأة ينقلب السياق من مشهد النماء والازدهار إلى مشهد الفناء والدمار فإذا بالثمر والجنتين أثر بعد عين.

﴿وأُحيِط بثمرهِ﴾ أُهلِك أمواله المعهودة من جنته وما فيها.

تأمل دلالة ﴿أُحيط﴾ التي آثرها السياق، لتجسد صورة هلاكه، فأصلها من ـ أحاط به العدو لأنه إذا أحاط به فقد ملكه واستولى عليه، ثم استعمل في كل هلاك. ومنه قوله ـ تعالى ـ: ﴿**إلا أَنْ يُحاط بكم**﴾ [يوسف: 66].

وأنعم النظر في الإيجاز البليغ، فكأنه قيل: فوقع بعض ما توقع من المحذورِ وأهلك أمواله، وإنما حذف لدلالة السياق عليه.

عندئذٍ عظمت حسرته لتلف المال، وضياع الجهد، فيوصله كفره وغروره إلى أن يلقي نفسه في سجن «الندم والحسرة» ﴿فأَصْبَحَ يُقَلّبُ كفّيه على ما أنفَقَ عليه﴾ أي: أَنفق في عمارتها من المال ﴿وَهِي خَاويةٌ على عُرُوشها﴾ يعني: أن كرومها المعرشة سقطت عروشها على الأرض وسقطت فوقها الكروم. وكأني به يسقط هو الآخر على ركبته وليس له إلا الندم والحسرة وتمني المستحيل.

﴿يا ليتني لَمْ أُشْرِك بِربِّـي أَحداً﴾ تمنى لو لم يكن مشركاً حتى لا يهلك الله بستانه ﴿وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئةٌ ينصرُونَهُ من دونِ الله﴾ ومن يقدر على نصرته من دون اللَّهِ. فالله وحده هو القادر على نصرته، لا يقدر أحد غيره أن ينصره.

وهكذا جسم هذا المشهد ما تضمّنه الحوار فيه من المعاني المجردة فضربت حقائقها في الأذهان بل قررتها فيها ونقشتها.

الخاتمة

إن الحوار القرآني الذي يعتمد في الغالب على حكاية مقولات القائلين ونقلها على ألسنتهم، يذهب في أنماطه التي لا حصر لها ـ كل مذهب ذي أثر نفسي بليغ مؤثر، فيرد ملوناً بفنون بلاغية، حسب مقتضى الحال وداعية المقام.

فقد يأتي الحوار مفصلاً للدلالة والمغزى ويملأ كل ثنايا المشهد ويأتي ـ أحياناً كثيرة ـ يختصر الأحداث ويعرضها عرضاً سريعاً، فيعني بالإشارة اللامحة واللمحة الدالة، والنكتة البلاغية الكاشفة للأغراض المقصودة من السياق، مثل إبراز القيم الخلقية والمثل العليا، كحسن الأدب والملاطفة والقدرة على محاجة الخصم وإقناعه ـ وهذا ما حاولنا عرضه في المبحثين السابقين.

كذلك نبها إلى دور الحوار في رسم معالم الشخصيات الإنسانية بالتعبير عن خواطرهم النفسية ومواقفهم وآرائهم.

وحاولنا في بعض المشاهد بيان صلة الحوار بتطور الصراع داخل المشهد الواحد.

وفي الختام نتمنى أن نكون قد حققنا بعض ما نطمح إليه من هذه الدراسة.

والله ولي التوفيق

المراجع والمصادر

القرآن الكريم:

1 ـ الإتقان في علوم القرآن ـ السيوطي (ت 911) ـ تحقيق/ محمد أبي الفضل إبراهيم ـ ط (1) ـ مكتبة ومطبعة الحسيني ـ القاهرة.

2 ـ تفسير أبي السعود، المسمّى (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم) ـ أبو السعود العمادي ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان.

3 ـ تفسير المنار ـ محمد رشيد رضا ـ دار المعرفة للطباعة والنشر ـ بيروت ـ لبنان ـ ط (2).

4 ـ الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور ـ تحقيق/ د. مصطفى جواد، د. جميل سعيد ـ مطبوعات المجمع العلمي العراقي ـ 1956 ـ بغداد.

5 ـ سيكولوجية القصة في القرآن ـ التهامي نقرة ـ رسالة دكتوراه الحلقة الثالثة ـ جامعة الجزائر ـ 1971 ـ طباعة الشركة التونسية للتوزيع ـ تونس ـ 1974.

6 ـ الطراز المتضمن لأسرار البلاغة ـ يحيى بن حمزة العلوي ـ مطبعة دار المقتطف ـ القاهرة ـ 1914.

7 ـ قصص الأنبياء ـ للإمام أبي الفداء إسماعيل بن كثير (ت 774) ـ تحقيق/ ومراجعة لجنة من العلماء ـ دار الأقصى ـ القاهرة ـ ط 1) ـ 1990.

8 ـ القصص القرآني في منطوقه ومفهومه ـ عبد الكريم الخطيب ـ ط (1) ـ 1964.

9 ـ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ـ الزمخشري (ت 538) و (الإنصاف فيما تضمنه الكشاف) ـ أحمد بن المنير الإسكندري ـ في هامش الكشاف ـ الدار العالمية للطباعة والنشر.

10 ـ المثل السائر ـ ابن الأثير (ت 637) ـ تحقيق/ محيي الدين عبد الحميد ـ مطبعة البابي الحلبي ـ القاهرة ـ مصر.

11 ـ المعجزة الكبرى، القرآن ـ الإمام محمد أبو زهرة ـ دار الفكر العربي ـ 1970.

الفصل الخامس

أسلوب المبني للمجهول

المبحث الأوّل

كثر في القرآن الكريم أسلوب العدول إلى الفعل المبني للمجهول فهو ظاهرة أسلوبية مطردة. وقد آثرت أن تبدأ هذه الدراسة بمقدمة تابعت فيها آراء النحاة ـ القدامى والمتأخرين ـ في صيغ الفعل المبني للمجهول.

ثم وضعت معجماً للأفعال المبنية للمجهول الواردة في القرآن توخيت في ترتيبها أمرين:

الأول: ترتيب السور في القرآن الكريم.

الآخر: الترتيب الهجائي (الألف بائي) للأفعال في كلِّ سورة.

وقد اعتمدت في استقراء مواضع هذه الأفعال على رواية «حفص بن عاصم» واستعنت لهذا الغرض بمصادر كثيرة، يأتي في مقدمتها كتاب «دراسات لأسلوب القرآن الكريم» للأستاذ محمد عبد الخالق عضيمة.

أوّلاً ـ المقدمة:

لم يذكر سيبويه صيغ الفعل المبني للمجهول ولكنه ضرب أمثلة على ذلك وكذلك لم يذكر ما ينوب عن الفاعل صراحة، ولكنه ضرب أمثلة نستطيع أن نستخلص منها ما ينوب عن الفاعل بعد حذفه.

قال سيبويه: (المفعول الذي لم يتعده فعله ولم يتعد إليه فعل فاعل قولك ـ ضُرِب زيدٌ، ويُضرَب عمر)[1].

---

(1) الكتاب ج 1/46.

وقال ـ أيضاً ـ: (تقول: ضربت زيداً) فلا تجاوز هذا المفعول، وتقول: (ضُرِبَ زيدٌ، فلا يتعداه فعله لأن المعنى واحد)[1].

وقد فصّل جمهور النحاة[2] القول في هذه المسألة؛ فذكروا أن الفعل إذا بني للمجهول لما لم يسم فاعله، فلا يخلو من أن يكون ماضياً أو مضارعاً.

ولا يبنى فعل الأمر للمجهول، كذلك لا يبنى الفعل الجامد، وإنما الفعل المتصرف.

أولاً ـ الفعل الماضي:

(أ) فإن كان ماضياً ضم أوله وكسر ما قبل آخره، ثلاثياً كان أو زائداً عليه.

(ب) إذا كان الفعل الماضي الذي يراد بناؤه مبدوءاً بـ «تاء» المطاوعة ضم أوله وثانيه معاً نحو: «تُدحرِج».

(ت) إذا كان الفعل الماضي الذي يراد بناؤه مبدوءاً بهمزة وصل: ضم أوله وثالثه، نحو: استجلِي، اقتُدِر.

(ث) إذا كان الفعل الماضي ثلاثياً معتل العين مثل: قال

أو على وزن «افتعل» مثل: اختار، ارتاب.

أو على وزن «انفعل» مثل: انقاد، انزاح.

أو كان الفعل مضاعفاً مثل: صَبّ، عَدّ.

جازت فيه الوجوه الثلاثة وهي:

1 ـ كسر فائه، وقلب الألف ياءً لوقوعها بعد الكسرة، نحو: (قال

---

(1) المصدر السابق ج 1/19 ـ 20.

(2) ينظر/ شرح المفصل ج7/71 ـ شرح الكافية ج4/128 ـ شرح التصريح ج 1/295.

ـ قيل)، (اختار ـ اختير) (انقاذ ـ انقيد) (صبّ ـ صِبّ).

2 ـ ضم الفاء، وقلب الألف واواً لوقوعها بعد الضمة.

قُول اختور انقُود صُبّ.

3 ـ إشمام (الفاء): وهو الإتيان بحركة بين الضمة والكسرة، ولا يظهر ذلك في الكتابة وإنما يظهر في النطق (وهي لهجة قرىء عليها ـ قوله تعالى ـ: ﴿**وقيل: يا أرض ابلعي ماءك، ويا سماء أَقلعي، وغيض الماء..**﴾ [هود: 44].

بالإشمام في «قيل» و «غيض»، وهي قراءة الكسائي).

هذه الوجوه الثلاثة التي نطق بها العرب، ونقلها عنهم النحاة وكلها صحيحة فصيحة وإن كان أفصحها هو الوجه الأول.

4 ـ إذا كان في الفعل الماضي «ألف» المفاعلة، قلبت «واواً» بضم ما قبلها، نحو: (جاهد ـ جُوهد) (تجاهل ـ تجُوهل).

وذكر الرضي أنه قد جاء (في كلامهم بعض الأفعال على ما لم يسم فاعله ولم يستعمل منه المبنى الفاعل نحو: (جُنَّ، سُلَّ، زُكِم، وُرِدَّ، حُمَّ).

وذكر علماء اللغة أفعالاً أخرى ـ تجري المجرى نفسه ـ مثل (عُنِي، فُلِج ـ أصابه الفالج ـ غُم ـ أُغمي عليه، عُمي، اُمتقع)[1].

ثانياً ـ الفعل المضارع:

لبناء الفعل المضارع للمجهول، يضم أوله، ويفتح ما قبل الآخر ويلاحظ ما يأتي:

(أ) إذا كان الفعل أجوفاً، نحو (يقول) (يعود)، فإنه يضم أوله ويفتح ما قبل حرف العلة؛

ـ فإذا كان حرف العلة «ألفاً» بقي كما هو، فيقال: (يُنقاد) و (يُختار).

---

(1) شرح المفصل ج 7/70.

ـ أما إذا كان حرف العلة غير الألف فإنه يقلب ألفاً، فيقال (يقال) و (يعاد).

(ب) إذا كان الفعل مضعفاً نحو: (يَمتدّ) (يَشتدّ) (يَعتدّ) فإنه يضم أوله ويفتح ما قبل حرف التضعيف، فيقال: (يُمتَد) (يُشتَد) (يُعتَد)[1].

ثالثاً:

تحدث سيبويه عن اسم المفعول في معرض حديثه عن الاشتغال بضمير معمول اسم الفاعل فقال:

(ومثل ذلك في النصب، أَزيدٌ أنت محبوسٌ عليه، وأَزيداً أَنت مكابرٌ عليه وإنْ لم يُرد به الفعل، وأراد وجهَ الاسم رفع، وكذلك جميع هذا فـ «مفعول» مثل: (يُفعَل) و (فاعل) مثل (يَفعل)[2].

وقال ـ أيضاً ـ: (ولأَنَّ الاسم على: فَعَلَ ـ يَفْعَلُ «فاعل».

وعلى: فُعِلَ ـ يُفعَل «مفعول».

فإذا لم يكن واحدٌ منهما ولا الذي لمبالغة الفاعل لم يكن إلاَّ الرَّفع)[3].

وذكر أَنَّهُ يجوز في اسم المفعول ما جازَ في قواعد المطابقة بين الفعل وفاعل حيث ملازمته حالة واحدة إذا كان فاعله ظاهراً، ومطابقته لفاعله إن كان ضميراً في الإفراد والتثنية والجمع، وكذلك قواعد المطابقة من حيث التذكير والتأنيث فيجوز فيه ما جاز في الفعل[4].

---

(1) شذا العرف ص 53.
(2) الكتاب ج 1/55.
(3) المصدر السابق ج 1/60.
(4) المصدر نفسه ج 1/238 ـ 239.
ينظر ـ أيضاً ـ نظام الجملة عند اللغويين في القرنين الثاني والثالث للهجرة ـ د. مصطفى جطل ـ مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية ص 102.

وذكر جمهور النحاة أنَّ (اسم المفعول يصاغ من جميع الثلاثي على وزن (مفعول)، ومن غير الثلاثي على وزن اسم الفاعل منه إلاَّ في فتح ما قبل الآخر.

وحاله في عمله عمل فعله ـ أي: المضارع المبني للمفعول ـ كحال اسم الفاعل في عمله عمل فعله الذي هو المضارع المبني للفاعل.

وحاله في اشتراط الحال والاستقبال والاعتماد على صاحبه أو حرفي الاستفهام والنفي كحال اسم الفاعل. أما وجوه بنائه فهي:

(أ) يبنى (اسم المفعول) من الفعل المتعدي مطلقاً، فإذا كان متعدياً إلى واحد، فاسم المفعول يطلق على ذلك الواحد (ضربتُ زيداً فهو مضروب)، وإذا تعدّى إلى اثنين ليسا بمبتدأ وخبر فهو يطلق على كل واحد.

وإن كانا في الأصل مبتدأ وخبراً، فاسم المفعول في الحقيقة واقع على مضمون الجملة، أعني مصدر الخبر مضافاً إلى المبتدأ. ويصح أن يقال للمفعول الأول ـ هنا ـ مفعول ولكن بقيد الخبر ـ أي: تقيد صيغة اسم المفعول بما يستفاد من الخبر.

وإذا كان متعدياً إلى ثلاثة، وقع اسم المفعول على كلّ واحدٍ من الأوّل، ومن مضمون الثاني والثالث ـ أعني مصدر الثالث مضافاً إلى الثاني ـ.

(ب) وإن كان الفعل لازماً: فإن لم يتعدَّ بحرف جر لم يجز بناء اسم المفعول منه وإن تعدّى إلى المجرور، جاز بناء اسم المفعول مسنداً إلى الجار والمجرور. نحو: سرتُ إلى البلد، فهو: مسيرٌ إليه. . .)[1].

---

(1) ينظر/ شرح الكافية ج 3/428 ـ 429.

معجم الأفعال المبنية للمجهول
«في القرآن الكريم»

اسم السورة	رقم الآية	الآيـــة
البقرة	166	﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ﴾
	25	﴿وأُوتوا به﴾
	101	﴿أُوتوا الكتاب﴾
	213	﴿أُوتوه﴾
	136	﴿أُوتي﴾
	247	﴿وَلم يؤت﴾
	213	﴿الذين أُوتوه من بعد﴾
	269	﴿ومَن يؤتَ الحكمةَ فقد أُوتي خيراً﴾
	283	﴿أُوْتمن﴾
	68	﴿ما تُؤمرون﴾
	259	﴿فبُهِتَ الذي كفر﴾
	196	﴿فإنْ أُحصِرتم﴾
	203	﴿تحشرون﴾
	187	﴿أُحِـلَّ﴾

اسم السورة	رقم الآية	الآيـــة
البقرة	48	﴿ولا يؤاخَذ﴾
	246	﴿وَقد أُخرجنا﴾
	173	﴿فمن اُضْطُرَ﴾
	282	﴿إذا دُعُوا﴾
	245	﴿وإليهِ تُرجعون﴾
	210	﴿تُرجَع الأُمور﴾
	45	﴿كلما رُزقوا﴾
	214	﴿وزُلزلوا حتى يقول﴾
	212	﴿زُيِّنَ للَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْحَيَٰوةَ الدُّنْيَا﴾
	108	﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْئَلُواْ رَسُولَكُم كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ﴾
	119	﴿وَلاَ تُسْئَلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ﴾
	134	﴿وَلاَ تُسْئَلُونَ عما كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾
	93	﴿وأُشربوا في قلوبهم﴾
	233	﴿لا تُضَآرَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا﴾
	282	﴿ولا يضارُّ كاتب﴾
	61	﴿وِضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ﴾
	279	﴿فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ﴾
	281	﴿وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾
	178	﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَٱتِّبَاعُ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾
	24	﴿فاَتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾
	96	﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ

اسم السورة	رقم الآية	الآيـــة
البقرة		﴿ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ﴾
	48	﴿ولا يُقْبَلُ منها﴾
	210	﴿وَقُضِيَ ٱلأَمْرُ﴾
	154	﴿وَلاَ تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌ﴾
	180	﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضِرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوتُ إِن تَرَكَ خَيْراً ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ﴾
	178	﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ في ٱلْقَتْلَىٰ﴾
	233	﴿لاَ تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاَّ وُسْعَهَا﴾
	4	﴿يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾
	106	﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أو نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا﴾
	48	﴿وَلاَ هُمْ يُنْصَرُونَ﴾
	272	﴿وَمَا تُنْفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾
	234	﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ﴾
آل عمران	73	﴿قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَىٰ ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ﴾
	195	﴿فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأُوذُواْ في سبيلي﴾
	186	﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾
	101	﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ﴾
	112	﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُواْ﴾
	50	﴿وَلأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ ٱلَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُم﴾
	25	﴿يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَـٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾
	110	﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾

اسم السورة	رقم الآية	الآيــــة
آل عمران	109	﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلأُمُورُ﴾
	132	﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾
	14	﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَاتِ﴾
	185	﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ﴾
	112	﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمْ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُواْ﴾
	112	﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمْ ٱلْمَسْكَنَةُ﴾
	180	﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾
	12	﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ﴾
	91	﴿فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِّلْءُ ٱلأَرْضِ ذَهَباً﴾
	195	﴿وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَـٰتَلُواْ وقُتِلُواْ﴾
	90	﴿لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾
	144	﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ اعْقَـٰبِكُمْ﴾
	157	﴿وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَو مُتُّم لَمَغْفِرَةٌ﴾
	158	﴿وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ ﴿لأَلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾
	154	﴿مَّا قُتِلْنَا هَـٰهُنَا﴾
	156	﴿مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ﴾
	184	﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِن قَبْلِكَ﴾
	115	﴿وَمَا يَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ﴾
	93	﴿مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَيٰةُ﴾
	65	﴿وَمَا أُنْزِلَتِ ٱلتَّوْرَيٰةُ وَالإِنْجِيلُ إِلاَّ مِن بَعْدِهِ﴾
	101	﴿وأنتم تُتلَى عليكم آيات الله . . . فَقَدْ هُدِيَ﴾

اسم السورة	رقم الآية	الآيـــة
آل عمران	96	﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ﴾
	161	﴿ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نفسٍ﴾
	25	﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾
	185	﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾
النساء	60	﴿وَقد أُمِرُواْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِ﴾
	72	﴿لَيُبَطِّئَنَ. . . ﴾
	127	﴿قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾
	123	﴿مَن يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ﴾
	23	﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَـٰتُكُمْ﴾
	25	﴿فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَـٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَـٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾
	128	﴿وَأُحْضِرَتِ ٱلأَنْفُسُ ٱلشُّحَّ﴾
	160	﴿حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَـٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾
	86	﴿وَإِذَا حُيِّيْتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَا﴾
	28	﴿وَخُلِقَ ٱلإِنسَـٰنُ ضَعِيفاً﴾
	124	﴿فَأُوْلَـٰئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلاَ يُظْلَمُونَ نَقِيراً﴾
	161	﴿وهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾
	91	﴿كُلَّ مَا رُدُّواْ إِلَىٰ ٱلفِتْنَةِ أُرْكِسُواْ فِيهَا﴾
	42	﴿لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمْ ٱلأَرْضُ﴾
	157	﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾
	157	﴿وَلَـٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾

اسم السورة	رقم الآية	الآيـــة
النساء	48	﴿إِنَّ ٱللَّهَ لا يَغْفِرُ أن يُشْرَكَ بِهِ﴾
	64	﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾
	148	﴿لاَ يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوءِ مِنَ ٱلقَوْلِ إلاَّ مَن ظُلِمَ﴾
	74	﴿وَمَن يُقَـٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَل أَوْ يَغْلِبْ﴾
	140	﴿أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا ويُسْتَهْزَأُ﴾
	12	﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَـٰلَةً﴾
	12	﴿مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾
	97	﴿إِن ٱلَّذِينَ تَوَفَّـٰهُمُ ٱلْمَلَٰئِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ﴾
	66	﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ﴾
المائدة	41	﴿إِنْ أُوتِيتُمْ هَـٰذَا فَخُذُوهُ﴾
	41	﴿وَإِنْ لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُواْ﴾
	101	﴿لا تَسْئَلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾
	109	﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ﴾
	96	﴿وحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ﴾
	44	﴿بِمَا ٱسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ﴾
	3	﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾
	13	﴿وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ﴾
	83	﴿تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ﴾
	108	﴿أو يَخَافُواْ أَن تُرَدَّ أَيْمَـٰنُ بَعْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ﴾
	33	﴿أَن يُقَتَّلُواْ أَوْ يُصَلَّبُواْ﴾
	107	﴿فَإِنْ عُثِرَ عَلَيَّ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّا إِثْماً﴾

اسم السورة	رقم الآية	الآيـــة
المائدة	64	﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾
	36	﴿مَا تُقْبِّلَ مِنْهُمْ﴾
	27	﴿فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا﴾
	27	﴿وَلَمْ يُتَقَبَّلُ مِنَ ٱلأَخَرِ﴾
	33	﴿أو تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ﴾
	78	﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾
	64	﴿ولُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ﴾
	59	﴿هَلْ تنقِمُونَ مِنَّا إلا أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ﴾
	101	﴿وَإِن تَسْئَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ﴾
الأنعام	124	﴿لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِ﴾
	34	﴿فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ﴾
	95	﴿ذَلِكُمْ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾
	14	﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ﴾
	71	﴿وأُمِرْنَا لنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾
	70	﴿أُوْلَـٰئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْ﴾
	70	﴿وَذَكِّرْ بِهِ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ﴾
	93	﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾
	160	﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلاَ يُجْزَىٰ إِلاَّ مِثْلَهَا﴾
	120	﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُواْ يَقْتَرِفُونَ﴾
	51	﴿يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُواْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾

اسم السورة	رقم الآية	الآيـــة
الأنعام	38	﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾
	36	﴿ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾
	71	﴿وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا﴾
	16	﴿مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ﴾
		﴿ومَا لَكُمْ أَلا تَأكلونَ مما ذُكِرَ اسمَ الله عليه﴾
	119	﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلاَّ مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾
	14	﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلاَ يُطْعَمُ﴾
	91	﴿وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُواْ﴾
	60	﴿ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾
	45	﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾
	34	﴿فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ﴾
	73	﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ﴾
	37	﴿وَقَالُواْ لَوْلاَ نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾
	56	﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ﴾
	47	﴿هَلْ يُهْلَكُ إِلاَّ ٱلْقَوْمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾
	10	﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِىءَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾
	19	﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ﴾
	145	﴿قُل لاَّ أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً﴾
	93	﴿أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾
	27	﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾
	50	﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾

اسم السورة	رقم الآية	الآيـــة
الأعراف	129	﴿قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا﴾
	25	﴿وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾
	6	﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ﴾
	149	﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ﴾
	47	﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَـٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَـٰبِ ٱلنَّارِ﴾
	137	﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَـٰرِقَ ٱلأَرْضِ﴾
	169	﴿وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾
	119	﴿فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ﴾
	204	﴿وَإِذَا قُرِىءَ ٱلقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُ﴾
	120	﴿وَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَـٰجِدِينَ﴾
	43	﴿وَنُودُواْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ﴾
	20	﴿لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُرِيَ عَنْهُمَا﴾
الأنفال	70	﴿إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْراً يُؤْتِكُمْ خَيْراً مِّمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ﴾
	70	﴿يُؤْتِكُمْ خَيْراً مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ﴾
	2	﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰناً﴾
	38	﴿إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾
	36	﴿ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾
		﴿وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾
التوبة	90	﴿وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ﴾
	108	﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ﴾
	35	﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾

اسم السورة	رقم الآية	الآيـــة
التوبة	118	﴿وَعَلَى ٱلثَّلَـٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ﴾
	105	﴿وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ﴾
	101	﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾
	37	﴿زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَـٰلِهِمْ﴾
	37	﴿يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾
	37	﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾
	87	﴿وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَفْقَهُونَ﴾
	58	﴿فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾
	111	﴿فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾
	121	﴿وَلاَ يَقْطَعُونَ وادِياً إِلاَّ كُتِبَ لَهُمْ﴾
	35	﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ﴾
يونس	35	﴿أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ﴾
	89	﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا﴾
	22	﴿وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ﴾
	56	﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾
	12	﴿زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾
	27	﴿كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُم قِطَعاً مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾
	37	﴿وَمَا كَانَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ﴾
	35	﴿أَحَقُّ أَنْ يُتَّبع﴾
	35	﴿أَمَّن لاَّ يَهِدِّي إِلاَّ أَن يُهْدَىٰ﴾
هود	112	﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾

اسم السورة	رقم الآية	الآيـــة
هود	116	﴿وَٱتَّبَعَ ٱلذِينَ ظَلَمُواْ مَا أُترِفُواْ فِيهِ﴾
	60	﴿وَأُتبِعُواْ فِي هَـٰذِهِ ٱلدُّنيَا لَعنَةً﴾
	99	﴿وَأُتبِعُواْ فِي هَـٰذِهِ لَعنَةً﴾
	1	﴿كِتَـٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَـٰتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾
	110	﴿وَلَقَد ءَاتَينَا مُوسَىٰ ٱلكِتَـٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ﴾
	43	﴿فكان من المُغرَقين﴾
	113	﴿ثُمَّ لاَ تُنْصَرُونَ﴾
	57	﴿فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّا أُرْسِلتُ بِهِ﴾
	108	﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلجَنَّةِ﴾
	20	﴿يُضَـٰعَفُ لَهُمُ ٱلعَذَابُ﴾
	18	﴿أُوَلَـٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾
	28	﴿فَعُمِّيَتْ عَلَيكُمْ﴾
	12	﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيكَ﴾
	14	﴿فَٱعْلَمُواْ أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلمِ ٱللَّهِ﴾
	78	﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيهِ﴾
	15	﴿وَهُمْ فِيهَا لاَ يُبْخَسُونَ﴾
	123	﴿وإِلَيهِ يُرْجَعُ ٱلأَمْرُ كُلُّهُ﴾
	105	﴿يَومَ يَأْتِ لاَ تَكَلَّمُ نَفسٌ إِلا بِإذنِهِ﴾
يوسف	66	﴿لتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلاَّ أَن يُحاطَ بِكُمْ﴾
	25	﴿إِلاَّ أَن يُسْجَنَ أَو عَذَابٌ أَلِيمْ﴾
	32	﴿لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونا مِّنَ ٱلصَّـٰغِرِينَ﴾

الآيـــة	رقم الآية	اسم السورة
﴿ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ﴾	49	يوسف
﴿إن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ﴾	26	
﴿وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبتْ﴾	27	
﴿وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جاءَهُمْ نَصْرُنَا﴾	110	
﴿قَالُواْ يَأبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلكَيلُ﴾	63	
﴿جاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ وَلاَ يُرَدُّ بأْسُنا﴾	110	
﴿وَأَمَّا ٱلآخَرُ فَيُصْلَبُ﴾	41	
﴿قَالَ لاَ يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إلا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ﴾	37	
﴿ولقد ٱسْتُهزِىءَ برسل﴾	32	الرعد
﴿بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكْرُهُمْ وصُدُّوا عن السبيلِ﴾	33	
﴿يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ﴾	4	
﴿وَلَو أَنَّ قُرءَاناً سُيِّرَتْ بِهِ ٱلجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلأَرضُ أَو كُلِّمَ بِهِ ٱلمَوتَىٰ﴾	31	
﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ﴾	26	إبراهيم
﴿وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُوا ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ جَنَّـٰتٍ﴾	23	
﴿وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ﴾	16	
﴿هَذَا بَلَـٰغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِ﴾	52	
﴿أَخِّرنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيب نُّجِبْ دَعْوَتَكَ﴾	44	
﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرْ﴾	94	الحجر
﴿إِنَّا أُرْسِلنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينْ﴾	58	
﴿لَقَالُواْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَـٰرُنَا﴾	15	

اسم السورة	رقم الآية	الآيـــة
الحجر	8	﴿وَمَا كَانُواْ إِذاً مُّنْظَرِينَ﴾
	6	﴿يَـٰأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيهِ ٱلذِّكْرُ﴾
النحل	50	﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾
	58	﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِٱلأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً﴾
	124	﴿إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا فِيهِ﴾
	20	﴿لاَ يَخْلُقُونَ شَيئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾
	115	﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ باغٍ وَلاَ عَادٍ فَإِنَ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾
	126	﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ﴾
	110	﴿مِن بَعْدِ مَا فُتِنُواْ﴾
	71	﴿فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُواْ بِرَادِّي رِزْقِهِمْ﴾
	106	﴿إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِٱلإِيمَـٰنِ﴾
	30	﴿وقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتّقوا﴾
	111	﴿وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾
	84	﴿ثُمَّ لاَ يُؤذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ وَلاَ هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾
	20	﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾
	43	﴿وَمَا أَرْسَلنَا مِن قَبلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيهِمْ﴾
الإسراء	71	﴿أُوتي كتابه﴾
	107	﴿أُوتوا العلم﴾
	85	﴿أُوتيتم﴾
	107	﴿يُتلى عليهم﴾
	33	﴿قُتل مظلوماً﴾

اسم السورة	رقم الآية	الآيـــة
الإسراء	39	﴿فتلقى مظلوماً﴾
الكهف	31	﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ﴾
	42	﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِةِ﴾
	70	﴿أُحْدِثَ لك﴾
	27	﴿واْتلو ما أُوحي إليك﴾
	47	﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ﴾
	36	﴿ولئن رُدِدتُ إلى ربِّي﴾
	87	﴿ثمَّ يُردُّ﴾
	48	﴿وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفّاً﴾
	29	﴿وإنْ تستغيثوا يُغاثوا﴾
	56	﴿وما أُنذِروا هُزُواً﴾
	66	﴿مما عُلِّمت رشداً﴾
	99	﴿وَنُفِخَ في الصور﴾
	18	﴿وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْباً﴾
	49	﴿وَوُضِعَ ٱلكِتَـٰبُ﴾
	110	﴿يُوحي إليَّ﴾
	48	﴿قد أُوحي﴾
مريم	77	﴿وَقَالَ لأُوتيَنَّ مَالاً وَوَلَداً﴾
	15	﴿وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾
	58	﴿إذا تُتْلَى عليهم﴾
	72	﴿إذا تُتْلَى عليهم﴾

اسم السورة	رقم الآية	الآيـــة
مريم	75	﴿حَتَّى إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ﴾
	60	﴿وَلاَ يُظْلَمونَ شيئاً﴾
	33	﴿وَٱلسَّلَـٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وِلِدْتُ﴾
	15	﴿وَسَلَـٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ﴾
طـٰه	36	﴿قَالَ قَدْ أُتِيتَ سُؤْلَكَ يَـٰمُوسَىٰ﴾
	38	﴿إذا أَوحينا إِلى أُمّك ما يُوحَىٰ﴾
	134	﴿مِنْ قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ﴾
	97	﴿وَإِنَّ لَكَ مَوْعِداً لَنْ تُخْلَفَهُ﴾
	130	﴿لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾
	70	﴿فأُلقِيَ السحرةُ﴾
	45	﴿إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا﴾
	90	﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُم بِهِ﴾
	40	﴿كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾
	72	﴿إِنَّمَا تَقْضِي هَـٰذِهِ ٱلحَيَـوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾
	128	﴿يَمْشُونَ فِي مَسَـٰكِنِهِمْ﴾
	52	﴿لاَّ يَضِلُّ رَبِّي وَلاَ يَنسَى﴾
	102	﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ﴾
	15	﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخفِيهَا لتُجزَىٰ كُلّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ﴾
	59	﴿مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ﴾
	87	﴿وَلَـٰكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزاراً مِن زِينَةِ ٱلقَوْمِ﴾
	100	﴿مَّنْ أَعرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلقِيَـٰمَةِ وِزْراً﴾

اسم السورة	رقم الآية	الآيـــة
طـه	66	﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيهُمْ يُخَيَّلُ﴾
	114	﴿وَلاَ تَعْجلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾
	2	﴿مَا أَنْزَلنَا عَلَيْكَ ٱلقُرءَانَ لِتَشْقَىٰ﴾
	126	﴿أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ اليَومَ تُنْسَىٰ﴾
	11	﴿فلمَّا نُودي يا موسى﴾
الأنبياء	36	﴿خُلِقَ ٱلإِنسَـٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾
	4	﴿كما أُرسِل الأوَلون﴾
	41	﴿ولقد ٱستُهزِىء برسلٍ﴾
	47	﴿فَلاَ تُظْلَمُ نَفسٌ شَيْئاً﴾
	13	﴿أُترفْتُم فيه﴾
	35	﴿وإلينا تُرْجعون﴾
	65	﴿ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ﴾
	45	﴿وَلاَ يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنْذَرُونَ﴾
	45	﴿أَذا مَا يُنذَرون﴾
	39	﴿وَلاَ هُمْ يُنصرون﴾
	40	﴿وَلاَ هُمْ ينظرون﴾
	108	﴿قل إنّما يُوحَى إليَّ﴾
	23	﴿وَلاَ يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئلُونَ﴾
	96	﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾
الحج	39	﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ﴾
	54	﴿أُوتوا العِلْمَ﴾

اسم السورة	رقم الآية	الآيـــة
الحج	40	﴿يُذْكرُ فيها اسمُ الله﴾
	35	﴿إذا ذُكِرَ الله﴾
	40	﴿الذين أُخرجوا من ديارهم﴾
	60	﴿ بمثل ما عوقب به﴾
	72	﴿وإذا تُتْلى عليهم﴾
	23	﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ﴾
	30	﴿أُحلت لهم الأنعام إلا ما يُتلى﴾
	76	﴿وإلى الله تُرجع الأُمور﴾
	19	﴿يُصَبُّ مِن فوقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ﴾
	20	﴿يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ﴾
	73	﴿ضُرِبَ مَثَلٌ فاسْتَمِعُواْ لَهُ﴾
	22	﴿كُلَّمَا أَرادُواْ أَن يَخْرُجُواْ مِنا مِن غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾
	58	﴿ثمّ قُتِلوا﴾
	4	﴿كُتِبَ عَلَيهِ أَنَّهُ مَن تَوَلاَّهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ﴾
	44	﴿وكُذِّبَ موسى﴾
	40	﴿لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيعٌ﴾
	24	﴿وَهُدُواْ إِلَىٰ صِرَاطِ ٱلْحَمِيدِ﴾
	5	﴿وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمنكم مَن يُردُّ إِلى أَرذل﴾
المؤمنون	16	﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تُبْعَثُونَ﴾
	100	﴿إلى يوم تبعثون﴾
	88	﴿وَهُوَ يُجِيرُ وَلاَ يُجَارُ عَلَيْهِ﴾

اسم السورة	رقم الآية	الآيــــة
المؤمنون	22	﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾
	115	﴿وَأَنَّكُمْ إِلينَا لاتُرْجَعُونَ﴾
	62	﴿وَهُمْ لاَ يُظلمون﴾
	101	﴿فَإِذَا نُفِخَ في الصورِ﴾
	83	﴿لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَاؤُنَا هَـٰذَا مِن قَبْلُ﴾
	105	﴿أَلَمْ تكُنْ آياتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾
	79	﴿وإليه تُحْشَرون﴾
النور	3	﴿وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾
	48	﴿وَإِذَا دُعُواْ إِلىٰ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمْ بَيْنَهُمْ﴾
	54	﴿فَإِنَّمَا عَلَيهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلتُمْ﴾
	51	﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِين إِذَا دُعُواْ إِلىٰ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾
	64	﴿وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُواْ﴾
	28	﴿حَتَىٰ يُوذن لكم﴾
	56	﴿لعلَّكم تُرْحمون﴾
	35	﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ﴾
	31	﴿وَلاَ يَضربْنَ بأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾
	23	﴿لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنيَا وَٱلأَخِرَةِ﴾
	36	﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ﴾
الفرقان	3	﴿وهُمْ يُخْلقون﴾
	69	﴿يُضَـٰعَفْ لَهُ ٱلعَذَابُ﴾
	40	﴿وَلَقَدْ أَتوا عَلَى ٱلقَريَةِ ٱلَّتِي أُمطِرَت مَطَر ٱلسّوءِ﴾

اسم السورة	رقم الآية	الآيـــة
الفرقان	13	﴿وَإِذَا أُلْقُواْ مِنْهَا مَكَاناً ضَيِّقاً﴾
	8	﴿أَو يُلقَىٰ إِلَيه كَنزٌ﴾
	75	﴿وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَـٰماً﴾
	73	﴿إِذَا ذُكِّروا. . .﴾
	15	﴿التي وُعِدَ المتقون﴾
	60	﴿وإِذَا قِيلَ لهم. . .﴾
	40	﴿ٱلَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ﴾
	25	﴿وَنُزِّلَ ٱلْمَلَـٰئِكَةُ تَنْزِيلاً﴾
	121	﴿أُنْزِل علينا الملائكةُ﴾
	132	﴿نُزِّلَ عليه القرآنُ﴾
	5	﴿فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾
الشعراء	146	﴿أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَـٰهُنَا ءَامِنِينَ﴾
	38	﴿فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَـٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾
	146	﴿أَتُتْرَكون في ما ههنا﴾
	90	﴿وأُزلفتَ الجنّةُ للمتقين﴾
	91	﴿وبرِّزَت الجحيم﴾
	227	﴿وَٱنْتَصرُواْ مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ﴾
	207	﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يُمَتَّعُونَ﴾
	27	﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ ٱلَّذِي أُرسِلَ إِلَيكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾
	227	﴿من بعده ما ظُلموا﴾
	46	﴿فَأُلْقِي السَحَرَةُ ساجدين﴾

اسم السورة	رقم الآية	الآيـــة
الشعراء	94	﴿فكُبْكبوا﴾
	207	﴿مَا كَانُوا يُمَتَّعون﴾
النمل	8	﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَن بُورِكَ مَن في ٱلنَّارِ﴾
	47	﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾
	191	﴿إِنَّما أُمِرْتُ﴾
	16	﴿عُلِّمْنَا مَنْطِقَ ٱلطَّيرِ﴾
	90	﴿فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَارِ هل تُجزون إلا ما كنتم تعملون﴾
	23	﴿وَأُتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾
	42	﴿وأُوتينا العلمَ﴾
	17	﴿وَحُشِرَ لسُلَيمَـٰنَ جُنُودُهُ مِنَ ٱلجنِّ وٱلإِنسِ﴾
	87	﴿ويوم ينفخُ في الصور﴾
	83	﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾
	68	﴿لقد وُعِدْنَا﴾
القصص	78	﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي﴾
	48	﴿لولا أُوتِي مثل ما أُوتي موسىٰ﴾
	54	﴿يؤتَون أَجرهم﴾
	60	﴿وَمَا أُوتيتم من شيء﴾
	5	﴿ٱستُضْعِفوا في الأرضِ﴾
	57	﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَماً ءَامِناً يُجْبَىٰ إِلَيهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيءٍ﴾
	53	﴿وَإِذَا يُتلَى عليهم﴾
	79	﴿مثل ما أُوتِي قارون﴾

اسم السورة	رقم الآية	الآيـــة
القصص	84	﴿فلا يُجزَى الذينَ عملوا السيئات. . .﴾
	86	﴿أَنْ يُلْقَى إِليك﴾
	87	﴿أُنْزِلت إِليك﴾
	70	﴿وَإليهِ تُرجَعُونَ﴾
	88	﴿وَإليهِ تُرجَعُونَ﴾
	39	﴿وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ إِلَينَا لاَ يُرجَعُونَ﴾
	58	﴿فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِن بَعدِهِمْ إلاَّ قَلِيلاً﴾
	41	﴿ويومَ القيامةِ لا يُنْصَرون﴾
	30	﴿فلمَّا أَتاها نُودي﴾
العنكبوت	21	﴿وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَآءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾
	13	﴿وَلَيُسْئَلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾
	67	﴿أَوَلَمْ يَرَواْ أنّا جَعَلْنَا حَرماً آمِناً وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ﴾
	2	﴿وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ﴾
	33	﴿سيءَ بهم﴾
	45	﴿أُوحي إِليك﴾
	57	﴿ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾
	10	﴿فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾
	49	﴿أُوتوا العلم﴾
	50	﴿لولا أُنزِل عليه﴾
	51	﴿يُتلى عليهم﴾
	61	﴿فأَنَّى يُؤْفكون﴾

اسم السورة	رقم الآية	الآيـــة
الروم	12	﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾
	57	﴿فَيَوْمَئِذٍ لاَ يَنْفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلِمُواْ مَعْذِرَتُهُمْ وَلاَ هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾
	2	﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾
	19	﴿وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾
لقمان	7	﴿وَإِذَا تُتْلَى عليه آياتُنا﴾
	21	﴿وإِذْ قِيل لهم ٱتّبعوا﴾
السجدة	17	﴿فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾
	20	﴿أُعيدوا فيها﴾
	11	﴿الذي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾
الأحزاب	61	﴿مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُواْ أُخِذُواْ﴾
	66	﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ﴾
	59	﴿ذَلِكَ أَدنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلاَ يُؤْذَيْنَ﴾
	53	﴿إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُواْ﴾
	61	﴿أُخِذُوا وقُتِّلُواْ تَقْتِيلاً﴾
	19	﴿تَدُورُ أَعْيُنَهُمْ كَٱلَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ﴾
	11	﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾
	11	﴿وَزُلْزِلُواْ زِلْزَالاً شَدِيداً﴾
	14	﴿ثُمَّ سُئِلُواْ ٱلفِتْنَةَ لأَتَوْهَا﴾
	30	﴿يُضَـٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ﴾
	16	﴿وَإِذاً لاَّ تُمَتَّعُونَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾
	61	﴿أَيْنَ مَا ثُقِفُوْا أُخِذُوا وَقُتِّلُواْ تَقْتِيلاً﴾

اسم السورة	رقم الآية	الآيــــة
الأحزاب	2	﴿ما يُوحي إليك﴾
سبأ	6	﴿وَيَرى الذينَ أُوتوا العِلم الذي أُنزِلَ إليكَ﴾
	43	﴿وإذَا تُتلى عَليهِمْ﴾
	23	﴿حَتَّىٰ إذا فُزِّعَ عَن قُلُوبهِمْ﴾
	54	﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ﴾
	31	﴿الَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ﴾
	25	﴿قُلْ لاَّ تُسْئَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلاَ نُسْئَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾
	20	﴿وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فُعِلَ بأشياعهم﴾
	21	﴿إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلأَخِرَةِ﴾
	53	﴿وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ﴾
	23	﴿وَلاَ تَنْفَعُ ٱلْشَّفَـٰعةُ عِندَهُ إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾
فاطر	4	﴿وَإِلىٰ ٱللَّهِ تُرجَعُ ٱلأُمُورُ﴾
	8	﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ﴾
	4	﴿فَقَدْ كُذِّبت رُسلاً. . . وإلَىٰ الله تَرجَع الأُمور﴾
	18	﴿وَإن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلىٰ حِمْلِهَا لاَ يُحْمَلُ مِنْهُ شَيْءٌ﴾
	36	﴿وَلا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾
	33	﴿جَنَّـٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحلوَ فيها من أَساوِرَ﴾
	11	﴿وَمَا يُعَمَّر من معمَّره﴾
	11	﴿وَلاَ يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلاَّ فِي كِتَـٰبٍ﴾
	36	﴿لاَ يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ ولايُخَفَّف عنهم مِنْ عَذَابِهَا﴾
يٓس	83/22	﴿إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾

اسم السورة	رقم الآية	الآيـــة
	43	﴿فَلاَ صَرِيخَ لَهُمْ ولاَ هُمْ يُنْقَذُونَ﴾
يَس	19	﴿طَـٰئِرُكُم مَّعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُمْ﴾
	70	﴿لِيُنْذِرَ مَن كانَ حَيًّا﴾
	51	﴿ونُفِخَ في الصور﴾
	54	﴿فَالْيَوْمَ لاَ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَلاَ تُجْزَون إِلاَ مَا كُنْتُم﴾
	45	﴿وَإِذَا قِيلَ. . . لَعلكُمْ تَرحَمُونْ﴾
	43	﴿وَلاَ هُمْ ينقَذُون﴾
	74	﴿لعلَّهم ينصرون﴾
الصافات	8	﴿ويُقذفون من كلِّ جانب﴾
	13	﴿وَإِذا ذُكِّروا﴾
	35	﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾
	39	﴿وَمَا تُجزَون﴾
	47	﴿وَلاَ هُمْ يُنزفُونَ﴾
	45	﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِّن مَّعَينٍ﴾
	70	﴿فَهُمْ عَلَىٰ ءَاثَـٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ﴾
	8	﴿وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ﴾
	102	﴿ٱفعلْ مَا تُؤمَر﴾
صَ	70	﴿إِن يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلاَّ أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾
	6	﴿إِنَّ هَـٰذَا لَشَيءٌ يُرَادُ﴾
	31	﴿أَذْ عُرِض عليه﴾
	50	﴿جَنات عَدْنٍ مفتحةَ لَهُمْ الأبوابَ﴾
الزُمرْ	65	﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ

الآيـــة	رقم الآية	اسم السورة
لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾		الزمر
﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَـٰبُ وَجِيء بالنبين وَالشُهداء وقُضِيَ بينهُم﴾	69	
﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾	70	
﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُمْ﴾	10	
﴿قُلْ إِنِّي أُمِرتُ أَن أعبدُ الله﴾	11	
﴿وسيق الذين كفروا إِلى جهنم. . . فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾	71	
﴿ونُفِخَ في الصور. . . ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ﴾	68	
﴿وَالَّذِي جَآءَ بِالصِّدْقِ وصَدَّقَ بِهِ﴾	33	
﴿فصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَـٰوَاتِ﴾	68	
﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾	44	
﴿وَقُضِي بينهم بالحقِّ وَقِيلَ الحمدُ لله ربّ العَالمين﴾	75	
﴿وَعلَيْهَا وَعَلَىٰ ٱلْفُلْكِ يُحْمَلُونَ﴾	80	غافر
﴿اليومَ تُجزى كلُّ نفسٍ﴾	17	
﴿ٱلأَغْلَـٰلُ فِي أَعْنَـٰقِهِمْ وَٱلسَّلَـٰسِلُ يُسْحَبُونَ﴾	71	
﴿ثُمَّ فِي ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ﴾	72	
﴿وَلاَ شفِيعٍ يُطَاعُ﴾	18	
﴿إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلأِيمَـٰنِ فَتَكْفُرُونَ﴾	10	
﴿إذا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ﴾	12	
﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾	46	
﴿يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾	40	
﴿قُضِيَ بالحقّ﴾	78	

اسم السورة	رقم الآية	الآيـــة
غافر	80	﴿وَعَلى الفُلكِ تُحمَلون﴾
	66	﴿وَأُمِرتُ أَن أُسلِم. . .﴾
	40	﴿فَلاَ يُجزى إلاَ مثلهَا﴾
	37	﴿زُيِّنَ لِفرعونَ سوءُ عمله وصُدَّ عن السبيلِ﴾
	67	﴿وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ﴾
فُصِّلَتْ	50	﴿وَلَئِنْ رُّجِعْتُ إِلىٰ رَبِّـي﴾
	47	﴿إليه يُرَدُّ علم الساعة﴾
	45	﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ ٱلْكِتَـٰبَ فَاختُلِفَ فِيهِ﴾
	3	﴿كِتَـٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَـٰتُهُ﴾
	44	﴿لَوْلاَ فُصِّلَتْ ءَايَـٰتُهُ﴾
	43	﴿مَا يُقال لك إلاّ ما قَدْ قِيلَ لِلرُسُلْ﴾
	44	﴿أُوْلَئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾
	21	﴿وَإِلَيهِ تُرْجَعُونَ﴾
	40	﴿يُلقَى في النّارِ﴾
	19	﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ ٱللَّهِ إِلىٰ ٱلنَّارِ فَهُوْ يوزَعون﴾
	6	﴿يُوحَى إِليَّ﴾
الشورى	3	﴿كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وإِلىٰ ٱلَّذِين مِن قَبْلِكَ﴾
	16	﴿وَٱلَّذِين يُحَآجُونَ فِي ٱللَّهِ مِن بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُ﴾
	15	﴿وَاستقِمْ كَمَا أُمرت﴾
	14	﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ ٱلَّذِين أُورِثُوا ٱلكِتَـٰبَ مِن بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍ﴾
الزخرف	72	﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِي أُورِثْتُمُوهَا﴾

اسم السورة	رقم الآية	الآيـــة
الزخرف	70	﴿أَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ﴾
	43	﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ﴾
	19	﴿سَتُكْتَبُ شَهَـٰدَتُهُمْ﴾
	57	﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً﴾
	36	﴿نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَـٰناً﴾
	11	﴿كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾
	71	﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ﴾
	18	﴿أَوَ مَنْ يُنَشَّؤُاْ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾
	85	﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾
	28	﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾
	75	﴿لا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾
	45	﴿أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ﴾
الدخان	4	﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾
	41	﴿وَلاَ هُمْ يُنصَرونَ﴾
الجاثية	35	﴿فَالْيَوْمَ لاَ يُخْرَجُونَ مِنْهَا﴾
	8	﴿تُتْلَى عَلَيهِ﴾
	15	﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾
	22	﴿وَلِتُجزَيَ كُلُّ نَفْسٍ﴾
	28	﴿كُلَّ أُمَّةٍ جاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَـٰبِهَا﴾
	32	﴿وَإِذَا قِيلَ﴾
الأحقاف	16	﴿وَإِذَا حُشِرَ النَاسُ﴾

الآيـــة	رقم الآية	اسم السورة
﴿كَانُوا يُوعدُونَ﴾	16	الأحقاف
﴿أَنْ أُخْرَجَ﴾	17	
﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَىٰ ٱلنَّارِ﴾	20	
﴿هَـٰأَنتُمْ هَـٰؤُلَاۤءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُواْ﴾	38	محمد
﴿وَسُقُواْ مَآءً حَمِيماً﴾	15	
﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَـٰلَهُمْ﴾	4	
﴿بِمَا نُزِّل على محمد﴾	2	
﴿لَوْلاَ نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحَكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا القِتَالُ﴾	20	
﴿كَمَنْ زُيِّن لَهُ سُوءَ عَمله﴾	14	
﴿قُل لِلمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلىٰ قَوْمٍ﴾	16	الفتح
﴿وَزُيِّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ﴾	12	
﴿لَعَلَكُمْ تُرحمون﴾	10	الحجرات
﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَيَّ﴾	29	قٓ
﴿وأُزلفت الجنة للمتقين﴾	31	
﴿وَنفخ فِي الصُورْ﴾	20	
﴿أَوْ أَلْقَىٰ ٱلسَّمْعَ﴾	37	
﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾	9	الذاريات
﴿قُتلَ الخَراصون﴾	10	
﴿إِنَّا أُرسلنَا﴾	32	
﴿إِذْ قِيلَ تمتعوا﴾	43	
﴿حَتَّىٰ يُلَـٰقُواْ يَوْمَهُمْ ٱلَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾	45	الطور

اسم السورة	رقم الآية	الآيــــة
الطور	13	﴿يوم يدعّون إلى نَار جهنم﴾
	16	﴿إنما تجزَون ما كنتم﴾
	35	﴿أم خُلقوا من غير شيء﴾
	46	﴿وَلاَ هُمْ يُنصَرُون﴾
النجم	41	﴿ثُمَّ يُجْزَيٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلأَوْفَىٰ﴾
	40	﴿وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ﴾
	46	﴿من نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ﴾
	36	﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ﴾
القمر	25	﴿أَأُلقِي الذكرُ عليه﴾
	48	﴿يَومَ يُسحبون فِي النارِ﴾
	12	﴿فَٱلتقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾
	14	﴿جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾
	45	﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ﴾
الرحمٰن	41	﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَاصِي وَٱلأَقْدَامِ﴾
	39	﴿فَيومئذٍ لاَ يَسأَلُ عنْ ذَنْبِهِ﴾
	35	﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ﴾
الواقعة	5	﴿وبُسَّتِ ٱلْجِبَال بَسّاً﴾
	4	﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلأَرْضُ رَجّاً﴾
	18	﴿لاَ يُصَدَّعون عنها﴾
الحديد	5	﴿وَإِلَى الله تُرجَع الأمور﴾
	21	﴿أُعدتْ لِلذينِ آمنُواْ﴾

اسم السورة	رقم الآية	الآيـــة
الحديد	13	﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ﴾
	5	﴿كُبِتوا كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾
	3	﴿ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ﴾
	11	﴿إِذَا قِيلَ لَكُمْ. . . أُوتوا﴾
الحشر	11	﴿لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ﴾
	11	﴿وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ﴾
	12	﴿وَلَئِن قُوتِلُواْ لا يَنْصُرُونَهُمْ﴾
	8	﴿الذِينَ أُخرجُوا مِنْ دِيارِهِمْ﴾
الصَّف	7	﴿وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلىٰ الإِسْلَـٰمِ﴾
الجمعة	5	﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾
	8	﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلىٰ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ﴾
	10	﴿فإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي الأرضِ. . . لَعلَكُمْ تُفْلِحون﴾
	11	﴿إِذَا نُودي للصلاة. . .﴾
المنافقون	5	﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾
	3	﴿فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَفْقَهُونَ﴾
التغابن	7	﴿زعَمَ ٱلَّذِينَ كَفرُواْ أَن لَّن يُبْعَثُواْ قُلْ بَلَىٰ وَرَبّي لَتُبْعَثُنَّ لَتُنبَؤُنَّ﴾
الطلاق	7	﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ﴾
التحريم	7	﴿إِنَّما تجرون مَا كُنْتُمْ تَعملُونْ﴾
	10	﴿وَقِيلَ أُدْخُلاَ ٱلنَّارْ﴾

اسم السورة	رقم الآية	الآيـــة
الملك	7	﴿إِذَا أُلْقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقاً﴾
	8	﴿كلّمَا أُلقِي فوج﴾
	24	﴿وَإِلَيْهِ تُحشرون﴾
	27	﴿سيئت وجوه الذين كفروا وَقِيلَ هذا الذي﴾
القلم	42	﴿وَيُدْعَونَ إِلىٰ ٱلسُّجُودِ فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ﴾
	43	﴿وَقَدْ كانُواْ يُدْعَوْنَ إِلىٰ ٱلسُّجُودِ﴾
	42	﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾
	49	﴿لَّوْلاَ أَن تَدٰرَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِهِ لَنُبِذَ بِٱلعَرَآءِ﴾
	15	﴿إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ﴾
الحاقة	25	﴿يَـٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَـٰبِيَهْ﴾
	14	﴿وَحُمِلَتِ ٱلأَرْضُ وَٱلجِبَالُ﴾
	4	﴿وَحُمِلَتِ ٱلأَرْضُ وَٱلجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾
	18	﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ﴾
	44	﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلأَقَاوِيلِ﴾
	13	﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ﴾
	5	﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُواْ بِالطَّاغِيَةِ﴾
	6	﴿وأما عَادٌ فَأُهْلِكُواْ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ﴾
المعارج	11	﴿يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ ٱلْمُحْرِمُ﴾
	42	﴿حَتَّىٰ يلاقُوا يومَهم الذِي يُوعدون﴾
	19	﴿إِنَّ ٱلإِنسَـٰنَ خُلِقَ هَلُوعاً﴾
	10	﴿وَلاَ يُسْئَلُ حَمِيمٌ حَمِيماً﴾

الآيـــة	رقم الآية	اسم السورة
﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِيءٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾	38	المعارج
﴿إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لاَ يُؤَخَّرُ﴾	4	نوح
﴿مِّمَّا خَطِيئَـٰتِهِمْ أُغْرِقُواْ فأُدخلوا ناراً﴾	25	
﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شيءٍ عَدَداً﴾	28	الجن
﴿أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلأَرْضِ﴾	10	
﴿لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلغُواْ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّهِمْ﴾	28	
﴿فَوَجَدْنَـٰهَا مُلِئتْ حَرَساً﴾	8	
﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلجِنِّ﴾	1	
﴿حَتىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُون. . . ﴾	24	
﴿أَقريبٌ مَا تُوعِدُون﴾	25	
﴿إِنْ هَـٰذَا إِلاَ سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾	24	المدثر
﴿فَقُتِلَ كيف قَدَّر﴾	19	
﴿ثُمَّ قُتِلَ كيف قدّر﴾	20	
﴿أَن يُؤتى صحفاً﴾	52	
﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ﴾	8	
﴿أَيَحْسَبُ الإِنسَـٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾	36	القيامة
﴿وَقِيلَ من راقٍ﴾	27	
﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾	9	
﴿وَخَسَفَ ٱلقَمَرُ﴾	8	
﴿تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾	25	
﴿نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍ يُمْنَىٰ﴾	37	

اسم السورة	رقم الآية	الآيـــة
القيامة	13	﴿يُنَبَّؤُاْ ٱلإِنسَـٰنُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾
الإنسان	14	﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً﴾
	17	﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأساً﴾
	18	﴿عَيْناً فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلاً﴾
	15	﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ﴾
المرسلات	36	﴿وَلاَ يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾
	8	﴿فإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ﴾
	9	﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ﴾
	10	﴿وَإِذَا ٱلجِبَالُ نُسِفَتْ﴾
	11	﴿وَإِذَا الرسلُ أُقتت﴾
	12	﴿لأَيِّ يوم أُجِّلت﴾
	48	﴿وَإِذَا قِيلَ اركعوُا﴾
النبأ	19	﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ﴾
	18	﴿يومَ يُنفخُ فِي الصور﴾
	20	﴿وَسُيِّرت الجِبالُ﴾
النازعات	36	﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَـرَىٰ﴾
عبس	17	﴿قُتِلَ الإنسانُ﴾
التكوير	5	﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾
	13	﴿وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾
	7	﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾
	8	﴿وَإِذَا ٱلمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ﴾

اسم السورة	رقم الآية	الآيـــة
التكوير	3	﴿وَإِذَا سُيِّرت﴾
	12	﴿وَإِذَا الجَحِيمْ سُعِّرت﴾
	6	﴿وَإِذَا ٱلبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾
	4	﴿وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِلَتْ﴾
	9	﴿بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾
	11	﴿وَإِذَا ٱلْسَّمَآءُ كُشِطَتْ﴾
	1	﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾
	10	﴿وَإِذَا ٱلْصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾
الانفطار	4	﴿وَإِذَا ٱلقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾
	3	﴿وَإِذَا ٱلبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾
المطففين	33	﴿وَمَآ أُرْسِلُواْ عَلَيْهِمْ حَـٰفِظِينَ﴾
	13	﴿وَإِذَا تُتْلَى عَليهِ﴾
	17	﴿ثُمَّ يُقال هٰذَا الذِي﴾
	25	﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ﴾
	17	﴿ثُمَّ يُقَالُ هَـٰذَا ٱلَّذِي كُنْتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾
الانشقاق	8	﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً﴾
	2، 5	﴿وأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾
	9	﴿وَيَنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُوراً﴾
	21	﴿وَإِذَا قُرِىءَ عَلَيْهِمْ ٱلْقُرْءَانُ لاَ يَسْجُدُونَ﴾
	3	﴿وَإِذَا ٱلأَرْضُ مُدَّتْ﴾
	4	﴿قيلَ أصحابُ الأُخدود﴾

اسم السورة	رقم الآية	الآيــــة
الطارق	9،8	﴿إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ يَوْمَ تُبْلَىٰ ٱلسَّرَآئِرُ﴾
	5	﴿فَلْيَنْظُرِ الإِنسَـٰنُ مِـمَّ خُلِقَ﴾
	6	﴿خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ﴾
الغاشية	17	﴿أَفَلاَ يَنْظُرُونَ إِلىٰ الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾
	18	﴿وَإِلىٰ ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾
	20	﴿وَإِلىٰ ٱلأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾
	5	﴿تُسْقَىٰ مِن عَيْنٍ ءَانِيَةٍ﴾
	19	﴿وإِلىٰ ٱلجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾
الفجر	8	﴿ٱلَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي ٱلْبِلَـٰدِ﴾
	21	﴿كَلاّ إِذَا دُكَّت الأَرضُ دكاً﴾
	23	﴿وجِيءَ يومَئِذٍ﴾
الليل	19	﴿مِنْ نِعمةٍ تُجزىٰ﴾
البينة	5	﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاّ . . .﴾
الزلزلة	6	﴿يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتاً لِيُرَوْاْ أَعْمَـٰلهُمْ﴾
	1	﴿إِذَا زُلْزِلَتْ ٱلأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾
العاديات	9	﴿أَفَلاَ يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي ٱلقُبُورِ﴾
	10	﴿وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ﴾
التكاثر	6	﴿لتَرَوْنَّ ٱلجَحْيمَ﴾
	7	﴿ثُمَّ لتَرَوْنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ﴾
الهمزة	4	﴿لَيُنْبَذَنَّ فِي ٱلْحُطَمَةِ﴾

المبحث الثاني

مواضع نائب الفاعل، أو (ما قام مقام الفاعل)

الأَفعال المبنية للمفعول كثيرة جداً - في القرآن الكريم -، وبناء الفعل للمفعول وحذف الفاعل وقيام المفعول مقامه من مظاهر عناية أهل اللغة بما سُمّي «الفضلة»، فقد صاغوا الفعل لما يقوم مقام الفاعل، وبنوه على أَنه مخصوص به وأَلغوا ذكر الفاعل مظهراً أو مضمراً فقالوا: (ضُرب عمرو). . . وأسندوا بعض الأَفعال دون الفاعل البتة. . .)[1].

1 - من المعلوم أَنه لا خلاف بين النحاة في إقامة المفعول به مقام الفاعل، إذا وجد بعد الفعل المبني للمجهول المفعول به فقط.

فهو كالفاعل في كون الفعل حديثاً عنه وفي جواز إضافة المصدر إليه[2]، وهذا ما يفهم من قول سيبويه (تقول: ضَربتُ زيداً) فلا تجاوز هذا المفعول.

وتقول: (ضُرِب زيدٌ) فلا يتعداه لأن المعنى واحدٌ[3].

2 - أما إذا تضمن التركيبُ المفعولَ به وما يصلح للحلول محل الفاعل - لتوافر الشروط المطلوبة فيه - ففيه رأيان:

---

(1) المحتسب ج 1/ 64.
(2) شرح التصريح ج 1/ 287.
(3) الكتاب ج 1/ 19 - 20.

الرأي الأول: وجوب إقامة المفعول به مقام الفاعل وهذا مذهب نحاة البصرة إلا الأخفش فتقول: (ضُرِبَ زيدٌ ضرباً شديداً يومَ الجمعةِ أَمامَ الأَمير في داره)(1).

الرأي الثاني: اختاره نحاة الكوفة، ووافقهم الأخفش وبعض النحاة المتأخرين، وهم يجيزون إنابة غير المفعول به عن الفاعل، تقدم أو تأخر.

تقول: كُرِّمَ تكريمٌ جميلٌ الطلابَ المتفوقين/ وكُرِّمَ الطلابُ المتفوقون تكريماً جميلاً وكُرِّمَ يومَ الخميس الطلابُ المتفوقون(2).

بمعنى: أن إقامة المفعول به مقام الفاعل أولى لا واجب مستدلين بالقراءة الشاذة(3) **﴿لولا نُزِّل عليه القرآنُ﴾** [الفرقان: 32].

وبقراءة أبي جعفر(4) لقوله ـ تعالى ـ: **﴿ليُجْزَى قوماً بما كانوا يكسبون﴾** [الجاثية: 14].

بإقامة الجار والمجرور مقام الفاعل مع وجود المفعول به.

الرأي الثالث: وهو رأي الأخفش، فقد أجاز أن ينوب غير المفعول به الموجود في التركيب إذا كان غيره متقدماً عليه، نحو:

ضُرِبَ في الدارِ زيداً، وضُرِب في الدارِ زيدٌ.

أما إذا تقدم المفعول به على غيره، فلا يجوز إقامة غير المفعول به نائباً

---

(1) شرح المفصل المفصل ج 7/74 ـ همع الهوامع ج 1/162 ـ شرح ابن عقيل ج 1/195.
(2) ينظر المصادر السابقة.
(3) ينظر المقتضب ج 4/51 ـ همع الهوامع ج 1/162.
(4) «أبو جعفر يزيد بن القعقاع (ت 130هـ) ـ إمام تابعي مشهود له بالقراءة» ـ ينظر/ حجة القراءات لأبـي زرعة ـ تحقيق وتعليق/ سعيد الأفغاني ـ جامعة قاريونس ـ ط (1) ـ 1974 ـ 368.

عن الفاعل أي: يجب إقامة المفعول به فقط، فتقول: ضُرِب زيدٌ في الدارِ ولا يجوز أن يقال: ضُرِب زيداً في الدارِ.

وخلاصة القول أن نحاة البصرة يوجبون إقامة المفعول به مقام الفاعل ما دام موجوداً في الجملة ويمنع إقامة الظرف أو المصدر أو الجار والمجرور مقام الفاعل إلا إذا خلا التركيب من المفعول به.

3 ـ أما إذا كان الفعل متعدياً إلى مفعولين أَصلهما مبتدأ وخبر فلا خلاف بين النحاة في إقامة المفعول به الأول.

أما إقامة المفعول الثاني فقد ورد فيه خلاف بين النحاة[1].

(أ) فقد منع فريق منهم إقامة المفعول الثاني مقام الفاعل مطلقاً لأن المفعول به الأول مبتدأ في الأصل وأنه يشبه الفاعل، فهو بالنيابة أولى من غيره، ومن هذا الفريق (الجزولي) و (الخضراوي).

(ب) ذهب نحاة الكوفة و (الفارسي) و (ابن النحاس) من نحاة البصرة إلى جواز إقامة المفعول به الثاني مطلقاً.

بمعنى: جواز إقامة أي المفعولين.

(جـ) أجاز فريق ثالث إقامة المفعول به الثاني مقام الفاعل، ولكن بشروط:

- أمن اللبس.
- ألا يكون المفعول به الثاني جملة ولا ظرفاً.
- ألا يكون المفعول به الثاني نكرة، وهذا الشرط أضافه أبو حيان.

4 ـ أما إذا كان الفعل متعدياً إلى مفعولين ليس أصلهما المبتدأ والخبر ناب أولهما عن الفاعل ونصب الثاني مفعولاً به.

يقول سيبويه: (تقول: كسوت زيداً ثوباً، فتجاوز إلى مفعول آخر.

---

(1) شرح الكافية ج 1/216 ـ ينظر/ همع الهوامع ج 1/162.

وتقول: كُسِي زيدٌ ثَوباً، فلا تجاوز (الثوب) لأن الأول بمنزلة المنصوب، لأن المعنى واحد إن كان لفظه لفظ الفاعل)[1].

وذهب جمهور النحاة إلى أنه يجوز إقامة كل واحد من المفعولين مقام الفاعل إذا لم يحدث لبس، أما إذا حدث لبس فتعين إقامة المفعول به الأول.

5 ـ أما إذا كان الفعل متعدياً إلى مفعولين، وقد تعدى إلى الأول بنفسه وإلى الثاني بأداة جر.

فإن فيه رأيين[2]:

(أ) الرأي الأول: منع إقامة المفعول به الثاني مقام الفاعل ووجوب إقامة المفعول به الأول فقط.

اختار هذا الرأي أبو حيان.

(ب) جواز إقامة المفعول به الثاني، وقد أجازه الفراء وابن مالك.

6 ـ إذا كان الفعل متعدياً إلى ثلاثة مفاعيل، ناب عن الفاعل المفعول به الأول يقول سيبويه: (وذلك قولك: نُبِّئت زيداً أبا فلان، لما كان الفاعل يتعدى إلى ثلاثة تعدى إلى اثنين)[3].

وأوجب جمهور النحاة إقامة المفعول به الأول، فلا يجوز إقامة أَيٍّ من المفعولين الثاني والثالث.

وقد أجاز بعض النحاة إنابة أي من المفعولين الثاني أو الثالث بشرط عدم اللبس[4].

---

(1) الكتاب ج 1/20.
(2) شرح الكافية ج 1/217 ـ 218 ـ ينظر/ همع الهوامع ج 1/162 ـ شرح ابن عقيل ج 1/196.
(3) الكتاب ج 1/20.
(4) همع الهوامع ج 1/162.

(ب) إقامة المصدر أو اسمه نائباً عن الفاعل:

الأحسن في المصدر ـ أو اسمه ـ أن يكون موصوفاً أو مبيناً للعدد:

ولذلك اشترط النحاة لإقامة المصدر أو اسمه مقام الفاعل، أن يكون مفيداً، وتتحقق هذه الفائدة بتحقق أمرين:

1 ـ التصرف: أي: صلاحية المصدر للتنقل بين الحالات الإعرابية المختلفة.

2 ـ الاختصاص: فلا يصح أن يقال: جُلِس جلوسٌ.

وتأتي الفائدة الإضافية من:

1 ـ الوصف: نحو: جُلِس جلوسٌ مريحٌ.

2 ـ الإضافة: نحو: جُلِس جُلوسُ الأمراء.

3 ـ العدد: نحو: جُلِس مرتان.

يقول سيبويه: (تقول: سِير عليه سيرٌ شديدٌ، وضُرِبَ به ضربٌ ضعيفٌ.

فأجريته مفعولاً والفعل له...

وكذلك إذا أردت به هذا المعنى ولم تذكر الصفة، تقول: سيرَ على سَيرٌ، وضُرِب به ضَربٌ.

كأنك قلت: (سِيرَ عليه ضَربٌ من السّير، أو: سِيرَ عليه نوعٌ من السير) وكذلك جميع المصادر ترتفع أفعالها (إذا لم تشغل الفعل بغيرها)[1].

(وتقول: ضُرِب به ضربتان)[2].

وفَصّل النحاة القول، فاشترطوا في المصدر ـ أو اسمه ـ ألا يكون

---

(1) الكتاب ج 1/117.

(2) المصدر نفسه ج 1/117 ـ 118.

لمجرد التوكيد إذ النائب عن الفاعل يجب أن يكون مثله في إفادة ما لم يفده الفعل حتى يتبيّن احتياج الفعل إليه ليصيرا معاً كلاماً.

فلو قلت: ضُرِبَ ضَربٌ، لم يجز، لأن «ضرب» مستغن بدلالته على «ضرب» عن قولك: ضربٌ، بل يقال: ضُرِب ضربة، أو: الضرب الفلاني، ولذلك قال المصنف (ضرباً شديداً).

وكذلك يشترط الفائدة المتجددة في كل ما ينوب عن الفاعل، فلا يقال: (ضُرِب شيءٌ، ولا جُلِس مكان أو زمان أو موضع. لأن هذه الأشياء معلومة من الفعل، ولا فائدة متجددة في ذكرها)[1].

(جـ) إقامة الظرف مقام الفاعل:

ينوب عن الفاعل ظرف الزمان، وظرف المكان اتساعاً وإيجازاً[2]، ويشترط في الظرف أن يكون متركناً في التصرف، أما الظرف الجامد الذي لا يفارق الظرفية فلا ينوب عن الفاعل ومعنى ذلك أن الظرف لا يقوم مقام الفاعل إلا إذا كان مفيداً وتكون فائدته بتوافر أمرين فيه، هما:

1 ـ التصرف.

2 ـ الاختصاص.

ويكون اختصاص الظرف بأحد أمور ثلاثة: الأول: الوصف: نحو، سِير وقتٌ طويل.

الثاني: الإضافة، نحو: سِير وقتُ الأصيل، الثالث: التعريف، إما بالعلمية (صيم رمضان) أو بـ (أل) نحو: صيم اليوم.

(د) إقامة الجار والمجرور مقام الفاعل.

---

(1) شرح الكافية ج 1/220.

(2) ينظر الكتاب ج 1/114 ـ 117.

حرف الجر، إما أن يكون أصلياً، أو زائداً، ويشترط[1] لإقامة الجار والمجرور مقام الفاعل شرطان هما:

1 ـ التصرف: أي، صلاحية حرف الجر للدخول على الأسماء المختلفة، وعدم لزومه نوعاً واحداً منها.

وعلى ذلك لا يصح أن ينوب عن الفاعل، الجار والمجرور، إذا كان حرف الجر غير متصرف نحو (مذ، منذ) لأنهما لا يدخلان إلا على بعض الأسماء الظاهرة.

ونحو (رُبَّ): لأنها لا تدخل إلا على النكرات.

2 ـ الاختصاص: وهو (أ) يفيد حرف الجر مع مجروره، فائدة إضافية، فلا يصح أن يقال: سرق من رجل، لعدم الاختصاص.

وتتحقق هذه الفائدة الإضافية من واحد من الأمور الآتية:

1 ـ الوصف: سواء أكان الموصوف مذكوراً نحو:
(ضُرِب به ضرباً ضعيفاً) فتشغل الفعل بالجار والمجرور ولا تشتغله بالمصدر)[2] أو محذوفاً.

2 ـ الإضافة: نحو قوله ـ تعالى ـ: ﴿**ولما سُقِط في أيديهم**﴾.

3 ـ التعريف: إما بالعملية نحو (نُقِل عن سيبويه) أو بالتعريف بـ (أل)، نحو: حُكي عن النبي ﷺ.

وفي الصفحات الآتية محاولة لاستقراء مواضع «نائب الفاعل» في القرآن الكريم، بقصد الاحتكام إلى النص الكريم في بيان مدى دقة قواعد

---

(1) همع الهوامع ج 1/163.
(2) الكتاب ج 1/117.
الجملة الفعلية بسيطة وموسعة، ص 372 ـ 373.

النحاة وآرائهم في هذا التركيب، والكشف عن قربها أو بعدها من الواقع اللغوي القرآني والتنبيه إلى ما طرأ على الدرس النحوي من تكلف أو تعسف في القواعد النحوية بسبب ابتعاده عن الاعتماد على الشاهد القرآني واختبار صواب القاعدة النحوية.

فلا الضرورة الشعرية، ولا الأمثلة المصنوعة التي ملأت كتب النحاة المتأخرين تحققان للدرس النحوي المنهجية العلمية الصائبة، بل الخطوة الأهم هي تقويمه بالشاهد القرآني.

ويمكن تقسيم المواضع القرآنية التي ورد فيها ما قام مقام الفاعل إلى الأنماط الآتية:

النمط الأول ـ «اسم المفعول + القائم مقام الفاعل»:

ويضم هذا النمط صورتين:

الصورة الأولى: اسم المفعول + المفعول به.

ومن المواضع التي ورد فيها مثل هذا التركيب، قوله ـ تعالى ـ: ﴿**ذَلِكَ يومٌ مجموعٌ له الناسُ**﴾ [هود: 103].

يقول الزمخشري: («الناس: رفع باسم المفعول الذي هو «مجموع» كما يرفع بفعله إذ قلت: يجمع له الناس، فإن قلت: لأيّ فائدة أُثر اسم المفعول على فعله؟ قلت: لما في اسم المفعول من دلالة على ثبات معنى الجمع لليوم، وأنه يوم لا بد من أن يكون ميعاداً مضروباً لجمع الناس له، وأنه الموصوف بذلك صفة لازمة، وهو أثبت أيضاً لإسناد الجمع إلى الناس وأنهم لا ينفكون منه، ونظيره قول المتهدد: إنك لمنهوبٌ مالُك محروبٌ قومُك».

فيه من تمكن الوصف وثباته ما ليس في الفعل.

وإن شئت فوازن بينه وبين قوله: ﴿**يوم يجمعكم ليوم الجمع**﴾ [التغابن: 9]. تعثر على صحة ما قلت لك)[1].

ومثله قوله ـ عز وجل ـ: ﴿**جَنَّاتِ عَدْنٍ مفتحةٌ لهم الأبوابُ**﴾ [ص: 50].

و (الأبواب: نائب الفاعل، والعائد محذوف، تقديره، (منها) أو هي بدل من الضمير المرفوع المستتر)[2].

ومثله ـ أيضاً ـ قوله ـ عز وجل ـ: ﴿**وهو مُحَرمٌ عليكُم إخراجُهم**﴾ [البقرة: 85].

الصورة الثانية: اسم المفعول + الجار والمجرور.

ومنه قوله ـ تعالى ـ: ﴿**غير المغضوب عليهم**﴾ [الفاتحة: 7].

﴿**وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن**﴾ [البقرة: 233].

قال أبو حيان «له»: (نائب الفاعل)[3].

النمط الثاني ـ «الفعل المبني للمجهول + القائم مقام الفاعل «المفعول به»»:

إن قيام المفعول به مقام الفاعل هو الكثير المستفيض في القرآن الكريم وقد جاء ذلك في أكثر من (أربعمئة واثنين وعشرين) موضعاً.

ومن ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿**يومَ تُبدَّل الأرضُ غير الأرض**﴾[إبراهيم: 48].

﴿**وبرِّزت الجحيمُ للغاوين**﴾ [الشعراء: 91].

﴿**وإذا حُشِر الناسُ كانوا لهم أعداء**﴾ [الأحقاف: 6].

---

(1) الكشاف ج 2/292.

(2) البحر المحيط ج 1/405.

(3) المصدر السابق ج 2/233.

وقال ـ عز وجل ـ: ﴿وإذا تُليت عليهم آياتُه زادتهم إيماناً﴾ [الأنفال: 2].

﴿أُحِلَّ لكُم صيدُ البحر وطعامه متاعاً لكم وللسيارة وحُرِّم عليكم صيدُ البرِّ ما دمتم حرماً﴾ [المائدة: 96].

ذكرنا ـ فيما سبق[1] ـ أن نحاة البصرة ـ إلا الأخفش ـ ذهبوا إلى أن المفعول به إذا وجد في التركيب تعين قيامه مقام الفاعل.

أما نحاة الكوفة فذكروا أن ذلك أولى لا واجب. والنص القرآني الكريم يؤكد دقة رأي نحاة البصرة. أما نحاة الكوفة فقد استدلوا بما يأتي:

(أ) قراءة أبي جعفر لقوله ـ تعالى ـ: ﴿ليُجْزَى يوماً بما كانوا يكسبون﴾ [الجاثية: 14] بإقامة الجار والمجرور مقام الفاعل مع وجود المفعول به.

(ب) القراءة الشاذة لقوله ـ تعالى ـ: ﴿لولا نُزِّل عليه القرآنُ﴾ [الفرقان: 32].

(جـ) ﴿وكذلك نُجِّي المؤمنين﴾ [الأنبياء: 88]. (خرجها الفراء على إضمار المصدر)[2].

وقال الزمخشري ـ وغيره[3] (نُنْجي): ننجي، ونجي، «والنون» لا تدغم في «الجيم» ومن تمحل لصحته فجعله (فعل)، وقال: (نجي النجاء المؤمنين) فأرسل الياء وأسنده إلى مصدره ونصب (المؤمنين) بالنجاء فمتعسف بارد التعسف).

النمط الثالث ـ «الفعل المبني للمجهول + القائم مقام الفاعل «المفعول به الأول»»:

لقد قام المفعول به الأول مقام الفاعل في جميع مواضعه التي وردت

---

(1) ينظر ص.
(2) معاني القرآني ج 2/210.
(3) الكشاف ج 2/582 البحر المحيط ج 6/335.

في القرآن الكريم ـ وقد تجاوزت سبعاً وسبعين موضعاً ـ، ولا فرق بين المفعولين اللذين أصلهما مبتدأ وخبر، واللذين ليس أصلهما مبتدأ وخبراً.

والنص الكريم ـ هنا ـ يؤيد ما ذهب إليه (الجزولي) و (الخضراوي) وغيرهما[1].

كذلك ما ذكره الرضي وهو أن (السماع لم يأت إلا بقيام أول مفعولي «علمت»...)[2].

قال ـ تعالى ـ: ﴿إنما يُوفَّى الصابرون أَجرَهم بغير حساب﴾ [الزمر: 10].

﴿وسُقُوا ماءً حميماً﴾ [محمد: 15].

﴿عُلِّمنا منطِقَ الطَّيرِ﴾ [النمل: 16].

فقد جاءت الأفعال المبنية للمجهول «يوفّي» «سُقِي» «عُلِّم» متعدية إلى مفعولين أُقيم المفعول به الأوّل ﴿الصابرون﴾ ـ في الموضع الأوّل ـ و «واو» الجماعة ـ في الموضع الثاني ـ والضمير «نا» ـ في الموضع الثالث ـ مقام الفاعل.

أما ما اختاره نحاة الكوفة والفارسي وابن النحاس ـ من نحاة البصرة ـ، وغيرهم ممن أجازوا قيام المفعول الثاني ـ بشروط ـ فلا يؤيدها الواقع اللغوي للنص الكريم بمعنى ليس في القرآن الكريم موضع قام فيه المفعول الثاني مقام الفاعل.

أما المواضع التي احتج بها هؤلاء النحاة فهي:

قوله ـ عز وجل ـ: ﴿وأُحضِرت الأنفسُ الشح﴾ [النساء: 28].

التركيب يقتضي أن الأنفس جعلت حاضرة للشح لا تغيب عنه، لأن ﴿الأنفس﴾ هو المفعول الذي لم يسم فاعله، وهي التي كانت فاعلة قبل

---

(1) ينظر ص.

(2) شرح الكافية ج 1/218.

دخول همزة النقل، إذ الأصل: حضرت الأنفس الشح، على أنه يجوز عند الجمهور إقامة المفعول الثاني مقام الفاعل، وإن كان الأجود عندهم إقامة المفعول الأول فيحتمل أن تكون ﴿الأنفس﴾ هي المفعول الثاني، و (الشح) هو المفعول الأول، وقام الثاني مقام الفاعل ولا نجد ـ هنا ـ أبلغ من رد أبـي حيان على هذا التوجيه، يقول أبو حيان.

(الأولى حمل القرآن على الأفصح المتفق عليه)[1] فـ ﴿الأنفس﴾: هي المفعول الأول[2].

أما قوله ـ تعالى ـ: ﴿**وحُمِّلت الأرضُ والجبالُ**﴾ [الحاقة: 14].

فقد (قرأ ابن أبـي عبلة والأعمش ﴿وحُمِّلت﴾ بالتشديد، والبناء للمفعول فاحتمل التشديد أن يكون للتكثير، أو يكون التضعيف للنقل، فجاز أن يكون ﴿الأرض والجبال﴾ المفعول الأول أقيم مقام الفاعل، والثاني محذوف أي: (ريحاً) أو (ملائكة) أو (قدرة).

وجاز أن يكون الثاني أقيم مقام الفاعل، والأول الفاعل، والأول محذوف، وهو واحد من الثلاثة)[3]، ونُكرِّر هنا ـ للفائدة ـ ما ذكره أَبو حيّان: (الأَولى حمل القرآن على الأفصح المتفق عليه).

أما الموضع الثالث فهو قوله ـ تعالى ـ: ﴿**وقالوا أَساطيرُ الأَولّين اكتتبها**﴾ [الفرقان: 5].

(قرىء: ﴿اكتتبها﴾ على البناء للمفعول، والمعنى: اكتتبها كاتب له لأنه كاتب له لأنه كان أمياً لا يكتب بيده، وذلك من تمام إعجازه، ثم حذفت «اللام» فأفضى الفعل إلى الضمير، فصار: اكتتبها إياه كاتب، كقوله

---

(1) البحر المحيط ج 3/364.
(2) إملاء ما من به الرحمن ج 1/111.
(3) البحر المحيط ص 1/218.

ـ تعالى ـ: ﴿**واختار موسى قومه**﴾ [الأعراف: 155].

ثم بني الفعل للضمير الذي هو «إياه» فانقلب مرفوعاً مستتراً بعد أن كان بارزاً منصوباً، وبقي ضمير «الأساطير» على حاله فصار ﴿اكتتبها﴾[1] ونقد أبو حيان هذا التخريج، ولم يذكر له بديلاً عنه.

يقول أبو حيان: (ولا يصح ذلك على مذهب جمهور البصريين، لأن «اكتتبها له كاتب» وصل فيه «اكتتب» إلى مفعولين:

أحدهما: مسرّح وهو ضمير «الأساطير».

والآخر: مقيد وهو ضميره ـ عليه الصلاة والسلام ـ ثم اتسع في الفعل، فحذف حرف الجر، فصار «اكتتبها إياه كاتب»، فإذا بني هذا الفعل إلى مفعول، فإنما ينوب عن الفاعل للمفعول المسرح لفظاً وتقديراً لا المسرح لفظاً المقيد تقديراً، فعلى هذا كان يكون التقدير: «اكتتبه» لا «اكتتبها»)[2].

النمط الرابع ـ «الفعل المبني للمجهول + القائم مقام الفاعل «المصدر»»:

قام المصدر مقام الفاعل في موضعين من القرآن الكريم:

أما الموضع الأول: فهو قوله ـ تعالى ـ: ﴿**فإذا نُفِخَ في الصورِ نفخةٌ واحدةٌ**﴾ [الحاقة: 13].

فقد قام المصدر ﴿نفخة﴾ مقام الفاعل للفعل المبني للمجهول ﴿نُفِخ﴾ وهذا المصدر ﴿نفخةٌ﴾ قد حقق الفائدة، بالوصف ﴿نفخةٌ واحدة﴾، فناسب قيامه مقام الفاعل.

أما الموضع الثاني: فهو قوله ـ عز وجل ـ: ﴿**ثم نُفِخَ فيه أُخرى فإذا هم قيام**﴾ [الزمر: 68].

---

(1) البحر المحيط ج 6/482.
(2) البحر المحيط ج 6/482.

فقد احتمل أن تكون «أخرى» نائب الفاعل، كما صرح به في قوله: ﴿فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة﴾.

واحتمل أن تكون «أخرى» في موضع نصب، والجار والمجرور «فيه» قام مقام الفاعل(1).

النمط الخامس ـ «الفعل المبني للمجهول + القائم مقام الفاعل «الظرف»»:

لكي يقوم الظرف مقام الفاعل يجب أن يكون متصرفاً، أما التراكيب المبنية للمجهول التي ورد فيها الظرف ـ في القرآن الكريم ـ فليس فيها موضع واحد تعين فيه الظرف للقيام مقام الفاعل، (وإنما كل ما جاء في القرآن كان محتملاً لا متعيناً)(2).

ومن ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿من يُصرَف عنه يومئذٍ فقد رحمه﴾ [الأعراف: 16].

فالفعل ﴿يصرف﴾ مبني للمجهول، أما القائم مقام الفاعل فقد عده الزمخشري ضميراً يرجع إلى «العذاب» وتقديره «من يُصرَف عنه العذاب»(3).

وقال العكبري (في نائب الفاعل وجهان:

(أ) ﴿يومئذٍ﴾: أي: يصرف عنه عذاب يومئذٍ، فحذف المضاف، و ﴿يومئذٍ﴾ مبني على الفتح لإضافته إلى مبني.

(ب) ضمير يرجع إلى العذاب، و ﴿يومئذٍ﴾ ظرف لـ ﴿يصرف﴾ أو للعذاب أو حال من الضمير.

وقال ـ عز وجل ـ: ﴿وحِيلَ بَيْنَهُم وَبَيْنَ ما يشتهون﴾ [سبأ: 54].

---

(1) المصدر السابق ج 7/441.
(2) دراسات لأسلوب القرآن الكريم ق 3 ج 1/599.
(3) الكشاف ج 2/9.

في النص الكريم جاء الفعل ﴿حيل﴾ مبنياً للمجهول، وقد وقع بعده الظرف ﴿بينهم﴾.

قال الحوفي: (الظرف قائم مقام اسم ما لم يسم فاعله)[1].

وذهب أبو حيان إلى أن القائم مقام الفاعل هو ضمير المصدر الدال عليه الفعل المبني للمجهول ﴿وحيل﴾، أي: «الحول»، ولكونه أضمر لم يكن مصدراً مؤكداً، فجاز أن يقوم مقام الفاعل.

وذكر أبو حيان في «النهر الماد» أن (حيل: فعل لا يتعدى.. فعلى هذا يكون القائم مقام الفاعل ضمير المصدر المفهوم من قوله: ﴿وحيل﴾، كأنه قيل: وحيل هو، أي: الحول)[2].

فالظرف ﴿بينهم﴾، في رأي النحاة، انتقض فيه الشرط الأول من شرطي نيابة الظرف عن الفاعل لهذا يكون النائب عن الفاعل ضميراً مستتراً في الفعل تقديره «هو» يعود على المصدر المفهوم من الفعل والتقدير: «حيل الحول المعهود بينهم».

وقال ـ تعالى ـ: **﴿فضُرِب بينهم بسورٍ له باب﴾** [الحديد: 13].

يجوز أن يكون نائب الفاعل ﴿بسور﴾ وهو الظاهر، أو «الباء» زائدة، ويجوز أن يكون الظرف ﴿بينهم﴾ هو النائب عن الفاعل[3].

أما المواضع الأخرى، فهي قراءة بعض القراء، ولكنها ـ أيضاً ـ لا تعين إقامة الظرف مقام الفاعل، بل يحتمل إقامته في بعضها.

1 ـ قراءة أبي جعفر: (أ) لقوله ـ تعالى ـ: **﴿ليَحكُم بين الناس﴾**

---

(1) البحر المحيط ج 7/294 ـ 295.
(2) المصدر السابق ج 3/289.
(3) الجمل ج 4/283.

[البقرة: 213]. قرأ (أبو جعفر ﴿ليحكم﴾ بالبناء للمفعول)[1].

(ب) كذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿يُدْعون إلى كتابِ الله ليَحْكُم بينهم﴾ [آل عمران: 23] قرأ أبو جعفر ﴿ليحكم﴾ مبنياً للمفعول[2].

ولم يشر أهل اللغة ـ ومنهم أبو حيان الذي ذكر هذه القراءة[3] ـ إلى النائب عن الفاعل.

(ت) أما قوله ـ تعالى ـ: ﴿وإذا دُعُوا إلى اللَّهِ ورسولِهِ لِيَحْكُم بينهم﴾ [النور: 48].

(ث) وقوله ـ عز وجل ـ: ﴿إذا دُعُوا إلى الله ورسولِهِ ليَحْكُم بينهم﴾ [النور: 51].

فقد قرأ أبو جعفر الفعل ﴿ليحكم﴾ ـ في الموضعين ـ مبنياً للمجهول ﴿ليُحْكَم﴾[4].

يقول الزمخشري: (فإن قلت: إلام أسند «يحكم»؟ ولا بد له من فاعل؟.

قلت: هو مسند إلى مصدره، لأن معناه: ليفعل الحكم بينكم، ومثله (جمع بينهما) و (ألف بينهما)، ومثله (لقد تقطع بينكم) فيمن قرأ (بينكم) منصوباً، أي: وقع التقطع بينكم)[5].

وقيل (نائب الفاعل ضمير المصدر) وقال أبو حيان: (قرىء ﴿ليُحكَم بينهم﴾ ومثله: «جمع بينهما»، و «ألف بينهما»، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿وحيل بينهم﴾[6].

---

(1) ينظر/ الإتحاف: ص 156 ـ النشر ج 2/227.
(2) الإتحاف ص 172 ـ النشر ج 2/416.
(3) البحر المحيط ج 2/136، 416.
(4) الإتحاف ص 326 ـ النشر ج 2/232.
(5) الكشاف ج 3/72.
(6) البحر ج 6/486.

ومعنى ذلك أن الظرف ﴿بينهم﴾ في قراءة ﴿ليحكم﴾ لم يقم مقام الفاعل، بل قام ضمير المصدر مقام الفاعل.

2 ـ قرأ نافع وابن كثير وأبو جعفر وهشام، قوله ـ تعالى ـ: **﴿ويوم القيامة يَفْصِل بينكم﴾** [الممتحنة: 3].

قرأ هؤلاء القراء الفعل ﴿يفصل﴾، مبنياً للمفعول ﴿يُفْصَل بينكم﴾ والنائب عن الفاعل، إما ضمير المصدر المفهوم من يفصل، أي: (يفصل هو) أي: الفصل.

وإما ﴿بينكم﴾، وبني على الفتح لإضافته إلى مبني[1].

وبعد، فأنت ترى أن القراءات كلها، وفي جميع مواضعها لا تعين إقامة الظرف مقام الفاعل، بل تجوز ذلك، وقد لا تذكره البتة.

النمط السادس ـ «الفعل المبني للمجهول + القائم مقام الفاعل «الجار والمجرور»»:

قام الجار والمجرور مقام الفاعل في أكثر من واحد وأربعين موضعاً. ومن ذلك قوله ـ تعالى ـ: **﴿فلتسألن الذي أُرسِل إليهم﴾** [الأنعام: 6].

فالنائب عن الفاعل للفعل المبني للمجهول ﴿أُرسِل﴾ هو الجار والمجرور ﴿إليهم﴾.

ومثله قوله ـ عز وجل ـ: **﴿وما قتلوه وما صلبوه ولكن شُبِّه لهم﴾** [النساء: 157].

فالفعل المبني للمجهول ﴿شُبِّه﴾ أُسند إلى النائب عن الفاعل وهو

---

(1) البحر المحيط ج 254/8، إملاء ما من به الرحمن ج 137/2 ـ الإتحاف ص 414.

الجار والمجرور ﴿لهم﴾ وهذا ما أجازه الزمخشري[1] ـ وغيره، فقال: (فإن قلت ﴿شبه﴾ مسند إلى ماذا؟ قلت: هو مسند إلى الجار والمجرور هو ﴿لهم﴾ كقولك: (خُيّل إليه) كأنه قيل ولكن وقع لهم التشبيه، ويجوز أن يسند إلى ضمير المقتول لأن قوله: (إنا قلنا) يدل عليه كأنه قيل: ولكن شبه لهم من قتلوه)[2].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿إذا سمعتُم آيات الله يُكفر بها ويُستهزأ بها فلا تقعدوا معهم﴾ [النساء: 140].

فإن نائب الفاعل في قوله ـ عز وجل ـ: ﴿يُكْفَر بها ويُسْتَهزأ بها﴾، هو الجار والمجرور ﴿بها﴾. وللنحاة في مثل هذا النمط عدة آراء منها:

(أ) ذهب بعض نحاة البصرة إلى أن المفعول الذي لم يسم فاعله ـ «نائب الفاعل» ـ هو الجار والمجرور بمعنى أن يقام الجار والمجرور مقام الفاعل إذا حذف.

(ب) قال السيوطي: (الجمهور على أن المجرور في موضع رفع وهو النائب عن الفاعل كما لو كان الجار زائداً)[3].

(ت) وذهب نحاة الكوفة إلى أن ذلك لا يجوز إلا فيما حرف الجر فيه زائد، نحو: ما ضرب من أحد فإذا كان حرف الجر غير زائد، لم يجز ذلك عندهم.

ولا يجوز أن يكون الاسم المجرور في موضع رفع باتفاق منهم واختلفوا بعد هذا الاتفاق في الذي أقيم مقام الفاعل[4]:

(أ) ذهب الفراء إلى أن حرف الجر وحده في موضع رفع.

---

(1) الجمل ج 2/120.
(2) الكشاف ج 1/560 ـ البحر ج 3/390.
(3) الهمع ج 1/163.
(4) البحر المحيط ج 2/213.

(ب) ذكر الكسائي وهشام إلى أن مفعول الفعل ضمير مبهم مستتر في الفعل، وإبهامه من حيث إنه يحتمل أن يراد به ما يدل عليه الفعل من مصدر أو ظرف زمان، أو ظرف مكان، ولم يقم الدليل على أن المراد به بعض ذلك دون بعض.

(جـ) وذهب بعضهم إلى أن مرفوع الفعل ضمير يعود على المصدر المفهوم من الفعل وهذا سائغ عند بعض البصريين، وممنوع عند محققي البصريين).

وهنا، يحق للدارس أن يسأل: هل يحقق هذا «التكلف» وهذا «الخلاف»

فائدة ما للدرس النّحوي؟ فإذا كانَ الجواب المنتظر نفياً فَلِمَ لا يكون الجار والمجرور ـ معاً ـ نائباً عن الفاعل وهما معاً تساويان المفعول، وبهما تتم فائدة الإسناد ولأنه؛ لما كان المفعول هو الذي ينوب عن الفاعل، فإنه من اللازم أن يؤدي وظيفته ـ عند خلو التركيب منه ـ ما يساويه، لا جزء مما يساويه.

ويبدو أن هذا الاختيار يبعد النص عن جدل أهل المنطق، ثم إن (ما يصح فلسفياً)[1] قد لا يكون مستساغاً في الواقع اللغوي لأي نص بليغ، فكيف الحال مع أبلغ نص عرفته اللغة العربية؟.

النمط السابع ـ «الفعل المبني للمجهول + نائب الفاعل «الجملة المحكية»»:

للنحاة العرب عدة آراء في قيام الجملة مقام الفاعل[2]:

(أ) ذهب نحاة البصرة إلى أن الجملة لا تقوم مقام الفاعل، فكذلك

---

(1) هذه حجة بعض الباحثين المعاصرين لرفض الرأي الذي أَجازه الزمخشري وأبو حيّان، واختاره ابن مالك وهو (قيام الجار والمجرور ـ معاً ـ مقام الفاعل) ـ ينظر/ تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد ص 77 ـ البحر المحيط ج 2/213 ـ ج 3/390 ـ ج 6/373 ـ ج 7/441 ـ ج 8/272 ـ وينظر أيضاً/ دراسات نقدية في النحو العربي ص 262.

(2) البحر ج 6/103.

لا تقوم مقام ما ناب عنه.

(ب) وذكر الرضي أن (الجملة إذا كانت محكية جاز قيامها مقام الفاعل لكونها بمعنى المفرد، أي: اللفظ نحو قوله ـ تعالى ـ: ﴿**وقِيلَ يا أَرضُ ابلعي ماءَكِ**﴾ [هود: 44]. أي: (قيل هذا القول وهذا اللفظ)[1].

(ت) للكوفيين في هذه المسألة مذهبان:

أحدهما: أنه لا يجوز الإسناد إلى الجملة اللفظية مطلقاً.

الثاني: أنه لا يجوز إلا إن كان مما يصح تعليقه[2].

فظاهر قوله ـ تعالى ـ: ﴿**وإذا قِيلَ لهم لا تُفْسِدوا في الأَرضِ قالوا**﴾ [البقرة: 11].

أَن المفعول الذي لم يسم الجملة المصدرة بأداة النهي، وهي ﴿لا تفسدوا في الأرض﴾ إلا أن ذلك لا يجوز على مذهب البصريين.

لأن المفعول الذي لم يسم فاعله مضمر تقديره: «هو» يفسره سياق الكلام، كما فسر المضمر في قوله ـ تعالى ـ: ﴿حتى توارت بالحجاب﴾ سياق الكلام.

والمعنى: «إذا قيل لهم قول شديد» فأضمر هذا القول الموصوف، وجاءت الجملة بعده مفسرة، فلا موضع لها من الإعراب، لأنها مفسرة لذلك المضمر الذي هو «القول الشديد» ولا يجوز أن يكون ﴿لهم﴾ في موضع المفعول الذي لم يتم فاعله؛ لأنه لا ينتظم منه مع ما قبله كلام، لأنه يبقى ﴿لا تفسدوا﴾ لا ارتباط له.

أما الزمخشري فيرى أن المفعول الذي لم يتم فاعله هو الجملة التي هي ﴿لا تفسدوا﴾ وجعل ذلك من باب الإسناد اللفظي، ولم يجعله من باب

(1) شرح الكافية ج 1/216.
(2) الكشاف ج 1/179.

الإسناد إلى معنى الجملة لأن ذلك لا يجوز على مذهب البصريين، فعدل إلى الإسناد اللفظي.

يقول الزمخشري: (كأنه قيل: وإذا قيل لهم هذا القول، وهذا الكلام)[1].

ويبدو أن اختيار ابن هشام أقرب إلى معنى النص الكريم، يقول ابن هشام: (زعم ابن عصفور أن البصريين يقدرون نائب الفاعل في ﴿قيل﴾ ضمير المصدر وجملة النهي مفسرة لذلك الضمير.

وقيل: الظرف نائب عن الفاعل، فالجملة في محل نصب.

ويرد بأنه لا تتم الفائدة بالظرف، وبعدمه في: (وإذا قيل إن وعد الله حق) والصواب أن النائب جملة، لأنها كانت قبل حذف الفاعل منصوبة بالقول فكيف انقلبت مفسرة؟.

والمفعول به متعين للنيابة.

وقولهم: الجملة لا تكون فاعلاً ولا نائباً عنه.

جوابه: أن التي يراد بها لفظها يحكم لها بحكم المفردات، ولهذا تقع مبتدأ نحو: لا حول ولا قوة إلا بالله كنز من كنوز الجنة، وفي المثل: زعموا مطية الكذب. ومن هنا لم يحتج الخبر إلى رابط[2].

ومثله قوله ـ تعالى ـ: ﴿**وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم**. .﴾ [الأنعام: 46].

فإن (نائب الفاعل جملة ﴿ماذا أنزل ربكم﴾[3].

وقال بعضهم قوله ـ تعالى ـ: ﴿ماذا أنزل﴾ ليس معمولاً لـ ﴿قيل﴾

(1) الكشاف ج 1/179.
(2) مغني اللبيب ج 1/449.
(3) البحر المحيط ج 2/48.

على مذهب البصريين)[1].

وقال ـ عز وجل ـ: ﴿**ولقد أُوحي إليك وإلى الذين من قبلك؛ لَئِن أَشرَكْتَ لَيَحبطنَّ عملك ولتكونَنَّ من الخَاسرين**﴾ [الزمر: 65].

فالفعل ﴿أوحي﴾ مبني للمفعول، ويظهر أن الوحي هو هذه الجمل من قوله ـ تعالى ـ: ﴿لئن أشركت﴾ إلى قوله: ﴿من الخاسرين﴾[2].

ويبدو أن الذي قام مقام الفاعل هو جملة القسم وجوابها.

قال ـ تعالى ـ: ﴿**ثم يقال: هذا الذي كنتم به تكذبون**﴾ [المطففين: 17].

يقول ابن عطية: (جملة: ﴿هذا الذي﴾ مفعول ما لم يسم فاعله، لأنه قول بني له الفعل الذي هو يقال)[3].

وقال ـ عز وجل ـ: ﴿**قيل: يا نوحُ اهبط بسلام منا**﴾ [هود: 48].

ذكر العكبري (أن قوله ـ تعالى ـ: ﴿يا نوح﴾ جملة في موضع رفع لوقوعها موقع الفاعل)[4].

وبعد، فقد تعمدت ذكر جميع المواضع التي وقعت فيها الجملة نائباً عن الفاعل وقد وضح أن السياق الكريم في هذه المواضع يؤيد ما ذهب إليه ابن عطية وابن هشام والعكبري وغيرهم.

وأن ما ذهب إليه النحاة الآخرون بعيد عن الواقع اللغوي لهذه النصوص الكريمة وغيرها.

---

(1) الجمل ج 2/557.
(2) البحر المحيط ج 7/439.
(3) البحر المحيط ج 8/441.
(4) إملاء ما من به الرحمن ج 2/21.

المبحث الثالث

ذهب أهل اللغة[1] إلى أن الجملة الفعلية قد تعدل عن ذكر الفاعل، فينوب «المفعول به» أو غيره عن الفاعل المحذوف، وحاولوا «حصرها» بأغراض محددة، وحتى يتيسر لهم ذلك قسموا هذه الأغراض إلى مجموعتين:

المجموعة الأولى ـ الأغراض اللفظية:

وتشمل: 1 ـ قصد الإيجاز، 2 ـ إرادة السجع 3 ـ إقامة الوزن.

المجموعة الثانية ـ الأسباب المعنوية:

وتضم: 1 ـ العلم بالفاعل 2 ـ الجهل بالفاعل 3 ـ الإبهام 4 ـ تعظيم الفاعل 5 ـ تحقير الفاعل 6 ـ الخوف من الفاعل 7 ـ الخوف على الفاعل 8 ـ قصد العموم.

ولا يمكننا حصر أغراض هذا الفن البلاغي الواسع (فالأغراض ليست تقعيداً منطقياً مقنناً وإنما هي مواقف فنية ندركها من الموقف كله، فقد تكون هنالك أغراض أعمق وأدق من تلك التي حصرها البلاغيون، وعلينا أن نستشف العطاء الفني لنسق التركيب من داخل العمل نفسه ومن هيئته الفنية الخاصة به)[2].

---

(1) شرح الأشموني ج 1/ 163.

(2) فلسفة البلاغة ص 81.

ونستطيع أن نضيف إلى ذلك أن هذه الأغراض وغيرها تتأثر بعدة عناصر فنية منها:

1 ـ الجو العام للسورة 2 ـ الجو الخاص للنص الكريم 3 ـ النسق اللغوي للسياق 4 ـ داعية المقام ومقتضى الحال.

فهذه العناصر وغيرها ـ تتآزر في الربانة عن الدلالة المقصودة.

وقد أشار السكاكي إلى ما نرمي إليه فقال: (والمقدمة للكلام كما لا يخفى على من له صدق في نهج البلاغة، نازلة منزلة الأساس للبناء، فكما أن البنّاء الحاذق لا يرمي الأساس إلا بقدر ما يقدر من البناء عليه، فكذلك البليغ يصنع بمبدأ كلامه، فمتى رأيته اختصر المبدأ فقد آذنك باختصار ما يورده، ثم إن الاختصار من الأمور النسبية)[1] لذلك نجد أهل التفسير أكثر توفيقاً في إشاراتهم الغنية بلمحات ذكية، تكشف عما تضمنته البنية لهذا الأسلوب فقد تحقق البنية النصية لأسلوب البناء للمجهول، دلالة التلقائية، وتركيز الانتباه إلى الحدث ذاته، وإبراز الإقناع النفسي.

وتشكل هذه الدلالة في اطراد ورودها (في كل الآيات التي وصفت اليوم الآخر)[2]. تشكُّل ظاهرة أسلوبية في القرآن الكريم، مع وضوحها إلى درجة العمد والإصرار، وسرها البياني دقيق جليل.

(فاطراد إسناد الحدث إلى غير محدثه، بالبناء للمجهول أو الإسناد المجازي، أو المطاوعة، يدل على العمد المقصود به ما نسميه التلقائية والإقناع النفسي بأن الكون كله مهيّأ يومئذٍ للحدث الخطير، وأن الكائنات

---

(1) مفتاح العلوم ص 103.
(2) التفسير البياني للقرآن الكريم ج 1/ 75.

مسخرة بقوة لذلك الحدث. .)[1].

ففي تصوير يوم القيامة وما يصاحبه من أحداث جسام يأتي السياق الكريم مسنداً إلى أسلوب المبني للمجهول، ومن ذلك قوله ـ تعالى ـ في سورة التكوير: ﴿إذا الشمسُ كُوّرت * وإذا النجومُ انكدرت * وإذا الجبال سيّـرت * وإذا العِشـار عُطِّلـت * وإذا الـوحـوشُ حُشِـرت * وإذا البحـارُ سُجّرت * وإذا النفوسُ زُوِّجت * وإذا الموؤدةُ سُئلت بأيِّ ذنبٍ قُتِلت * وإذا الصحفُ نُشِرت * وإذا السماءُ كُشطت * وإذا الجحيمُ سُعّرت * وإذا الجنة أُزلِفَت * عَلِمت نفسٌ ما أحضرت﴾ [التكوير: 1 ـ 14].

وقال ـ تعالى ـ في سورة الانفطار: ﴿إذا السماءُ انفطرت * وإذا الكواكبُ انتشرت * وإذا البحارُ فُجِّرت * وإذا القبورُ بُعثِرت * عَلِمت نفسٌ ما قدَّمت وأَخَّرت﴾ [الانفطار: 1 ـ 5].

وقال ـ عز وجل ـ: ﴿إذا زُلْزِلَت الأرضُ زلزالها﴾ [الزلزلة: 1].

﴿إذا السماءُ انشقَت * وأَذِنت لربِّها وحُقَّت * وإذا الأرضُ مُدَّت. .﴾ [الانشقاق: 1 ـ 3].

﴿فإذا نُفِخ فَي الصورِ نفخةٌ واحدة﴾ [الحاقة: 13].

﴿يومَ يُنْفَخُ في الصورِ فتأتونَ أَفواجاً * وفُتِحَت السماءُ فكانت أبواباً * وسيِّرت الجبالُ فكانت سراباً﴾ [النبأ: 17 ـ 20].

﴿فإذا النجومُ طُمست * وإذا السماءُ فُرجت * وإذا الجبالُ نُسفت﴾ [المرسلات: 8 ـ 10].

﴿كلا إذا دُكَّت الأرضُ دكاً دكاً﴾ [الفجر: 21].

---

(1) المصدر السابق ج 1/76.

﴿أَفَلا يعلمُ إذا بُعْثِر ما في القبور * وحُصّل ما في الصدور﴾ [العاديات: 10].

﴿إذا رُجَّت الأرضُ رجاً * وبُست الجبالُ بساً﴾ [الواقعة: 5 ـ 6].

فأنت ترى أن السياق الكريم قد آثر بناء الفعل للمجهول، وحذف الفاعل لصرف الذهن إلى الحدث العظيم، وهو قيام الساعة.

يقول الشيخ الطاهر بن عاشور في تفسيره لقوله ـ تعالى ـ: ﴿يوم ينفخ في الصور﴾ (بني ﴿ينفخ﴾ للمجهول لعدم تعلق الغرض بمعرفة النافخ، وإنما الغرض معرفة هذا الحدث العظيم، وهو دعاء الناس للحضور إلى الفصل)[1].

وقال ـ أيضاً ـ في تفسير لقوله ـ عز وجل ـ: ﴿وبُرّزت الجحيمُ لمن يرى﴾ [النازعات: 36].

(بني الفاعل للمجهول لعدم تعلق الغرض بمعرفة الفاعل)[2].

وإذا تأملنا الأفعال الواردة ـ في المواضع السابقة ـ وجدناها جميعاً بصيغة «الماضي»، لتقرير أن الفعل واقع لا محالة.

وقد صدر بـ «إذا» فصرفته إلى المستقبل دون أن يفقد التعبير أثره الذي يوحي به استعمال الماضي، بدلاً من المستقبل الصريح ـ على أن المباغتة في «إذا» هي في رأينا مناط البيان في هذا الموقف، وهذه أيضاً ظاهرة أسلوبية، تسيطر على الحديث عن اليوم الآخر الذي يأتي بغتة، إمعاناً في الترهيب)[3].

وقد ذهب أهل اللغة ـ كما ذكرنا ـ إلى أن الفاعل قد يحذف للعلم به، كما في قوله ـ عز وجل ـ:

---

(1) التحرير والتنوير ص 137 «المقدمات وتفسير سورة الفاتحة وجزء عم».
(2) المصدر نفسه ص 160.
(3) التفسير البياني للقرآن الكريم ص 78.

﴿خلق الإنسانُ من عَجلٍ﴾ [الأنبياء: 37].

﴿خُلِق الإِنسانُ ضعيفاً﴾ [النساء: 28].

ويبدو أن هؤلاء اللغويين لم يقفوا عند ملاحظة ابن جني في هذا المجال، فقد نبه، إلى أن ضابط الحذف «أن يكون الغرض هو الإعلام بوقوع الفعل بالمفعول، ولا غرض في إبانة الفاعل من هو. .»[1].

وقد ذكرنا أَنَّ هذا الغرض تحدده علاقات لغوية عديدة، منها البنية النصية للسياق، وداعية المقام ومقتضى الحال، والنسق العام للسورة، والنسق الخاص للنص الكريم.

فقد تضمن الكتاب العزيز أفعالاً كثيرة بنيت للمعلوم مسندة إلى لفظ الجلالة «الله» مع علم المتلقي أنه سبحانه خلق السموات والأرض، وأَنزل القرآن على عبده يهدي من يشاء، ويرزق من يشاء بغير حساب، ويعلم الغيب وما يخفى. . .

يقول ـ عز وجل ـ: ﴿الرَّحمنُ عَلَّم القُرآنَ * خَلَقَ الإنسانَ * عَلَّمه البيان﴾.

فقد أسند تعليم القرآن إلى اسم الرحمن (للإيذان بأنه من آثار الرحمة الواسعة وأَحكامها وقد اقتصر على ذكره تنبيهاً على أصالته وجلالة قدره ثم قيل ﴿خلق الإنسان * علمه البيان﴾ تعييناً للمعلم وتبييناً لكيفية التعليم، والمراد بخلق الإنسان، إنشاؤه على ما هو عليه البيان؛ هو التعبير عما في الضمير. والجمل الثلاث أخبار مترادفة للرحمن، وإخلاء الأخيرتين عن العاطف لورودها على منهاج التعديد)[2].

(1) البرهان في علوم القرآن ج 3/114.
(2) تفسير أبـي السعود ج 5/122.

يقول الزمخشري في تفسيره للنص الكريم ـ السابق ـ: (عدد الله ـ عز وعلا ـ آلاءه، فأراد أن يقدم أول شيء ما هو أسبق قدماً من ضروب آلائه وأصناف نعمائه، وهي نعمة الدين، فقدم من نعمة الدين ما هو في أعلى مراتبها وأقصى مراقبها وهو إنعامه بالقرآن وتنزيله وتعليمه لأنه أعظم وحي الله رتبة، وأعلاه منزلة، وأحسنه في أبواب الدين أثراً، وهو سنام الكتب السماوية ومصداقها، والعيار عليها.

وأخر ذكر خلق الإنسان عن ذكره، ثم اتبعه إياه ليعلم أنه إنما خلقه للدين وليحيطه علماً بوحيه وكتبه، وما خلق الإنسان من أجله.

ثم ذكر ما تميز به الإنسان من سائر الحيوان من البيان، وهو المنطق الفصيح المعرب عما في الضمير، (و ﴿الرحمن﴾ مبتدأ، وهذه الأفعال مع ضمائرها أخبار مترادفة وإخلاؤها من العاطف لمجيئها على نمط التعديد)[1].

وقال ـ تعالى ـ في السورة نفسها: **﴿خَلَقَ الإنسانَ من صلصال كالفخار * وخَلَقَ الجان من مارج من نار﴾** [الرحمن: 14].

فلكل نص كريم نسقه، وعلاقاته السياقية، وبنيته النصية الخاصة، التي تؤثر أسلوب البناء للمعلوم، أو تعدل إلى أسلوب البناء للمجهول فيحذف الفاعل، وهذه ظاهرة أسلوبية مطردة.

فاقرأ هذه الآيات من سورة التوبة، إذ يقول ـ عز من قائل ـ: **﴿وإذا أُنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله، استأذنك أولوا الطول منهم وقالوا: ذرنا نكن مع القاعدين * رضوا بأن يكونوا مع الخوالف، وطُبع على قلوبهم فهم لا يفقهون﴾** [التوبة: 86 ـ 87].

واقرأ ـ أيضاً ـ من السورة نفسها، قوله ـ عز وجل ـ: **﴿إنما السبيل على الذين يستأذنوك وهم أغنياء، رضوا بأَنْ يكونوا مع الخوالف، وَطَبَعَ اللَّهُ**

---

(1) الكشاف ج 4/443.

على قلوبهم فهم لا يعلمون﴾ [التوبة: 93].

فقد أثر السياق الكريم ـ في الموضع الأول ـ أسلوب البناء للمجهول، فحذف الفاعل وجاء فعله بصيغة المبني للمجهول فقال ـ تعالى ـ: ﴿طُبع على قلوبهم﴾.

وإذا حاولنا البحث عن السر، وجدنا (أن قوله ﴿طُبع﴾ جاء في آخر آية افتتحت بقوله: ﴿إذا أُنزِلت سورة﴾ والمعنى: وإذا أَنْزَلَ اللَّهُ سورة.

فلما صدرت الآية في فعل علم أن فاعله «الله» فيما لا يقتضي ذكر الفاعل، بل يقام المفعول به مقامه، كان مثل هذا الفعل في منتهى الآية محمولاً عليه، لأنه معلوم أن الله يطبع على قلوبهم، كما علم أن الله ينزل السورة، فكان التوفقة في ذلك بين آخر الآية وأولها، الإخبار.

والآية الأخرى وقعت هذه اللفظة فيها موضوع إشباع وتأكيد، ألا تراها في قوله ـ تعالى ـ: ﴿إنما السبيل على الذين يستأذنوك وهم أغنياء﴾.

فجاءت ﴿إنما﴾ بعد نفي مكرر في قوله ـ تعالى ـ: ﴿**ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله، ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم * ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت: لا أجد ما أحملكم عليه**﴾ [التوبة: 91 ـ 92].

فتى الحرج عمن قعد عن الجهاد لإحدى المعاذير التي ذكرها، ثم ألزم الحرج القوم الذي حالهم مضادة لأحوال أولئك، فقال ـ تعالى ـ: ﴿إنما السبيل على الذين يستأذنوك وهم أغنياء رضوا بأن يكونوا مع الخوالف﴾.

أي: الإثم يتوجه على من يستأذن في المقام وهو قادر على الجهاد بالغنى واليسار وصحة الأبدان، رضوا بأن يكونوا مع النساء والمرضى والضعفاء، والله طبع على قلوبهم فهم لا يعلمون.

فلما كان هذا الموضع موضعاً يتبين فيه مضادة حالهم لأحوال غيرهم لتخالف بين أحوالهم وأحوال من فتح في القعود لهم، كان موضع تنبيه وتأكيد وتخويف وتحذير؛ فسمي الفاعل وهو «الله» ـ تعالى ـ ليليق الفعل إذا جاء هذا المجيء بمكانه)[1].

يقول الزركشي (جاء قوله ـ تعالى ـ: ﴿وطُبِع﴾ ليناسب بالختام المطلع، بخلاف قوله فيما بعدها ﴿وطَبَعَ اللَّهُ على قلوبِهم فهم لا يعلمون﴾.

فإنه لم يقع قبلها ما يقتضي البناء، فجاءت على الأصل)[2].

فالسياق الكريم يقتضي حصر الوعي، وتركيز الانتباه في الحدث نفسه فلا يتوزع إلى غيره.

تأمل قوله ـ تعالى ـ: ﴿**والذين يؤمنون بما أُنزل إليكَ واما أُنْزِلَ من قَبْلِك**﴾ [البقرة: 4] فـ «الإنزال»: جعل الشيء نازلاً، والنزول: الانتقال من علو إلى أسفل، وهو حقيقة في انتقال الذوات من علو.

نقل الزركشي عن (الزمخشري في كشافه القديم ـ قوله: هذا أدل على كبرياء المنزل وجلالة شأنه من القراءة الشاذة ﴿أَنْزَلَ﴾ مبنياً للفاعل، كما تقول: الملك أمر بكذا، ورسم بكذا وخاصة إذا كان الفعل فعلاً لا يقدر عليه إلا الله، كقوله: ﴿وقضى الأمر﴾.

قال: كأن طي ذكر الفاعل كالواجب، لأمرين:

أحدهما: أنه تعين الفاعل وعلم أن الفعل مما لا يتولاه إلا هو وحده، كان ذكره فضلاً ولغواً.

الثاني: الإيذان بأنه منه، غير مشارك ولا مدافع عن الاستئثار والتفرد

---

(1) درة التنزيل ص 201.
(2) البرهان في علوم القرآن ج 3/145.

بإيجاده، وأيضاً فما في ذلك من مصير أن اسمه جدير بأن يصان ويرتفع به عن الابتذال والامتهان)[1].

وأنت ترى أن السياق الكريم قد اقتضى تعدية «الإنزال» ـ هنا ـ بـ «إلى» لتضمينه معنى الوصف والمُنْزَل إليه غاية للنزول.

والأكثر والأصل أنه يعدي بحرف «على» لأنه في معنى السقوط كقوله ـ تعالى ـ: ﴿**نَزَّل عليك الكتاب بالحق**﴾ [آل عمران: 3].

وإذا أريد أن الشيء استقر عند المنزل عليه وتمكن منه، قال ـ تعالى ـ: ﴿**وأنزلنا عليك المن والسلوى**﴾ [البقرة: 57].

واختيار إحدى التعديتين تفنن في الكلام)[2].

ثم تأمل السر الإعجازي في التعبير عن إنزاله بالماضي مع كون بعضه مترقباً حينئذٍ وذلك (لتغليب المحقق على المقدر، أو لتنزيل ما في شرف الوقوع، لتحققه منزلة الواقع كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿**إنا سمعنا كتاباً أُنزل من بعد موسى**﴾ [الأحقاف: 30].

مع أن الجن ما كانوا سمعوا الكتاب جميعاً إذ ذاك نازلاً)[3].

ولكي تزداد يقيناً فيما عرضنا نقرأ مزيداً من الشواهد القرآنية الكريمة.

قال ـ تعالى ـ في أول سورة المائدة: ﴿**يا أيها الذين آمنوا أُوفوا بالعقود أُحِلَّت لكم بهيمة الأنعام**﴾ [المائدة: 1].

ثم قال ـ تعالى ـ في الآية الثالثة من السورة نفسها:

﴿**حُرِّمَت عليكم الميْتَةُ والدَّمُ ولحمُ الخنزير، وما أُهِلَّ لغير الله...**﴾ [المائدة: 3].

---

(1) المصدر السابق ج 3/145.

(2) التحرير والتنوير ج 1/239.

(3) إرشاد العقل السليم ج 1/26.

وقال ـ عز وجل ـ: ﴿**يسألونَكَ ماذا أُحِلَّ لهم قل أُحِلَّ لكم الطيباتُ . .**﴾ [المائدة: 4].

﴿**اليومَ أُحِلَّ لكم الطيّباتُ وطعامُ الذين أُتوا الكتابَ حِلٌّ لكم وطعامُكم حِلٌّ لهم**﴾ [المائدة: 5].

فقد آثر النسق الكريم أسلوب المبني للمجهول.

أما في سورة «النحل» فقد آثَر مقتضى الحال وداعية المقام، والنسق اللغوي للسياق، أسلوب البناء للمعلوم، فقال ـ تعالى ـ: ﴿**فكلوا مما رزقكم الله حلالاً طيباً، واشكروا نعمة الله إن كنتم إياه تعبدون، إنما حَرَّمَ عليكم الميتةَ والدمَ ولحمَ الخنزير وما أُهل لغير الله**﴾ [النحل: 114 ـ 115].

فقد حُذِف الفاعل ـ في الآية الأُولى من سورة المائدة، فقال ـ تعالى ـ: ﴿أُحِلّت﴾، لأَنَّ مقتضى الحال وداعية المقام والنسق الفني للسياق، كلها قرائن تعلمنا أَنَّ الفاعل هو الله وحده ـ لا شريك له ـ فجاءت الأَفعال الأُخرى مبنية للمجهول ﴿حُرِّمت﴾ ﴿أُهِلَّ﴾ ﴿أُحِلَّ لهم﴾ ﴿أُحلّ لكم﴾ فـ (طابق بين أَوّل الكلام وآخره وهذا أَليق بمتجانس الكلام وارتباط بعضه ببعض)[1] وفي سورة النحل، بدأت الآية بإسناد نعمة الرزق إلى الله ﴿مما رزقكم الله﴾. إظهار للمنة، وأمر خلقه بشكر هذه النعمة العظيمة، فقال ـ عز وجل ـ: ﴿اشكروا نعمة الله﴾ فآثر إظهار لفظ الجلالة، وكان مقتضى الظاهر أن يقال: (اشكروا نعمته)، ثم ختمت الآية الكريمة بتخصيص العبادة له وحده، لا شريك له فيها، فقال ـ عز وجل ـ فتقدم الضمير المنفصل الواقع في محل نصب مفعولاً به ﴿إياه﴾ على «الفعل والفاعل» ﴿تعبدون﴾ وهكذا هيأ بناء السياق الكريم لأسلوب المبني للمعلوم.

---

(1) الكشف عن وجوه القراءات السبع ـ مكي بن أبي طالب ـ القبس ـ دمشق ـ 1974 ـ ص 145 ـ (ت 437).

ونقرأ في سورة «الإنسان» قوله ـ عز وجل ـ: ﴿**ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب كانت قواريراً * قوارير من فضة قدروها تقديراً**﴾ [الإنسان: 15 ـ 16].

إذا اختار السياق الكريم أسلوب البناء للمجهول، فتصدر التركيب الفعل ﴿يطاف﴾ وحذف الفاعل.

ثم جاء ـ في السورة نفسها ـ قوله ـ تعالى ـ: ﴿**ويطوف عليهم ولدان مخلدون إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤاً منثوراً**﴾ [الإنسان: 19] فقد أسند الفعل المعلوم ﴿يطوف﴾ للفاعل الذكور ﴿ولدان﴾.

وتفسير ذلك ـ كما قلنا ـ أن لكل نص كريم نسقه العام، ولكل سياق علاقاته اللغوية الخاصة، ولكل بنية نصية خصيصتها الفنية والجمالية.

فلقد آثر الموضوع الأول: ﴿يُطاف عليهم﴾ فعلاً مبنياً للمجهول، لم يسم فاعله لأن مقتضى الحال لا يقصد ذكر الفاعل، وإنما القصد تركيز الذهن في الحدث ذاته، وهو وصف ما يطاف به من الأواني دون وصف الطائفين.

فلما كان المعتمد بالإفادة ذاك، بني الفعل مقصوراً به ذكر المفعول لا الفاعل، فقال ـ تعالى ـ: ﴿بآنية من فضة وأكواب كانت قواريراً، قواريراً من فضة قدروها تقديراً﴾ أي: آلات من فضة صفاؤها كصفاء القوارير لا تمنع أن يرى ما وراءها، وقد قدرت على صفة فجاءت على ما قدرت وفقاً لمنية المتمني)[1].

ثم قال ـ تعالى ـ: ﴿**ويُسْقَون فيها كأساً كان مزاجها زنجبيلاً**﴾ [الإنسان: 17].

فجيء بالفعل ﴿يسقون﴾ مبنياً للمجهول ليتركز الانتباه في الحدث، وهو «السقيا»، (ووصف الإناء الذي تسبق العين إلى ما يحويه من مشروب

(1) درة التنزيل ص 510 ـ 511.

وطيبة، فلذلك لم يُسمَّ فاعله ﴿ويطاف﴾ ولأنه جاء بعد قوله: ﴿وذللت قطوفها تذليلاً﴾ فتأمل ذلك النسق العظيم، والتناغم الذي آثره السياق الكريم).

﴿وذُللت قطوفها..﴾، ﴿ويُطاف عليهم..﴾، ﴿ويُسقَون فيها..﴾.

ولو لم يحذف الفاعل لما تحقق ذلك وغيره لا نعلمه.

ويخطر في ذهني ـ في هذا المقام ـ قوله ـ تعالى ـ: **﴿يُسقون من رحيق مختوم﴾** [المطففين: 25] فقد اختار السياق الكريم حذف الفاعل، وبناء الفعل للمجهول ﴿يسقون﴾ لبيان أثر النعيم الذي يعيش فيه أهل الجنة، ولوصف الراحة والمتعة وبهجة النعيم فلا حاجة لذكر الفاعل الذي قد يشغل الذهن به، فينصرف عن الغرض المقصود من وصف الحدث نفسه ثم ألا تلاحظ في المواضع السابقة ـ التي حذف الفاعل فيها ـ دلالة الطواعية والتلقائية ولا تقتصر هذه الدلالة على مشاهد أهل الجنة، بل تشمل على وصف حال أهل النار، قال ـ تعالى ـ في سورة الغاشية: **﴿هل أَتاكَ حديث الغاشية * وجوهٌ يومئذٍ خاشعة عاملة ناصبة تُصلى ناراً حامية * تُسقى من عين آنية﴾** [الغاشية: 1 ـ 5].

فإن السقيا ـ هنا ـ من ماء شديد الحرارة **﴿كالمهل يغلي في البطون كغلي الحميم﴾** [الدخان: 46] لا يمكن أن يقدم عليه المذنبون بأنفسهم، وإنما لا بد من إرغامهم على شرب هذا «الماء الحميم» الذي يقطع الأمعاء **﴿وسقوا ماءً حميماً فقطع أمعاءهم﴾** [محمد: 15] ومعلوم أن ذلك لا يكون إلا بفعل فاعل.

لذلك (فإن حذفه أبلغ من ذكره ليترك الذهن يتخيّل هؤلاء الذين يرغمون العاصين على تجرع هذا النوع من العذاب الأليم)[1].

---

(1) لغة القرآن الكريم ص 392.

وليتركز الانتباه على تخيل حالهم وهم ﴿يسقون ماءً حميماً﴾.

ونعود فنقرأ في سورة الإنسان قوله ـ تعالى ـ: ﴿ويطوف عليهم ولدان مخلدون﴾.

فنجد أَنَّ السياق الكريم قد آثر ذكر الفاعل ﴿ولدان﴾.

لأن النسق الكريم قصد وصف الفاعلين الذين يطوفون بهذه الآنية، فوجب ذكرهم لتعلق الصفة بهم، فهم ﴿مخلدون﴾؛ أي: باقون أبداً، دائمون، لا يموتون.

وقيل: (يبقون على هيئة الوصفاء فلا يشيبون. .)[1].

ويتتابع النسق الكريم في وصفهم **﴿إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤاً منثوراً﴾** [الإنسان: 19].

وحتى لا يذهب الظن بنا إلى الاعتقاد أن هذه الظاهرة الأسلوبية القرآنية تطرد في أحداث يوم القيامة، ومشاهدها فقط.

نقرأ قوله ـ تعالى ـ في وصف سحرة فرعون لما رأوا آية موسى ـ عليه السلام ـ واستيقنتها أنفسهم بعدما سحروا أعين الناس واسترهبوهم فبادروا بالانقياد.

يقول ـ عز وجل ـ: **﴿فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون * فغُلِبوا هنالك، وانقلبوا صاغرين وأُلقي السحرة ساجدين. .﴾**.

﴿فوقع الحق﴾: أي ـ فحصل وثبت ـ القول الكريم بلغ الذروة في الحسن والإيجاز، وقد وصف بدقة بالغة وقوع عصا موسى في ساحة الصراع بعدما ملأها باطل السحرة وعطف قوله ـ عز وجل ـ: ﴿وبطل ما كانوا

(1) درة التنزيل ص 511.

يعملون﴾ توكيداً لمعنى الجملة السابقة.

ثم حذف الفاعل من قوله ـ تعالى ـ: ﴿فغلبوا هنالك﴾ لأن الغرض تركيز الذهن على هزيمة السحرة الذين أبطل سحرهم فغلبوا، وتبرز دلالة التلقائية لتكشف لنا عن نكتة بلاغية هي، أن الغالب في الحقيقة ليس موسى ـ عليه السلام ـ وإنما قوة خفية أيدت موسى وجعلت عصاه حية تسعى، ألقاها، فإذا هي تلقف ما يأفكون، ولو جاء السياق: (فغلبهم موسى)، (لكان نصاً على غلبة موسى ـ عليه السلام ـ وأن له في ذلك فعلاً غلب به، وليس كذلك.

فإن سيدنا موسى أوجس في نفسه خيفة لما رأى حبالهم وعصيهم وخيل إليه من سحرهم أنها تسعى)[1].

ومن التراكيب المبينة للمجهول التي شاع مجيئها في السياق القرآني، قوله ـ تعالى ـ: ﴿قُضِي الأمر﴾، فجرى مجرى المثل.

قال ـ عز وجل ـ في سورة الأنعام: **﴿قل لو أنَّ عندي ما تستعجلون به لقُضِي الأمر بيني وبينكم﴾** [الأنعام: 8].

فإن قوله ـ تعالى ـ: ﴿لقضي الأمر بيني وبينكم﴾ جواب «لو».

ومعنى ﴿قضي﴾: تَمَّ وانتهى.

قال الشيخ الطاهر بن عاشور[2] (الأمر: مراد به النزاع والخلاف، فالتعريف فيه للعهد. وبني «قُضِي» للمجهول لظهور أن قاضيه هو من بيده ما يستعجلون به.

وتركيب «قضي الأمر»: شاع فجرى مجرى المثل، فحذف الفاعل

(1) خصائص التراكيب ص 132.

(2) التحرير والتنوير ج 1/269.

ليصلح التمثل به في كل مقام.

ولذلك إذا جاء في غير طريقة المثل يصرح بفاعله، كقوله ـ تعالى ـ: ﴿وقضينا إليه ذلك الأمر﴾ [الحجر: 66].

وذكر الزركشي أن من أغراض حذف الفاعل في التركيب السابق تعظيماً له إذا كان الذي قضاه عظيم القدرة.

ومثله قوله ـ تعالى ـ: ﴿ولولا كلمة الفصلِ لقُضِي بينهم﴾ [الشورى: 21].

﴿وأنذرهم يوم الحسرة إذ قُضِي الأمر﴾ [مريم: 39].

وقال ـ عز وجل ـ: ﴿وقال الشيطانُ لما قُضِي الأمر﴾ [إبراهيم: 22].

ومعنى (قضي الأمر ـ هنا ـ تم الشأن، أي: إذن الله وحكمه ومعنى إتمامه: ظهور أمره ـ تعالى ـ بتمييز أهل الضلالة وأهل الهداية)[1].

ونجد من المفيد أن نقول ـ هنا ـ:

إنَّ هذا التركيب ـ وغيره ـ له خصيصته الفنية، ودلالته الخاصة، مما يقتضيه الحال وداعية المقام، فالسياق الكريم ـ وإن شاع[2] هنا وجرى مجرى المثل ـ أرحب من تحديده بأغراض محددة، وحصره بدلالات مسبقة، نزعم فيها أن الحذف ـ هنا ـ لكذا، والحذف هنا لذاك.

فإن (هناك أغراضاً كثيرة أعمق وأدق من تلك التي حصرها البلاغيون، وعلينا أن نستشف العطاء الفني العظيم من داخل العمل نفسه، ومن بنيته

---

(1) البرهان في علوم القرآن ج 3/144.

(2) ورد قوله ـ تعالى ـ: ﴿قضي الأمر﴾ في تسعة عشر موضعاً من القرآن الكريم ـ ينظر/ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ـ وضعه/ محمد فؤاد عبد الباقي ـ مادة: قضي.

الخاصة به)[1].

تأمل قوله ـ تعالى ـ: **﴿وقِيل يا أَرضُ ٱبلعي ماءَكِ، ويا سماءُ أَقلعي، وغيض الماءُ، وقضِي الأمرُ واستوت على الجودي وقِيل بعداً للقوم الظالمين﴾** [هود: 44].

فقد افتتحت الآية الكريمة بصيغة المبني للمجهول ﴿قيل﴾، فحذف الفاعل وآثر النسق تتابع هذه الصيغة، فقال ـ عز وجل ـ: ﴿وغيض الماء﴾ و ﴿قضي الأمر﴾.

واختتمت الآية بالصيغة نفسها، فقال ـ تعالى ـ: ﴿وقيل بعداً﴾.

وحذف الفاعل في كل مواضع السياق، وفي ذلك أكثر من نكتة بلاغية وأسلوبية، فقد ذكر أهل التفسير أنَّ (في بناء الفعل ﴿قيل﴾ للمفعول ـ هنا ـ اختصاراً لظهور فاعل القول لأن مثله لا يصدر إلا من الله، والقول ـ هنا ـ أمر التكوين.

و ﴿غيضَ الماء﴾، يُغني عن التعرض إلى كون السماء أقلعت والأرض بلعت.

وبني الفعل ﴿غيض﴾ للنائب، لمثل ما بني فعل ﴿قيل﴾ باعتبار سبب الغيض.

أو: لأنه لا فاعل له حقيقة لأن حصوله حصول مسبب عن سبب، و «الغيض» نضوبه في الأرض، وقضاء الأمر: إتمامه.

وبناء الفعل للنائب للعلم بأن فاعله ليس غير الله ـ تعالى ـ.

و ﴿بعداً﴾ مصدر «بعد»: منصوب على المفعولية المطلقة، وهو نائب عن الفعل، كما هو الاستعمال في مقام الدعاء، ونحوه كالمدح والذم مثل: تباً له، سحقاً، وسقياً، ورعياً و «البعد» كناية عن التحقير يلازم كراهية الشيء.

---

(1) فلسفة البلاغة ص 81.

والقائل ﴿بعداً﴾: قد يكون من قول الله جرياً على طريقة قوله ـ تعالى ـ: ﴿وقيل يا أرض. . .﴾ ويجوز أن يقوله المؤمنون تحقيراً للكفار وتشفياً منهم واستراحة فبني الفعل ﴿قيل﴾ لعدم الحاجة إلى معرفة قائله. . .)[1].

وتوقف البلاغيون ـ وفي مقدمتهم عبد القاهر الجرجاني ـ عند هذا النص الكريم لبيان أثر النظم في إبراز القيمة الفنية للفظة يقول الجرجاني:

(وهل تشك إذا فكرت في قوله ـ تعالى ـ: **﴿وقيل: يا رض ٱبلَعي ماءَك، ويا سماءُ أَقلعي، وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجودي، وقيل: بعداً للقوم الظالمين﴾** [هود: 44].

فتجلى لك منها الإعجاز وبهرك الذي ترى وتسمع أنك لم تجد ما وجدت من المزية الظاهرة، والفضيلة القاهرة إلا لأمر يرجع إلى ارتباط هذه الكلم بعضها ببعض وإن لم يعرض لها الحسن والشرف إلا من حيث لاقت الأولى بالثانية والثالثة بالرابعة وهكذا إلى أن تستقر بها إلى آخرها، وأن الفضل تناتج ما بينها وحصل من مجموعها)[2].

فالجرجاني يذهب إلى أَنَّ لا مزية فنية ولا فضيلة بلاغية أَوْ جَمالية إلا في (ارتباط هذا الكلم بعضها ببعض) ـ والسياق الكريم يهيء الأذهان للعدول من أول الآية ـ و (إن شككت فتأمل! هل ترى لفظة منها بحيث لو أخذت من بين أخواتها وأفردت، لأدت من الفصاحة ما تؤديه وهي في مكانها من الآية؟.

قل: ﴿ابلعي﴾: واعتبرها وحدها من غير أن تنظر إلى ما قبلها وإلى ما بعدها، وكذلك فاعتبر سائر ما يليها.

---

(1) التحرير والتنوير ج 7/269.
(2) دلائل الإعجاز ص 91.

وكيف بالشك في ذلك ومعلوم أن مبدأ العظمة في أن نوديت الأرض، ثم أُمرت، ثم في أن كان النداء بـ «يا» دون «أي» نحو: (يا أَيَّتُها الأرضُ) ثم إضافة الماء إلى الكاف دون أن يقال: (أبلعي الماء) ثم أن اتُبع نداء الأرض وأمرها بما هو من شأنها، ونداء السماء وأمرها كذلك بما يخصها ثم أن قبل ﴿وغيض الماء﴾: فجعل الفعل على صيغة «فُعِل» الدالة على أنه لم يغض إلا بأمر آمر وقدرة قادر، ثم تأكيد ذلك وتقريره بقوله ـ تعالى ـ: ﴿وقُضِي الأمر﴾ ثم ذكر ما هو فائدة هذه الأمور، وهو ﴿استوت على الجودي﴾.

ثم إضمار «السفينة» قبل الذكر، كما هو شرط الفخامة والدلالة على عظم الشأن، مقابلة «قبل» في الخاتمة لـ ﴿قيل﴾ في الفاتحة.

أفترى لشيء من هذه الخصائص التي تملؤك بالإعجاز روعة، وتحضرك عند تصورها هيبة تحيط بالنفس من أقطارها تعلقاً باللفظ من حيث هو صوت مسموع، وحروف تتوالى في النطق؟ أم كل ذلك لما بين معاني الألفاظ من الاتساق العجيب؟)[1].

وذكر الزمخشري (أن مجيء إخباره على المبني للمفعول، للدلالة على الجلال والكبرياء وأن تلك الأمور العظام لا تكون إلا بفعل فاعل قادر وتكوين مكون قاهر وأن فاعلها فاعل واحد لا يشارك في أفعاله، فلا يذهب الوهم إلى أَن يقول غيره:

﴿يا أَرضُ أبلعي ماءَكِ ويا سَماءُ أَقلعي﴾، ولا أن يقضي ذلك الأمر الهائل غيره، ولا أن تستوي السفينة على متن الجودي وتستقر عليه إلا بتسويته وإقراره ولما ذكرنا من المعاني والنكت استفصح علماء البيان هذه الآية ورقصوا لها رؤوسهم)[2].

---

(1) دلائل الإعجاز ص 91 ـ 92.

(2) الكشاف ج 2/272.

وما ذكره الزمخشري قريب مما أَشار إليه الجرجاني.

وأَجدُ من المفيد أن أنبه ـ هنا ـ إلى أن نسج النسق اللغوي للنص الكريم يكشف ـ أيضاً ـ عن لمحات أخرى مضيئة تضمنتها البنية النصية.

فهذه الآية الكريمة تلت حوار سيدنا «نوح» ـ عليه السلام ـ مع ابنه العاصي: **﴿ونادى نوح ابنه، وكان في معزل، يا بني: اركب معنا ولا تكن مع الكافرين ۞ قال: سآوي إلى جبل يعصمني من الماء، قال: لا عاصم اليوم من أَمر الله إلا من رحم﴾** [هود: 42 ـ 43].

ـ وانقطع الحوار ـ **﴿وحال بينهما الموج فكان من المغرقين﴾** [هود: 43].

فكأن النسق الكريم يستجيب لهذه التطورات المفاجئة فيُؤْثِر حذفَ الفاعل «ومجيء أخباره على الفعل المبني للمفعول».

للإشارة إلى الطواعية والتلقائية والإجابة السريعة بـ (ما أن أمرت الأرض بأن تبلع والسماء بأن تقلع، إلا وقد غيض الماء وكأن قوة هائلة عجيبة اختطفته وابتلعته فذهب معها في المجهول)[1].

وتتفنن أساليب التعبير القرآني، فقد تتصدر البنيةَ النصيةَ أفعالٌ ساغ بناؤها ـ بصيغة الماضي ـ للمجهول، لتتفرد بخصيصة فنية، وفضيلة بلاغية.

ومنها قوله ـ عز وجل ـ: **﴿وإذا صرفت أبصارهم﴾** [الأعراف: 47].

فـ (الصرف): أمر الحال بمغادرة المكان، و (الصرف): ـ هنا ـ مجاز في الالتفات أو استعارة و (إسناده إلى المجهول ـ هنا ـ جار على المتعارف في أمثاله من الأفعال التي لا يتطلب لها فاعل، ولهذا الإسناد فائدة، وهي الإشارة إلى أنهم لا ينظرون إلى أهل النار إلا نظراً شبيهاً بفعل من يحمله على الفاعل حامل.

---

(1) خصائص التراكيب ص 131.

وذلك أن النفس وإن كانت تكره المناظرة السيئة فإن حب الاطلاع يحملها على أَنْ توجه النظر إليها آونة لتحصيل ما هو مجهول لديها)[1].

وتأمل قوله ـ تعالى ـ: ﴿ولما سقط في أيديهم﴾ [الأعراف: 149].

فقد تصدر هذه البنيةَ النصيةَ فعلٌ مبني للمجهول ﴿سقط﴾ فحذف الفاعل، وأسند الفعل لغير فاعله ﴿في أيديهم﴾، وقد أجرى النسق القرآني هذه البنية، مجرى المثل فإنه (نظم لم يسمع قبل القرآن ولم تعرفه العرب، أما قول ابن السراج: «قول العرب: سقط في يده»، فلعله يريد العرب الذين بعد القرآن)[2].

ونظمت على إيجاز بديع، وكناية، واستعارة.

فإن «اليد»؛ تستعار للقوة والنصرة، إذ بها يضرب بالسيف والرمح، ولذلك حين يدعون على أنفسهم بالسوء يقولون: شُلَّت من يدي الأنامل، وهي آلة القدرة ويقال: (مالي بذلك يدٌ)، أو: (مالي بذلك يدان)، أي: لا أستطيعه.

ولما كان ذكر فاعل السقوط المجهول لا يزيد على كونه مشتقاً من فعله، ساغ أن يبني فعله للمجهول.

فمعنى («سقط في يده»): سقط في يده ساقط فأبطل حركة يده، إذ المقصود أن حركة يده تعطلت بسبب غير معلوم إلا أنه شيء دخل في يده فصيرها عاجزة عن العمل، وذلك كناية عن كونه قد فاجأه ما أوجب حيرته في أمره، كما يقال: فُتَّ في ساعده.

---

(1) التحرير والتنوير ج 8/144.

(2) المصدر السابق ج 9/113.

وقد استعمل في الآية في معنى الندم وتبين الخطأ لهم، فهو تمثيل لحالهم بحال من سقط في يده حين العمل، فالمعنى: أنهم تبين لهم خطؤهم، وسوء معاملتهم ربهم ونبيهم، فالندامة في معنى التركيب كله)[1].

ومثله قوله ـ تعالى ـ: ﴿**وأُحضرت الأنفسُ الشح**﴾ [النساء: 128].

أي: جعلت حاضرة له مطبوعة عليه، لا تنفك عنده أبداً.

و (ملازمة الشح للنفوس البشرية حتى كأنه حاضر لديها، ولكونه من أفعال الجبلّة بني فعله للمجهول على طريقة العرب في بناء كل فعل غير معلوم الفاعل للمجهول، كقولهم: (شُغِف بفلانة، واضطر إلى كذا)[2].

قال ـ تعالى ـ: ﴿**فمن أُضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه**﴾ [البقرة: 173]. .

والمضطر، هو الذي ألجأته الضرورة، بأي: الحاجة، والاضطرار: ـ في الأصل ـ الالتجاء أي: اضطر إلى شيء من هذه المحرمات، فلا إثم عليه.

ومثله قوله ـ تعالى ـ: ﴿**فمن اضطر في مخمصة**﴾ [المائدة: 3].

بمعنى: الوقوع في الضرورة، أي: (فمن اضطر إلى الميْتة أو إلى غيرها «في مخمصة»: في مجاعة)[3]. فالفعل ﴿اضطر﴾ غلب عليه البناء للمجهول في القرآن الكريم[4].

أما قوله ـ تعالى ـ: ﴿**ثم أَضْطرُّه إلى عذاب النار وبئس المصير**﴾ [البقرة: 126]. فقد عدل عن البناء للمجهول.

---

(1) المصدر السابق ج 9/113.
(2) المصدر نفسه ج 4/138.
(3) الكشاف ج 1/594.
(4) ورد الفعل «اضطر» في خمسة مواضع مبنيّاً للمجهول، ولم يرد مبنيّاً للمعلوم إلاّ في موضعين فقط.

و (هو بوزن «افتعل» مطاوع «أضره»، إذا صيره ذا ضرورة، أي: حاجة فاوصل أن يكون ﴿اضطر﴾ قاصراً عن التعدية، لأن أصل المطاوعة عدم التعدي ولكن الاستعمال جاء على تعديته إلى مفعول، وهو استعمال فصيح غير جار على قياس، يقال: اضطره إلى كذا: ألجأه إليه)[1].

ونظير هذه الآية قوله ـ تعالى ـ: ﴿**نمتعهم قليلاً ثم نضطره إلى عذاب غليظ**﴾ [لقمان: 24].

ومثله قوله ـ عز وجل ـ: ﴿**إذ قال إبراهيم: ربي الذي يحيي ويميت قال: أنا أُحيي وأُميت**﴾ [البقرة: 258].

و (لكن إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ لما سمع جوابه الأحمق لم يحاجه فيه، ولكن انتقل إلى ما لا يقدر فيه على نحو ذلك ليبهته أول شيء)[2].

و ﴿**قال إبراهيم: فإنَّ الله يأتي بالشمسِ من المشرقِ فَأْتِ بها من المغرب فبُهِتَ الذي كفر**﴾ [البقرة: 258].

أي: عجز ولم يجد معارضة.

وساغ مجيئه ـ هنا ـ مبنياً للمجهول، لبيان سرعة وقوع الحدث، وتركيز الذهن على ما حصل؛ يقال: بَهَته فَبَهت، بمعنى: أعجزه عن الجواب، فعجز أو فاجأه بما لم يعرف دفعه، قال ـ تعالى ـ: ﴿**بل تأتيهم بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون ردها**﴾ [الأنبياء: 40].

ومنه (البهتان)، وهو الكذب الفظيع الذي يبهت سامعه.

وقد يقتضي المقام حذف الفاعل لخفائه عن إدراك المخاطبين أو لعدم إحاطتهم إياه فيؤثر السياق البنية النصيّة لأسلوب المبني للمجهول.

---

(1) التحرير والتنوير ج 1/17.

(2) الكشاف ج 1/388.

ومن ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿زُيِّن للذين كفروا الحياة الدنيا﴾ [البقرة: 212]. .

فـ(التزيين): تصير الشيء زينا، أي: حسناً، فهو تحسين الشيء المحتاج إلى التحسين وإزالة ما يعتريه من القبح أو التشويه، فالزينة: هي ما في الشيء من المحاسن التي ترغب الناظرين في اقتنائه.

فقد حذف فاعل التزيين لأن المزين لهم أمور كثيرة منها: (خلق بعض الأشياء حسنة بديعة كمحاسن الذوات والمناظر، ومنها إلقاء حسن بعض الأشياء في نفوسهم وهي غير حسنة كقتل النفس ومنها إعراضهم عمن يدعوهم إلى الإقبال على الأمور النافعة حتى انحصرت هممهم في التوغل من المحاسن الظاهرة التي تحتها العار.

ومنها ارتباطهم على الانكباب على اللذات دون التفكير في العقاب، وإلى غير ذلك من أمور يصلح كل منها أن يعد فاعلاً للتزيين حقيقة أو عرفاً؛ فلأجل ذلك طوى ذكر هذا الفاعل تجنباً للإطالة.

ويجوز أن يكون حذف الفاعل لدقته، إذا المزين لهم في الدنيا أمر خفي، فيحتاج تفصيله إلى شرح في أخلاقهم وهو ما اكتسبته نفوسهم من التعلق بالذات وبغيرها)[1].

وقد حققت هذه البنية النصية ـ كما ترى ـ دلالة ذمّهم والتحذير من خلقهم ولهذا لزم حمل التزيين على تزيين يعد ذماً.

ومثله قوله ـ تعالى ـ: ﴿زُيِّن للناسِ حبُّ الشهوات﴾ [آل عمران: 14].

فقد حذف فاعل «التزيين»؛ لخفائه عن إدراك عموم المخاطبين، (لأن ما يدل على الغرائز والسجايا لما جهل فاعله في متعارف العموم، كأن الشأن

---

(1) التحرير والتنوير ج 2/245.

إسناد أفعاله للمجهول كقولهم: عُنِي بكذا.

ولا سيما إذا كان المراد الكناية عن لازم التزيين، وهو: الإغضاء عما في المزين من المساوىء، لأن الفاعل لم يبق مقصوداً بحال)[1].

بل الوجه من هذه البنية النصية، هو وقوع التزيين لا معرفة من أوقعه لذلك حذف الفاعل من قوله ـ تعالى ـ: **﴿كذلك زُيِّن للكافرين ما كانوا يعملون﴾** [الأنعام: 122].

فالمزيِّن ـ وهو الفاعل المحذوف ـ شياطينهم.

و (الشياطين من الإنس هم المباشرون للتزيين، وشياطين الجن؛ هم المُسوّلون المزيِّنون)[2].

وقد صرح به السياق الكريم في مواضع عدة في القرآن الكريم:

﴿وزَيَّن لهم الشَّيطانُ ما كانوا يعملون﴾ [الأنعام: 43].

﴿وإذ زَيَّنَ لهم الشَّيطانُ أعمالهم﴾ [الأنفال: 48].

﴿فزيَّن لهم الشَّيطانُ أعمالهم﴾ [النحل: 63].

﴿وزيَّن لهم الشَّيطانُ أعمالَهم﴾ [النمل: 24]، [العنكبوت: 38].

وإذا اقتضى المقام دلالة السياق على إظهار نعمة الله وقدرته التي لا يقدر عليها إلا هو آثرت بنيته النصية إظهار الفاعل بـ «نون» العظمة ـ «نا» الدالة على التعظيم، وإبراز مزيد العناية بالأمر.

نحو قوله ـ تعالى ـ: **﴿كذلك زَيَّنا لكل أُمةٍ عملهم﴾** [الأنعام: 108].

فالتزيين ـ كما قلنا ـ (تفعيل) من الزَّين، وهو الحُسن، أو من الزينة،

---

(1) التحرير والتنوير ج 3/181.

(2) المصدر السابق ج 13/154.

وهو ما يتحسن به الشيء، أي: جعل الشيء ذا زينة، أو: إظهاره زيناً أو نسبته إلى الزَّين.

وهو ـ هنا ـ بمعنى «إظهاره في صورة الزين، وإن لم يكن كذلك».

وفي قوله ـ تعالى ـ: ﴿**ولكنَّ اللَّهَ حبب إليكم الإيمان وزيّنه في قلوبهم**﴾ [الحجرات: 6].

بمعنى: جعله زيناً: أي: رسخ حبه فيها.

ومثله قوله ـ تعالى ـ: ﴿**وزيَّنا السماءَ الدنيا بمصابيحَ**﴾ [فصلت: 12].

أي: ﴿بمصابيح﴾ من الكواكب، فإنها كلها ترى متلألئة، وقال ـ تعالى ـ: ﴿**ولقد جعلنا في السماء بروجاً وزيناها للناظرين**﴾ [الحجر: 16]..

﴿**أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها**﴾ [ق: 6].

بما فيها من الكواكب المرتبة على نظام بديع، فكأن عظمة التزيين وروعتها ألزمت إظهار الفاعل بـ «نون» العظمة.

وتأمل قوله ـ تعالى ـ: ﴿**إنَّ ما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين**﴾ [الأنعام: 124].

فإن من بديع الفصاحة اختيار بناء ﴿توعدون﴾ للمجهول. لأن إيثاره بهذه الصيغة يصلح أن يكون الفعل المضارع لـ «وعد» «يعد» أو مضارع «أوعد، يوعد»، والمتبادر هو الأول، ليفيد دلالة السياق على حال المؤمنين والمشركين.

ولو بني فيه أحد الأمرين بأن يقال: إن ما نعدكم، أو إن ما نوعدكم لقصر القصد على إحدى الدلالتين؛ «الوعد، أو: الوعيد».

و (هذا من بديع التوجيه المقصود فيه أن يأخذ منه كل فريق من

السامعين ما يليق بحاله، ومعلوم أن وعيد المشركين يستلزم وعداً للمؤمنين.

والمقصود الأهم هو وعيد المشركين. فلذلك عقد الكلام بقوله: ﴿وما أنتم بمعجزين﴾ فذلك كالترشيح لأحد المحتملين من الكلام الموجه)[1].

ومن فنون بلاغة التعبير القرآني أن يؤثر السياق الكريم أُسلوب البناء للمجهول لإفادة غرض الدعاء باللعنة والسخط على الكافرين والمنافقين ومن نهج نهجهم وقد كثر تصدر الفعل ـ المبني للمجهول ـ ﴿قتل﴾ تلك السياقات.

فقال ـ تعالى ـ: ﴿**قتل الخراصون**﴾ [الذاريات: 10].

قال الفراء (أي: لُعِن الكذابون الذين قالوا: محمد ﷺ مجنون، شاعـر، ساحر، فقد خرصوا ما لا علم لهم به)[2].

وذكر الزمخشري[3] ـ وتابعهم آخرون[4] ـ أن قوله ـ تعالى ـ: ﴿قُتِل الخراصون﴾؛ (دعا عليهم، وأصله الدعاء بالقتل والهلاك، ثم جرى مجرى «لُعِن»، و «قُبح»).

و ﴿الخراصون﴾: الكذابون المقدرون ما لا صحة له، وهم أصحاب القول المختلف.

فالله ـ سبحانه وتعالى ـ يدعو عليهم بالقتل، ودعوا الله بالقتل قضاء بالقتل.

وقد (قرىء: قَتَل الخراصين، أي: قَتَل اللَّهُ الخَرَّاصين).

ومثل قوله ـ تعالى ـ: ﴿**قُتِلَ أَصحابُ الأُخدود**﴾ [البروج: 4].

فقد تصدرت السياق صيغة الماضي المبني للمجهول ﴿قُتِل﴾، فحُذِف

---

(1) التحرير والتنوير ج 8/88.
(2) معاني القرآن ج 3/83.
(3) الكشاف ج 4/15.
(4) تفسير أبي السعود ج 5/101.

الفاعل ليفيد غرض (الدعاء بالقتل، وهو الموت بفعل فاعل.

والعرب يستعملونه في معنى التعجب من أمر منكر، وفي معنى إظهار الغضب كما يستعملون «ويله» و «تربت يمينه» و «ثكلته أُمه»)[1].

فكأنَّ تصدرَ صيغة الماضي المبني للمجهول ﴿قُتِلَ﴾ يفيد دلالة السياق على أكثر من غرض منها؛ الدعاء عليهم بالقتل والهلاك، وهذا من أشنع الدعوات، لأن القتل قصارى شدائد الدنيا وفظائعها و ـ أيضاً ـ إظهار التعجب من فعلتهم.

وخصائص أخرى يتفرد بها كل سياق.

تأمل قوله ـ تعالى ـ: ﴿إنه فَكَّر وقَدَّر * فقُتِل كيف قَدَّر * ثم قُتِل كيف قدّر﴾ [المدثر: 19].

يقول الفراء «قُتِل»: (أي: لُعِن)[2].

وذكر الزمخشري (أنه تعجيب من تقديره وإصابته فيه المحز، ورميه الغرض الذي كان تنتحيه قريش.

أو: ثناء عليه على طريقة الاستهزاء به.

أو: هي حكاية لما كرروه من قولهم: ﴿قُتِل كيف قَدَّر﴾ تهكماً بهم وبإعجابهم بتقديره واستعظامهم لقوله.

ومعنى قول القائل: (قَتَله اللَّهُ ما أَشْجَعَه) و (أَخزاه الله ما أَشعره).

الإشعار بأنه قد بلغ المبلغ الذي هو حقيق بأن يحسد ويدعوا حاسده عليه بذلك)[3].

---

(1) التحرير والتنوير ص 172.

(2) معاني القرآن ج 3/202.

(3) الكشاف ج 4/183.

وقال القرطبي (كان بعض أهل التأويل يقول: معنى (فقتل): فقهر وغلب)[1].

ونأمل ـ أيضاً ـ قوله ـ عز وجل ـ: ﴿قُتِلَ الإنسانُ ما أكفره * مِن أيِّ شيء خلقه﴾ [عبس: 17 ـ 18].

فإن في قوله ـ تعالى ـ: ﴿قُتِلَ﴾ دعاء عليه بأشنع الدعوات.

وقد بني الفعل ﴿قُتِلَ﴾ للمجهول، فحُذِف فاعله وأُسنِد إلى المفعول «الإنسان» و (ما كان في القرآن ﴿قتل الإنسان﴾ فإنما عني الكافر)[2].

و ﴿ما أكفره﴾: تعجب من إفراطه في كفران نعمة الله، أي: ما أشد كفره وجحوده ونكرانه لمقضيات نشأته وخلقته.

يقول الزمخشري في بيان بعض فضائل هذا الأسلوب (ولا ترى أسلوباً أغلظ منه ولا أخشن مساً ولا أدل على سخط ولا أبعد شوطاً في المذمة مع تقارب طرفيه ولا أجمع للأئمة على قصر متنه)[3].

فتأمل كيف حققت هذه البنية النصية، أكثر من دلالة.

منها دلالة التفظيع والتقبيح والتشنيع لأمره، وأفاد أنه يرتكب ما يستوجب القتل بشناعته وبشاعته.

وقد يختار النسق الكريم التعبير عن الدعاء أسلوب المبني للمعلوم ـ وهو قليل ـ فيصرح بالفاعل نحو قوله ـ تعالى ـ: ﴿قَاتَلَهُم اللَّهُ﴾ [التوبة: 30].

أي: لعنوا.

---

(1) أحكام القرآن ج 19/73.
(2) هذا القول نقله (القرطبي) عن (مجاهد) ـ رضي الله عنه ـ ينظر/ الجامع لأحكام القرآن ج 19/215.
(3) الكشاف ج 4/219.

ومن الأفعال التي آثرها السياق الكريم للتعبير عن الدعاء على «اليهود» غلت» و «لعنوا».

فقال ـ تعالى ـ: **﴿قالت اليهودُ يَدْ اللَّهِ مغلولة، غُلَّت أيديهم ولُعِنوا بما قالوا﴾** [المائدة: 64].

ففي قوله ـ تعالى ـ: ﴿غُلَّت أيديهم﴾ دعاء عليهم (بالبخل والنكد ومن ثم كانوا أبخل خلق الله وأنكده.

ويجوز أن يكون دعاء عليهم بغل الأيدي حقيقة يغللون في أساري، وفي الآخرة معذبين بأغلال جهنم، والطباق من حيث اللفظ، وملاحظة أصل المجاز كما تقول: (سبني سب الله دابره) أي: قطعه لأن السب أصله القطع)[1].

وذهب ابن منير الإسكندري إلى (أن الله يدعو عليهم بالبخل، ودعاؤه عبارة عن خلقه الشح في قلوبهم والقبض في أيديهم، فهو الداعي والخالق، لا خالق إلا هو يخلق لهم البخل ويتقدس عنه)[2] وتكرر الدعاء عليهم باللعنة فقال ـ عز وجل ـ: ﴿ولعنوا بما قالوا﴾.

وقال ـ عز وجل ـ: **﴿تبت يدا أبي لهب وتب﴾** [المسد: 1].

قال المفسرون: (﴿تبت﴾ أي: هلكت ﴿يدا أبي لهب﴾: هو عبد العزي بن عبد المطلب.

وإيثار التباب على الهلاك، وإسناده إلى يديه لما روى أنه لما نزل ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ [الشعراء: 214].

رقى رسول الله ﷺ الصفا وجمع أقاربه فأنذرهم فقال أبو لهب: (تباً لك ألهذا دعوتنا) وأخذ حجراً ليرميه ـ عليه السلام ـ به.

---

(1) الكشاف ج 1/628.
(2) هامش الكشاف ج 1/628.

﴿وتب﴾ أي: هلك كله، وقيل المراد بالأول هلاك جملته كقوله ـ تعالى ـ: ﴿ولا تلقوا بأيديكم أي التهلكة﴾ ومعنى ﴿وتب﴾: وكان ذلك وحصل، يؤيده قراءة من قرأ (وقد تب).

وقيل: الأول إخبار عن هلاك عمله، لأن الأعمال تزاول غالباً بالأيدي.

والثاني: إخبار عن هلاك نفسه، وقيل: كلاهما دعاء عليه بالهلاك، وقيل: الأول: دعاء عليه بالهلاك وذكر كنيته للتعريض)[1].

ولا يقتصر أسلوب البناء للمجهول على بناء الفعل الماضي، والفعل المضارع للمجهول، وإسناد الفعل لغير فاعله، بل يشمل هذا الأسلوب التركيب المؤلف من (صيغة المفعول) وما ناب عن الفاعل، ومن ذلك قوله ـ تعالى ـ: **﴿صِراط الذين أَنعمتَ عليهم غير المغضوبِ عليهم﴾** [الفاتحة: 7].

أشار ابن الأثير في «باب الالتفات» من مؤلَّفِه «المثل السائر».

إلى بعض الأسرار البلاغية التي حققها عدول السياق القرآني إلى أسلوب البناء للمجهول.

قال ابن الأثير: (جاء آخر سورة «الفاتحة» قوله ـ تعالى ـ: ﴿صراط الذين أنعمت عليهم﴾ فأصرح الخطاب لما ذكر النعمة، ثم قال ـ عز وجل ـ: ﴿غير المغضوب عليهم﴾ عطفاً على الأول.

لأن الأول موضع التقرب من الله بذكر نعمه، فلما صار إلى ذكر الغضب جاء باللفظ منحرفاً عن ذكر الغاضب، فأسند النعمة إليه لفظاً وروى عنه لفظ الغضب تحنناً وتلطفاً)[2].

وفصل ابن القيم القول في سر بناء قوله ـ عز وجل ـ: ﴿أنعمت

---

(1) تفسير أبـي السعود ج 5/290.
(2) المثل السائر ج 2/6.

عليهم﴾، للمعلوم، وإسناد الفعل إلى الفاعل، وبناء قوله ـ عز وجل ـ: ﴿المغضوب عليهم﴾، فقال:

(فيه فوائد عديدة: ـ منها ـ

أحدها: أن هذا جاء على الطريقة المعهودة في القرآن، وهي أن أفعال الإحسان والرحمة والجود، تضاف إلى الله ـ سبحانه وتعالى ـ فيذكر فاعلها منسوبة إليه، ولا يبني الفعل معها للمفعول.

فإذا جيء بأفعال العدل والجزاء والعقوبة، حذف الفاعل وبني الفعل معها للمفعول أدباً في الخطاب وإضافته إلى الله أشرف قسمي أفعاله، فمنه هذه الآية، فإنه ذكر النعمة فأضافها إليه ولم يحذف فاعلها، ولما ذكر الغضب حذف الفاعل وبني الفعل للمفعول، فقال: ﴿المغضوب عليهم﴾)(1).

ومنه قوله ـ تعالى ـ «حكاية عن مؤمني الجن»: **﴿وإنَّا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم رشداً﴾** [الجِنّ: 10].

فنسبوا إرادة الرشد إلى الرب، وحذفوا فاعل إرادة الشر وبنوا الفعل للمفعول...

ومثله في لطف النسق ودقَّة المعنى قوله ـ تعالى ـ: ﴿حُرِّمت عليكم أُمهاتكم وبناتكم وأخواتكم﴾ إلى آخرها. ثم قال: ﴿وأحل لكم ما وراء ذلكم﴾.

وتأمل قوله: **﴿فبِظلم من الذين هادوا حَرَّمنا عليهم طيبات أحلت لهم﴾** [النساء: 160].

كيف صرح بفاعل التحريم في هذا الموضع، وقال في حق المؤمنين ﴿حرمت عليكم الميتة والدم﴾.

---

(1) بدائع الفوائد ج 2/18 ـ 19.

وعرض في (التفسير القيم) فوائد أخرى، منها:

أن في حذف فاعل الغضب من الإشعار بإهانة المغضوب عليه وتحقيره وتصغير شأنه ما ليس في ذكر فاعل النعمة من إكرام المنعم عليه، والإشارة بذكره، ورفع قدره.

فقد التمس ابن القيم إشارات لطيفة لإثبات الفاعل وحذفه في قوله ـ تعالى ـ: ﴿صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم﴾، فقد (أضيفت النعمة إلى الله ـ تعالى ـ إذ هي فضل ورحمة وصفة كمال وجمال، فأولى أن تنسب إليه سبحانه، وحذف في مقابل ذلك الفاعل في ﴿المغضوب عليهم﴾ حيث بني الفعل للمجهول، لأن صفة الغضب بعيدة عن الكمال والجمال، فلم تضف إليه ـ تعالى ـ وإسناد أكمل الأمرين إلى الله ـ تعالى ـ هي طريقة القرآن الكريم)[1].

(1) تفسير القيم ص12 ـ ينظر ـ أيضاً / ابن القيم وحسه البلاغي في تفسيره القرآن ص96.

المصـادر والمراجـع

القـرآن الكريـم:

1 ـ إتحاف الفاضل بالفعل المبني لغير الفاعل ـ محمد علي بن علان الصديق ـ دمشق ـ مطبعة الترقي ـ 1343هـ.

2 ـ إملاء ما مَنَّ به الرحمن ـ أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري ـ القاهرة ـ مكتبة مصطفى الحلبـي ـ 1961م.

3 ـ البحر المحيط ـ أَثير الدين أبو حيّان الغرناطي ـ مطبعة السعادة ـ مصر ـ 1329هـ.

4 ـ بدائع الفوائد ـ ابن قيم الجوزية ـ تصحيح وتعليق (إدارة الطباعة المنيرية) ـ دار الكتاب العربـي ـ بيروت ـ لبنان.

5 ـ البرهان في علوم القرآن ـ الزركشي ـ تحقيق/ محمد أَبـي الفضل إبراهيم ـ ط (2) ـ 1972م.

6 ـ التحرير والتنوير ـ محمد الطاهر بن عاشور ـ دار الشرقية ـ تونس ـ 1956م.

7 ـ تفسير أبـي السعود؛ المسمىٰ (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم) لأبـي السعود العمادي ـ دار إحياء التراث العربـي ـ بيروت ـ لبنان.

8 ـ التفسير البياني للقرآن الكريم ـ د. عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطىء) ـ ط (1) ـ دار المعارف ـ مصر ـ 1966.

9 ـ التفسير القيم ـ ابن قيم الجوزية ـ مصر ـ مطبعة السنة المحمدية ـ 1949م.
10 ـ الجامع لأحكام القرآن ـ القرطبي (محمد بن أحمد) ـ دار الكتب المصرية ـ القاهرة ـ ط (3).
11 ـ الجملة الفعلية ـ بسيطة وموسعة ـ تأليف: زين الكامل الخويسكي ـ الإسكندرية ـ مؤسسة شباب الجامعة ـ 1987م.
12 ـ حجة القراءات ـ للإمام أبي زرعة ـ تحقيق وتعليق/ سعيد الأفغاني ـ منشورات جامعة الفاتح ـ مطابع الشروق ـ بيروت ـ 1914 ـ ط (1).
13 ـ خصائص التراكيب ـ محمد أبو موسى ـ القاهرة ـ مكتبة وهبة ـ 1980م.
14 ـ دراسات لأسلوب القرآن الكريم ـ محمد عبد الخالق عضيمة ـ ط (1) ـ مطبعة السعادة.
15 ـ دراسات نقدية في النحو العربي ـ د. عبد الرحمن أيوب ـ مصر ـ القاهرة.
16 ـ درة التنزيل ـ الخطيب الإسكافي ـ بيروت ـ دار الآفاق الجديدة ـ 1973م.
17 ـ دلائل الإعجاز ـ عبد القاهر الجرجاني ـ تحقيق/ محمد رضوان الدّاية وفايز الدّاية ـ مكتبة سعد الدين ـ دمشق ـ ط (2) ـ 1987م.
18 ـ شذا العرف في فن الصرف ـ أحمد الحملاوي ـ المنصورة ـ دار اليقين ـ الرياض ـ دار القبلتين ـ 1963م.
19 ـ شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ـ الأشموني (علي بن محمد) ـ تحقيق/ محمد محي الدين عبد الحميد ـ مطبعة البابي الحلبي ـ القاهرة ـ 1939م.
20 ـ شرح ابن عقيل ـ عبد الله العقيلي المصري ـ تحقيق/ محمد محي الدين عبد الحميد ـ مطبعة السعادة ـ مصر ـ 1964م.

21 ـ شرح التصريح على التوضيح ـ الأزهري (خالد بن عبد الله) ـ دار الفكر ـ بيروت.
22 ـ شرح الكافية: رضيّ الدين الاستربادي (محمد بن الحسن) ـ تصحيح وتعليق/ يوسف حسن عمر ـ منشورات جامعة قاريونس ـ مطابع الشروق ـ بيروت.
23 ـ شرح المفصل: ابن يعيش ـ مكتبة المتنبـي ـ القاهرة.
24 ـ الفتوحات الإلٰهية ـ بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية ـ سليمان بن عمر العجيلي الشهير «الجمل» ـ مطبعة عيسى البابـي الحلبـي ـ مصر.
25 ـ فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور ـ د. رجاء عيد ـ ط (2) ـ منشأة المعارف ـ الإسكندرية.
26 ـ الكتاب ـ سيبويه ـ تحقيق/ عبد السلام هارون ـ الهيئة المصرية ـ (1971 ـ 1977) م.
27 ـ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ـ الزمخشري ـ الدار العالمية للطباعة والنشر.
28 ـ الكشف عن وجوه القراءات السبع ـ مكي بن أبـي طالب القيسي ـ تحقيق/ د. محي الدين رمضان ـ ط. مجموع اللغة العربية ـ دمشق ـ 1974م.
29 ـ لغة القرآن ـ محمود أحمد نخلة ـ بيروت ـ دار النهضة العربية ـ 1981م.
30 ـ المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ـ ابن الأثير (ضياء الدين الجزري) ـ تحقيق/ محمد محي الدين عبد الحميد ـ القاهرة ـ 1939م.
31 ـ المحتسب ـ ابن جني (أبو الفتح عثمان) ـ ط. المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ـ القاهرة.
32 ـ معاني القرآن ـ الفرّاء ـ تحقيق/ أحمد يوسف نجاتي، محمد علي النجار وعبد الفتاح شلبـي ـ ج 1 ـ دار الكتب ـ 1955م ـ ج 2 ـ الدار

المصرية ـ ج 3 ـ الهيئة العامة للكتاب.
33 ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ـ محمد فؤاد عبد الباقي ـ دار مطابع الشعب.
34 ـ مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ـ ابن هشام ـ تحقيق/ محي الدين عبد الحميد ـ مطبعة المدني ـ القاهرة ـ مصر.
35 ـ مفتاح العلوم ـ السكاكي (يوسف بن أبي بكر محمد بن علي) ـ القاهرة ـ 1937م.
36 ـ المقتضب ـ أبو العباس المبرد ـ تحقيق/ محمد عبد الخالق عضيمة ـ عالم الكتب ـ بيروت.
37 ـ النشر في القراءات العشر ـ محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف بن الجزري (ت 833هـ).
38 ـ النشر في ظل القراءات العشر ـ تأليف الحافظ أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي ـ أشرف على تصحيحه ومراجعته/ علي محمد الضباع ـ القاهرة ـ المكتبة التجارية الكبرى.
39 ـ نظام الجملة عند اللغويين العرب في القرنين الثاني والثالث الهجري ـ مصطفى جطل ـ حلب ـ جامعة حلب ـ كلية الآداب ـ (1979ـ1982)م.
40 ـ همع الهوامع ـ السيوطي ـ تصحيح/ بدر الدين النعساني ـ دار المعرفة ـ بيروت.

الفصل السادس

من القيم الصوتية في الأسلوب القرآني

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

من القيم الصوتية في الأسلوب القرآني

المقـدمـة:

ذهبت بعض النظريات التي تناولت نشأة اللغات إلى أن الألفاظ[1] جرت محاكية لأصوات الطبيعة، كعصف الريح، وخرير الماء، وهدير البحر، وغيرها... وما هذه الأصوات إلا ألفاظ تعبر عن معناها بجرس تحاكي به ذلك الصوت، فـ (القد) و (الشق) و (الطرق) وأمثلة أخرى ـ ألفاظ تحاكي ذلك الصوت الذي تعبر عنه، ومثلها (العواء) و (المواء) و (الرغاء) و (الثغاء)... الخ.

وتستدل هذه النظريات على ما ذهبت إليه، بما نراه عند الأمم التي ما زالت في البداوة، وما نراه عند الأطفال في أول نشأتهم.

فالطفل يعبر عن المعنى بصوته في كثير من الأحيان.

وقد تنبه على هذا الموضوع كثير من أهل اللغة، فنقل ابن جني (ت 392هـ) رأي الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175هـ) الذي مفاده:

---

(1) لعل من المفيد أن نستخدم مصطلح «اللفظ أو اللفظة» دون مصطلح «الكلمة» لأن ما نهدف إليه هو أن نتبين الصلة بين ما ننطق به من ألفاظ وما تدل عليه من دلالات ونتعرف أثر هذا المنطوق به في ما يوحيه إلى الأذهان من صورة تختلف قوة وضعفاً وتبايناً في رفعتها وحسنها.

(أن هذا موضوع شريف لطيف، تقول العرب: (صر الجندب) و (صرصر البازي) كأنهم توهموا في صوت الجندي استطالة، فقالوا: (صر، صريراً) فمدوا، وتوهموا في صوت البازي تقطيعاً فقالوا: صرصر)[1].

وذكر سيبويه (ت 180هـ) الموضوع نفسه في «الكتاب ـ في «باب وجوه القوافي في الإنشاد»[2]، وفي حديث عن المصادر التي جاءت على وزن «فعلان»)[3].

وذكر ـ أيضاً ـ، (أنها تأتي للاضطراب والحركة كـ «الغليان» لأنه زعزعة وتحرك ومثله «الغثيان»، لأنه تجيش نفسه وتثور. ومثله «الخطران» و «اللمعان» لأن هذا اضطراب وتحرك)، بمعنى أن حركات المثال تقابل توالي حركات الأفعال.

ويبدو أن جماعة من علماء اللغة قد تلقت هذه الإشارات بالقبول والاعتراف بصحتها، فذكر ابن جني أن صيغة (الفعلان) تفيد الاضطراب، كالغليان والفوران، وأن صيغة (الفعللة) تفيد التكرير، مثل صرصر الجندب، أي: كرر في تصريره، وأن صيغة (الفعلى) تفيد السرعة. ولعل من المفيد أن نقول إن ابن جني ذهب إلى أبعد من ذلك، فرأى أن اللفظة تتألف من عدد من الحروف، إذا أخذت وقلبت دلت على معنى واحد أو على معان مقاربة على الأقل.

وتحدث عما سماه «الاشتقاق الأكبر» ـ في الفصل الثاني من مؤلفه الخصائص ـ وضرب لنا مثلاً مادة «جبر»، جبرت العظم، إذا قويته، و «الجبروت»: القوة و «الجبر»: الأخذ بالقهر والشدة و «رجل مجرب»: إذا

(1) الخصائص ج 2/154.
(2) الكتاب ج 4/204 ـ 216.
(3) المصدر السابق ج 4/14.

مارس الأمور فاشتدت شكيمته ومنه «الجراب»، لأنه يحفظ ما فيه، والشيء إذا حفظ قوي واشتد[1].

وفي موضع آخر يعيد ابن جني الحديث عن «الاشتقاق الأكبر» فيرى أن مجرد الاشتراك في بعض الحروف يكفي أحياناً للاشتراك في الدلالة، ويوازن بين لفظي «دمث» و «دمثر»، فالأولى: من دمث المكان، كفرج، وسهل، وفيه دماثة الخلق، أي: سهولته، والثانية: معناها السهل من الأرض، والجمل الكثير اللحم[2].

ويقترب ابن جني مما نريده من هذه الدراسة، فيقول في موضوع: مناسبة الحروف في اللفظ لصوت الحدث مثل: «قضم» حين يوازن بالفعل «خضم»، فترى أن الأول «قضم»: يستعمل في أكل اليابس، في حين أن الثاني «خضم»: يستعمل في أكل الرطب.

فهناك صلة وثيقة بين «القاف» الشديدة، والصوت الناشىء عند أكل اليابس وبين «الخاء» الرخوة والصوت الناشىء عند أكل الرطب[3].

أما رأي البلاغيين فيتجلى في رأي شيخهم عبد القاهر الجرجاني (ت 471هـ) فقد أشار إلى أن التفاضل يقع في تركيب الألفاظ أكثر من مفرداتها.

يقول الجرجاني (مما يشهد لذلك أنك ترى الكلمة تروقك وتؤنسك في موضع ثم تراها بعينها تثقل عليك، وتوحشك في موضوع آخر)[4].

ويبدو أن الجرجاني يرى أن ما نسميه «موسيقى الألفاظ» ليس بشيء

---

(1) الخصائص ج 2/135.
(2) المصدر السابق ج 2/139.
(3) المصدر السابق ج 159 ـ 160.
(4) دلائل الإعجاز ص 94.

يستحق أن يعبأ به، وهذا ما يفهم من قوله: (وإذا كان هذا كذلك فينبغي أن ينظر إلى الكلمة قبل دخولها في التأليف وقبل أن تصير إلى الصورة التي يكون بها إخباراً أو أمراً أو نهياً أو استخباراً وتعجباً، وتؤدي في الجملة معنى من المعاني التي لا سبيل إلى إفادتها إلا بضم كلمة إلى كلمة وبناء لفظة إلى لفظة... هل يتصور أن يكون بين اللفظين تفاضل في الدلالة حتى تكون هذه أدل على معناها الذي وضعت له من صاحبتها على ما هي مرسومة به؟.

وهل يقع وهم ـ وإن جهد ـ أن تتفاضل الكلمتان المفردتان من غير أن ينظر إلى مكانها من التأليف والنظم؟.

وهل تجد أحداً يقول هذه اللفظة فصيحة إلا وهو يعتبر مكانها من النظم وحسن ملاءمة معناها لمعاني جاراتها)[1].

فأنت ترى أن الجرجاني يذهب إلى أن اللفظة إنما تحسن أو لا تحسن بقدر ما تدل عليه من معنى وبقدر ما تنجم به من جهة المعنى[2] ونجد في بعض كتب التفسير إشارات مؤيدة ما ذهب إليه ابن جني في (الخصائص) ومن ذلك قول الزمخشري ـ في «الكشاف» ـ في تفسيره لقوله ـ تعالى ـ: ﴿أُوْلَـٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: 5].

قال الزمخشري (المُفلِحُ): الفائز البغية كأنه الذي انفتحت له وجوه النظر، ولم تستغلق عليه و(المفلج): بالجيم ـ مثله، ومثله للمطلقة، استفلحي بأمرك ـ بالحاء والجيم ـ والتركيب دال على معنى الشق والفتح،

(1) المصدر السابق ج 3/590.

(2) نقل ابن الأثير (ت 637هـ): رأي الجرجاني دون الإشارة إليه ـ ينظر/ المثل السائر ج 1/213 فالجرجاني يرى أن حسن هذه الألفاظ ملاءمة معناها معاني جاراتها وقبحها أن تعدل عن هذه العلاقة، فليس الحسن والقبح بخاصة من خصائص الكلم المفرد ولكن الألفاظ تتصف به بعد أن يجمعها جامع من النظم والتأليف، أو قل بنية النص الشمولية.

وكذلك أخوانه في «الفاء» و «العين» نحو «فلق» و «فلد» و «فلى»[1]. وقال ـ أيضاً ـ في تفسيره لقوله: ﴿أَن تَحبَطَ أَعمَـٰلُكُم﴾ [الحجرات: 2]. (الحبوط: من حبطت الإبل إذا أكلت الخضر فنفخ بطونها وربما هلكت ومنه قوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ «وإن مما ينبت الربيع لما يقتل حبطاً أو يسلم» ومن أخواته: حجبت الإبل: إذا أكلت العرفج فأصابها ذلك، وأحبض عمله، مثل أحبطه. وحبط الجرح، وحبر، إذا غفر وهو نكسه وترامیه إلى الفساد)[2].

وقال ـ أيضاً ـ في تفسيره لقوله ـ عز وجل ـ: ﴿يَتَخَـٰفَتُونَ﴾ [القلم: 23].

(أي: يتساوون فيما بينهم، وخفي، و «خفت» و «خفد» ثلاثتها في معنى الكتم، ومنه «الخضود»: للخفاش.

وقال البيضاوي في تفسيره (لو استقريت الألفاظ وجدت كل ما «فاؤه»: نون، و «عينه»: فاء، دالاً على معنى الذهاب والخروج»[3].

ولا يبتعد العلماء المتأخرون والمحدثون عما رسمه القدامى من إشارات في هذا الميدان اللغوي الواسع، على الرغم من أن دراسات كثيرة تناولت دلالة أصوات الحروف المنفردة لكننا لم نجد دراسة مستقلة تهتم بالدلالة الصوتية للفظة المؤلفة من هذه الحروف أو بالتركيب المؤلف من هذه الألفاظ من خلال عرض نصوص «شعرية أو نثرية» أو مواضع قرآنية كريمة، عدا بعض الإشارات المقتضبة التي توزعت في صفحات كتب بعض المفسرين أو في فصل «الفصاحة والبلاغة» في مؤلفات البلاغيين أو في «فواصل الآي» في مباحث «علوم القرآن» أو موضوع «السجع» أو «الفاصلة» في مؤلفاتهم جميعاً.

---

(1) الكشاف ج 1/46.
(2) المصدر السابق ج 3/557.
(3) تفسير البيضاوي ج 2/19.

ويبدو لي أن الألفاظ قد نحس بحسنها أو قبحها في حالة الأفراد وقد تزداد حسناً، كما قد تقبح، في حالة النظم، وقد يكون مرد الحسن والقبح هو هذا النغم الذي تحدثه اللفظة حين تجاور أخواتها.

فهناك ألفاظ كثيرة لها صلة وثيقة بدلالتها، أي: يكون في اللفظ إيحاء بالمعنى، فقد يأتي اللفظ مفرداً، فيرسم في الذهن صورة المعنى تارة بجرسه الذي يلقيه في الأذان وتارة بظله الذي يلقيه في الخيال وتارة ثالثة بالجرس والظل بمعنى أن الصوت «يحقق الوصول إلى أغراض إيحائية بالمعاني الطبيعية التي تضيف إلى المعاني العرفية للألفاظ أبعاداً إضافية ما كان لها أن تتحقق لولا ما تحمله حكاية الصوت من طاقة إيحائية وتتضح الطاقة الإيحائية للصوت)[1].

ونحن لا نستطيع أن نلتمس هذه الدلالة البلاغية والنغمية وغيرهما إلا من خلال التركيب، فاللفظة المفردة قد تكون مهيأة بجرسها ونغمتها لإبراز تلك الدلالة، فيحتويها السياق، فتتدفق تلك اللمحات المضيئة من ثنايا السياق.

وجميعنا يعلم ـ والحق ما نعلم ـ دقة القرآن في اختيار ألفاظه، يقول الجاحظ (ألا ترى أن الله ـ تبارك وتعالى ـ لم يذكر في القرآن «الجوع» إلا في موضع العقاب أو في موضع الفقر المدقع، والعجز الظاهر، والناس لا يذكرون «السغب» ويذكرون «الجوع» في حالة القدرة والسلامة، وكذلك ذكر «المطر» أنك لا تجد القرآن يلفظ به إلا في موضع الانتقام، والعامة وأكثر الخاصة لا يفصلون بين ذكر المطر وذكر الغيث)[2].

ونقل السيوطي قول (البازري) في كتابه «أنوار التحصيل في أسرار التنزيل»: (أعلم أن المعنى الواحد قد يخبر عنه بألفاظ بعضها أحسن من

(1) البيان في روائع القرآن ـ د. تمام حسان ـ عالم الكتب ـ القاهرة ـ 1993 ـ ص 293.
(2) البيان والتبيين ج 1/34.

بعض، وكذلك كل واحد من جزأي الجملة، قد يعبر عنه بأفصح ما يلائم الجزء الآخر، ولا بد من استحضار معاني الجمل أو استحضار جميع ما يلائمها من الألفاظ ثم استعمال أنسبها وأفصحها واستحضار هذا متعذر على البشر في أكثر الأحوال، وذلك عتيد حاصل في علم الله ـ تعالى ـ فلذلك كان القرآن، أحسن الحديث وأفصحه)[1].

ومعنى ذلك أن اختيار اللفظة له شأن مهم في التناسق الرفيع، وكذلك وضع اللفظة في مكانها، ويتم ذلك الأثر في بلاغة التعبير. ويقول د. تمام حسان (وتتضح الطاقة الإيحائية للصوت كذلك في إبداع القرآن ألفاظاً لم تكن من قبل أو تحويل ألفاظ عن معانيها التي كانت لها إلى معان أخرى تتناسب مع إيحاء أصوات الألفاظ)[2].

فليس قولنا بجديد (أن في القرآن إيقاعاً موسيقياً متعدد الأنواع، يتناسق مع الجو الدلالي، ويؤدي وظيفة أساسية في البيان وأن الموسيقى القرآنية إشعاع للنظم الخاص في كل موضع، وتابعة لقصر الفواصل وطولها، كما هي **تابعة لانسجام الحروف في كل الكلمة المفردة ولانسجام الألفاظ في الفاصلة الواحدة**)[3].

وأننا ندرك كل الإدراك أن الموسيقى الداخلية لتنبعث في النص الكريم من الحركة ومن الحرف ومن اللفظ المفرد في كل آية فتلقى ظلالها بجرسها ونغمها على التركيب فيستقل بتصوير لوحة كاملة يكون فيها اللون زاهياً أو شاحباً، وفيها الظل شفيفاً أو كثيفاً.

ونلتمس هذه الظاهرة القرآنية في كل مشهد وقصة، وفي كل مطلع وختام. إن في الكتاب المبين أسلوباً إيقاعياً غنياً بالموسيقى مملوءاً نغماً حتى

---

(1) الإتقان في علوم القرآن ج 4/22.
(2) البيان في روائع القرآن ص 293.
(3) مباحث في علوم القرآن ص 385.

ليكون من الخطأ الشديد أن نفاضل بين سورة وأخرى، أو نوازن بين مقطع ومقطع، لكننا حين نومىء إلى تفرد سورة بنسق خاص، فإنما نقرر ظاهرة أسلوبية بارزة نؤيدها بالشاهد، مؤكيدن أن القرآن الكريم نسيج واحد في بلاغته وسحر بيانه، إلا أنه متنوع تنوع موسيقى الوجود في أنغامه وألحانه.

وقد حاولت في هذه الدراسة استقراء النصوص الكريمة مستعيناً بكتب التفسير وفي مقدمتها، معاني القرآن للفرّاء (ت 207هـ)، والكشاف، للزمخشري (ت 528هـ) وغيرهما كما استفدت من «مباحث علوم القرآن»، وفي مقدمتها: علوم القرآن للزركشي (ت 794هـ) والإتقان في علوم القرآن، للسيوطي (ت 911هـ) وغيرهما.

وتابعت الموضوع نفسه في المؤلفات المعاصرة، ومنها: الإعجاز البياني للقرآن الكريم، للدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطىء) والتصوير الفني في القرآن الكريم، لسيد قطب، ودلالة الألفاظ لإبراهيم أنيس، والتعبير القرآني د. فاضل السمرائي، وغيرها.

وتضم هذه الدراسة مبحثين هما:

المبحث الأول: يتناول القيم الصوتية للفظة المفردة ـ أي خارج التركيب ـ ويضم ثلاثة أنماط:

النمط الأول: دلالة الحركة.

النمط الثاني: دلالة الصيغة.

النمط الثالث: تجانس القيم الصوتية للفظة.

المبحث الثاني: يتناول القيم الصوتية للفظة داخل التركيب.

ويتضمن هذا المبحث نمطين هما:

النمط الأول: القيم الصوتية للفظة داخل التركيب ـ بدون تكرار ـ.

النمط الثاني: : القيم الصوتية للفظة داخل التركيب ـ مع التكرار ـ.

المبحث الأول

القيم الصوتية للفظة

ويضم هذا المبحث ثلاثة أنماط، هي:

النمط الأول ـ «دلالة الحركة»:

حين تقرأ اللفظة القرآنية، تتلمس أصوات الحركة وقد سلكت طريقاً سهلاً مناسباً من اللسان إلى أذن الملتقى وقد اكتنفها ضروب من النغم الموسيقي حتى إذا خرجت كانت عجباً، وكانت عذبة رقيقة متمكنة في وضعها فكأنها أولى الحركات بالخفة والروعة. تأمل لفظة «النذر» ـ جمع نذير ـ فإن «الضمة» ثقيلة لتواليها مع «النون» و «الذال» معاً (فضلاً عن جسأة هذا الحرف ونبوه في اللسان وخاصة إذا جاء فاصلة للكلام فكل ذلك مما يكشف عنه ويفصح عن موضعه الثقل فيه، ولكنه جار في القرآن على العكس واقتضى من طبيعته في قوله ـ تعالى ـ: **﴿وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْاْ بِٱلنُّذُرِ﴾** [القمر: 36].

فتأمل هذا التركيب، وأنعم ثم أنعم على تأمله، وتذوق مواقع الحروف لتجر حركاتها في حس المستمع وتأمل مواضع القلقلة في دال ﴿لقد﴾، وفي «الطاء» من ﴿بطشتنا﴾ وهذه الفتحات المتوالية فيما وراء «الطاء» إلى «واو» ﴿تماروا﴾، مع الفصل بالمد كأنها تثقيل لخفة التتابع في الفتحات إذا هي جرت على اللسان، ليكون ثقل الضمة عليه مستخفاً بعد ولتكون هذه الضمة

قد أصابت موضعها... ثم ردد نظرك في «الراء» من ﴿تماروا﴾ فإنها ما جاءت إلا مساندة لراء ﴿النذر﴾ حتى إذا انتهى اللسان إلى هذه انتهى إليها من مثلها، فلا تجف عليه ولا تغلظ ولا تنبو فيه، ثم أعجب لهذه الغنة التي سبقت «الطاء» في «نون» ﴿أنذرهم﴾ وفي «ميمها» وللغنة الأخرى التي سبقت «الذال» في ﴿النذر﴾)[1].

ولقد تكرر[2] استخدام الحركات بهذه الصورة إحدى عشرة مرة في اللفظة نفسها ﴿النذر﴾ في سورة القمر ـ وحدها، فانظر إلى ثقل الحركات المستحب في هذا الاستخدام الإلهي البديع. ويتضح ما توحي به الحركات من خفة في استخدام القرآن الكريم للفظة ﴿عسر﴾ مكان «عسير» في قوله ـ تعالى ـ: ﴿هَـٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ [القمر: 8].

واستخدام لفظة ﴿مستطر﴾ مكان «مسطور» في قوله ـ عز وجل ـ: ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَـرٌ﴾ [القمر: 53].

فلو قيل: (عسير) و (مسطور) لنتج فيهما مدان لا يريدهما السياق القرآني في سورة فواصل آيها، تتمتع بخفة الحركات وتواليها (فالقرآن هو الكلام البليغ المعجزة بلاغته، ولبلاغته فنون منها: الاستعارة بين حروف الجر لإلغاء مزيد معنى أو توكيد.

ومنها اختيار كلمات وحروف تحدث أصواتها وقعاً يفيد البيان أو التأكيد)[3].

اقرأ قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهُ فَسَيُؤْتِيهِ أَجراً عَظِيماً﴾ [الفتح: 10].

---

(1) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ص 258.
(2) سورة القمر، الآيات: 5، 16، 18، 21، 23، 30، 33، 36، 37، 39، 41.
(3) النجم الزاهر ص 78.

فليست دلالة الضمة في الضمير ﴿عليهُ﴾ تنحصر في تفخيم لام الجلالة بعده لأن (لام الجلالة قد رققت وقد فخمت في القرآن الكريم وفق قواعد الترقيق والتفخيم فليس الترقيق والتفخيم بمتفاضلين لذاتهما ثم إن فخامة اسم الجلالة ليست متأتية من تفخيم لامه فيعلل به وجوب الضمة ـ هنا ـ فلو كان الأمر كما قيل لاقتضى ذلك وجوب استحداث الحركة الموجبة لتفخيم اللام في كل ضمير يسبق اسم الجلالة بل في كل كلمة تسبقه وفي لفظ «الاسم» بادىء البسملة، وهذا يخالف الترقيق والتفخيم المتواترين إلينا في آي القرآن الكريم، على ما لا يخفى[1]، إن الآية الكريمة قد أريد في آخرها مزيد توكيد الموضوع الذي صيغت الآية لبيان أهميته والتنبيه على عظم شأنه، وهو مبايعة رسول الله ﷺ فاختيرت لاستحصال ذلك في النص ضمه (هاء) الضمير غير الشائعة فاستعيرت واستعملت مكان كسر الضمير الشائعة، فتغيرت النبرة **بالضمة التي هي أقوى نبرة**، ولا سيما حين يتم الانتقال إلى الضمة من كسرة سابقة أو «ياء»، (فإذا رجعت إلى أدوات التوكيد، ومنها حرفا «اللام» و «إن» والنبرة، تبينت أن الثالثة «النبرة» منها هي وحدها الملائمة لمقام الضمير دون الأولين، فتفضيل الضمير المضموم في الآية الكريمة على الضمير المكسور، إنما هو من قبيل فنون البلاغة في القرآن المجيد)[2].

واقرأ قوله ـ تعالى ـ: ﴿**وقالوا: الحَمدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذهَبَ عَنَّا الحَزَنَ**﴾ [فاطر: 34] وتأمل الألفاظ المختارة لتتسق بجرسها وإيقاعها مع الجو الحاني الرحيم حتى ﴿الحزن﴾ لا يتكأ عليه بالسكون الجازم بل يقال ﴿الحزن﴾ بالتسهيل والتخفيف.

﴿**كَلاَّ لَيُنْبَذَنَّ فِي الحُطَمَةِ * وَمَآ أَدراكَ مَا الحُطَمَةُ * نَارُ اللَّهِ المُوقَدَةُ ***

(1) المصدر السابق.
(2) المصدر نفسه ص 79.

﴿ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ إِنَّهَا عَلَيۡهِم مُّؤۡصَدَةٞ * فِي عَمَدٖ مُّمَدَّدَةِۭ﴾ [الهمزة: 1 ـ 9].

وتأمل الألفاظ ﴿همزة﴾ ﴿لمزة﴾ ﴿الحطمة﴾ ـ المكررة ـ ﴿الموقدة﴾ ﴿موصدة﴾ ﴿ممددة﴾، وأنعم النظر في حركات كل لفظة تجد أنها مبدوءة بالضمة التي تثير في الحس ثقلاً بقدر ما تثيره دلالة ﴿ويل﴾ من رهبة وخوف ورعب وتتوالى حركتا «الفتحة» على حروف شديدة قوية النبرة، قاسية الإيقاع «الزاي» «الطاء» «القاف» «الصاد» «الدال»، فيكون ثقل هذه الحروف وثقل الضمة خفيفاً مستحباً على اللسان مؤثراً في السمع محققاً إيقاعاً موحياً، يتفق مع فعلة ﴿الهمزة﴾ ﴿اللمزة﴾: الذي يهزأ بالناس ويلمزهم، والذي جمع مالاً وعدده، صورة هذا المتعالي الساخر، تقابلها صورة «المنبوذ» في ﴿الحطمة﴾ التي تحطم كل ما يلقى إليها، فتحطم كبرياءه وقوته وجاهه، وهي «النار» «تطلع» على فؤاده الذي ينبعث منه الهمز واللمز، ويخفي فيه التعاظم والكبرياء، وتكملة لصورة المنبوذ المحطم المهمل، هذه الحطمة (مقفلة عليه لا ينقذه منها أحد ولا يسأل فيه أحد)[1].

واقرأ قوله ـ تعالى ـ: ﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي﴾ [مريم: 4].

فلفظة ﴿وهن﴾ جاءت مناسبة لمقتضى السياق، فهي أخف وأسهل نطقاً من لفظ «ضعف»، بسبب تماثل الحركة في حروفها وهي «الفتحة» بعد «الواو» وبعد «الهاء» وبعد «النون» على حين تفصل «الضمة» الثقيلة بين فتحة «الصاد» وفتحة «الفاء» في «ضعف» هذا إلى ما تضيفه هنة «الهاء» في النطق من إيحاء بالضعف إلى السامع لا يتحقق أبداً بما يوحيه صوت «الضاد» و «العين» من شدة في لفظة «ضعف» ومثله قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَهِنُواْ﴾ [آل عمران: 139]، ولم يقل (ولا تضعفوا) لخفة لفظه ﴿تهنوا﴾.

(1) التفسير البياني للقرآن الكريم ج 1/168 ـ 169.

النمط الثاني ـ «دلالة الصيغة»:

ويضم هذا النمط صورتين، هما:

الصورة الأولى: وردت في الإعجاز المبين ألفاظ، هي أطول الكلام عدد حروف ومقاطع، مما يكون مستثقلاً بطبيعة وضعه أو تركيبه لكنها قد خرجت في النظم مخرجاً كانت من أخصر الألفاظ حلاوة، وأعذبها نطقاً، وأخفها تركيباً، إذ تراه ـ عز من قائل ـ قد هيأ لها أسباباً عجيبة من تكرار الحروف وتنوع الحركات، فلم يجرها في نظمه إلا وقد وجد ذلك فيها.

اقرأ قوله ـ تعالى ـ: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُم إِلَى الأَرْضِ. . .﴾** [التوبة: 38].

فتستقبل الإذن ﴿اثاقلتم﴾ ـ أي: تباطأتم وتقاعستم ـ فيتصور الخيال ذلك الجسم المتثاقل يرفعه الرافعون في جهد، فيسقط من أيديهم في ثقل، (فكأن في هذه الكلمة طناً على الأقل من الأثقال! ولو أنك قلت: (تثاقلتم) لخف الجرس، ولضاع الأثر المنشود، ولتوارت الصورة المطلوبة التي رسمها هذا اللفظ واستقل برسمها)(1).

وقد ذكر الزمخشري أن لفظ (﴿اثاقلتم﴾: تضمن معنى الميل والإخلاء، فعدي بـ﴿إلى﴾ والمعنى: ملتم إلى الأشياء وشهواتها، وكرهتم مشاق السفر ومتاعبه)(2).

فكم من مشقة يتحملها اللسان في نطقه لفظ ﴿اثاقلتم﴾.

وتأمل قوله ـ تعالى ـ: **﴿مَا يَنظُرُونَ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾** [يس: 49]. تجد أن الدلالة على اللجاجة في الخصومة قد

(1) التصوير الفني في القرآن الكريم ص 76.
(2) الكشاف ج 271/2.

تحققت بإدغام «التاء» في «الصاد» وتشديد «الصاد»، على حين لا يحقق الجرس الصوتي في «يختصمون» هذا الغرض وأنعم النظر في قوله ـ عز وجل ـ ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم في الأَرْضِ﴾ [النور: 55].

تجد أن قوله ـ تعالى ـ: ﴿ليستخلفنهم﴾ لفظة مؤلفة من عشرة أحرف، وقد جاءت سهولة لفظها من تنوع مخارج الحروف، ومن نسق حركاتها، فصارت في النطق كأنها أربع كلمات، تنطق على ثمانية مقاطع.

ومثله قوله ـ عز وجل ـ: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: 137].

فإن لفظة ﴿سيكفيكهم﴾ مؤلفة من تسعة أحرف، في سبعة مقاطع، وقد تكررت فيها «الياء» و «الكاف» وتوسط بين «الكافين» هذا المد الذي هو من سر الفصاحة في اللفظة كلها.

ولا أحسبك إلا مستشعراً عنف لفظة الكبكبة في قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَكُبْكِبُواْ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُونَ﴾ [الشعراء: 94].

حتى لتكاد تتصور أولئك المجرمين يكبون على وجوههم، ويلقون إلقاء المهملين فلا يقم أحد لهم وزناً، فكأنك تتلمس في كلمة ﴿كبكبوا﴾ جرساً يحدث صوت الحركة التي تتم بها. (وإنك لتسمع من جرس اللفظ صوت دفعهم وسقوطهم بلا انتظام وصوت الدبدبة الناشيء من الكبكبة كما ينهار الجرف فتتبعه الجروف فهو لفظ مصور بجرسه لمعناه).

وقد أشار الزمخشري إلى ذلك فذكر أن (الكبكبة: تكرير الكب، جعل التكرير دليلاً على التكرير في المعنى كأنه إذا ألقي في جهنم «ينكب»، كبة، مرة بعد أخرى حتى يستقر في قعرها)[1].

وتقرأ قوله ـ تعالى ـ: ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُم لَهَا كَارِهُونَ﴾ [هود: 28].

---

(1) الكشاف ج 3/253.

فتحس أن لفظ «نلزمكموها» يصور جو الإكراه بإدماج كل هذه الضمائر في النطق وشد بعضها إلى بعض، كما يدمج الكارهون مع ما يكرهون ويشدون إليه وهم منه نافرون وتسمع لفظة «يصطرخون» في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَهُم يَصطَرِخُونَ فِيهَا﴾ [فاطر: 37].

فيخيل إليك جرسها الغليظ غلظ الصراخ المختلط المتجاوب من كل مكان (المنبعث من حناجر مكتظة بالأصوات الخشنة، كما تلقي إليك ظل الإهمال لهذا الاصطراخ الذي لا تجد من يهتم به أو يليه، ونلمح من وراء ذلك كله صورة ذلك العذاب الغليظ الذي هم فيه يصطرخون)(1). ولعل من المفيد أن نذكر ـ هنا ـ أن أهل اللغة يرون أن ﴿يصطرخون﴾ أبلغ من (يتصارحون)(2).

الصورة الثانية: حين يستقل لفظ واحد بالصورة كلها يكون ذلك فناً من التناسق الرفيع، وشواهد هذه الصورة كثيرة جداً في الكتاب العزيز، ومنها لفظ «عتل» في تمثيل الغليظ الجافي المنقطع، في قوله ـ عز وجل ـ: ﴿عُتُلٍّ بَعدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ﴾ [القلم: 13].

ففي لفظ الـ ﴿عتل﴾ جرس في الأذن، وظل في الخيال يؤديان المدلول للحس والوجدان.

وتأمل لفظ «الدع» في قوله ـ تعالى ـ: ﴿يَومَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾ [الطور: 13].

تجد أن جرسها وظلها يقربان الذهن من دلالتها وهي، الدفع في الظهر بعنف وهذا الدفع في كثير من الأحيان يجعل المدفوع يخرج صوتاً غير إرادي فيه «عين» ـ ساكنة ـ وهو في جرسه أقرب ما يكون إلى جرس «الدع» وبتأمل

(1) التصوير الفني في القرآن الكريم ص 73.
(2) البرهان في علوم القرآن ج 3/381.

الإيقاع الموسيقي الذي يلقى في الحس معنى القوة والحسم وذلك في قوله: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ ٱلرَّجعِ وَالأَرضِ ذَاتِ ٱلصَّدعِ﴾ [الطارق: 12].

(ففي «الرجع» و «الصدع» عنف شق في المعنى أولاً ثم في الإيقاع الموسيقي...). ونقف عند لفظة «نسلخ» في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ اللَّيلُ نَسلَخُ مِنهُ النَّهَارَ﴾ [يس: 37].

ـ السلخ في اللغة: قشر الشيء عن الشيء وكشطه، كما يسلخ لحاء الشجرة، وكما يسلخ الجلد من الحيوان.

فقد رسم لنا جرس لفظة ﴿نسلخ﴾ المحتوم بـ «الخاء» الشديدة، والخشنة، صورة عنيفة لـ (جزء يظلم من الأرض بعد أن يسلخ منه النور الذي كان يغمره، فلا ظلام، ولا ليل إلا مع حركة الأرض ومع انسلاخ النور الذي كان يغطي وجه هذا الجزء... فتأمل كيف رسم لنا إيقاع هذه الحروف حركة الانسلاخ الحسية القوية، وانظر ما يوحي به هذا «السلخ»: يسلخ النهار من الليل، ظلام هو الليل.. وهمود وسكون، وكذلك سلخ الجلد من الحيوان.. إذ الجلد هو موضع الحساسية في الكائن الحي... فإذا انسلخ الجلد فلا حياة)(1).

واقرأ قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَمَن زُحزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدخِلَ الجَنَّةَ فَقَد فَازَ﴾ [آل عمران: 185].

هل ترى في المعجم كله لفظة أنسب من لفظة ﴿زحزح﴾ في تصوير مشهد الإبعاد والتنحية بكل ما يقع في هذا المشهد من أصوات (الحاء) المكررة، و (الزاي) المكررة، فاللفظة ـ كما ترى ـ تبدأ بصوت معين من جنس معين «لثوى» ثم تنتقل إلى صوت آخر من جنس آخر «حلقى» ثم تعود

(1) إعجاز القرآن للخطيب ص 196.

إلى تكرار ذلك. فتتجلى لك الشدة في صيغة «المضاعف» وليس بخاف ما فيها من صعوبة، فكأن لفظة ﴿زحزح﴾ (توحي لك بهذا القلق الذي يملأ صدور الناس في ذلك اليوم لشدة اقترابهم في جهنم كأنما هم يبعدون أنفسهم عنها في مشقة وخوف وذعر)[1].

ومثله قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا هُوَ بِمُزَحزِحِهِ مِنَ العَذَابِ﴾[البقرة: 96].

تصور لك لفظة ﴿بمزحزحه﴾: (صورة الزحزحة المعروفة كاملة متحركة من وراء هذه اللفظة المفردة)[2].

وصورة أخرى يتضمنها السياق، هي ما يصاحب هؤلاء من ذعر الذي يمر بحسيس النار ويسمعه ويكاد يصلاه. وتأمل لفظة «حسيس» في قوله ـ تعالى ـ: ﴿لاَ يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾ [الأنبياء: 102] فإن (لفظة «الحسيس» من الألفاظ المصورة بجرسها لحقيقتها وأنه لجرس يتفزع له الجلد ويقشعر من «حسيس النار» ولذلك نحى من سماعه ﴿الَّذِينَ سَبَقَت لَهُم مِنَّا الحُسنَىٰ﴾ [الأنبياء: 101].

فنجوا من «الفزع الأكبر»[3]. وتقرأ قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِنَّ مِنكُم لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ﴾ [النساء: 72] فتحس أن اللسان يكاد يتعثر وهو يتخبط في لفظها حتى يصل ببطء إلى نهايتها فترسم صورة «التبطئة» في جرس العبارة كلها، وفي جرس ﴿ليبطئن﴾ خاصة. ومثله قوله ـ عز وجل ـ: ﴿فَأَصبَحَ فِي المَدِينَةِ خَآئِفاً يَتَرَقَّبُ﴾ [القصص: 18]. فلا نغفل ـ هنا ـ أنه خائف «يترقب في المدينة» فوضع الخوف ـ عادة ـ فاللفظ ﴿يترقب﴾ يبرز في التعبير كله صورة الفزع إلى موطن الأمان فكأن جرس اللفظة يومىء إلى هيئة الحذر الملفت.

(1) من بلاغة القرآن الكريم ص 67.
(2) التصوير الفني في القرآن الكريم ص 77.
(3) مشاهد القيامة في القرآن الكريم ص 169.

ومثله ـ أيضاً ـ قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلاَ يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَداً﴾ [الكهف: 19]. أي: (ليتكلف اللطف فيما يباشر من أمر المبالغة حتى لا يغبن)[1].

وتأمل لفظ ﴿يشعرن﴾ الدال بنونه الثقيلة على ما دلت عليه ﴿يتلطف﴾ من وجوب التأني وحسن المدخل إلى الناس. يقول الزمخشري في تفسيره لقوله ـ تعالى ـ: ﴿فَأَخَذْنَاهُم أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر: 42] (ومما ينتظم بهذا المسلك «قدر» و «أقتدر»، فمعنى: «اقتدر» أقوى من «قدر»، فـ ﴿مقتدر﴾ ـ هاهنا ـ أبلغ من «قادر» وإنما عدل إليه للدلالة على بسطة القدرة فإن «المقتدر» و «قادر» اسم فاعل من «قدر»، ولا شك أن «افتعل» أبلغ من «فعل»)[2].

وذكر الزركشي أن في لفظ ﴿مقتدر﴾ معنى (أنه قادر متمكن القدرة لا يرد شيء على اقتضاء قدرته، ويسمى هذا قوة اللفظ لقوة المعنى)[3].

وفي موضع آخر من «البرهان»، أشار الزركشي إلى (أن «ستاراً» و ﴿غفاراً﴾ أبلغ من (ساتر) و (غافر)، ولهذا قال ـ تعالى ـ: ﴿فَقُلْتُ: اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُم إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً﴾ [نوح: 10].

ومما يجري هذا المجرى قوله ـ تعالى ـ: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: 286] فقد وردت لفصة ﴿كسبت﴾ أخف نطقاً وأسهل لفظاً من ﴿اكتسبت﴾ ويبدو ـ والله أعلم ـ أنه لما كانت السيئة ثقيلة وفيها تكلف زيد في لفظ فعلها ﴿اكتسبت﴾.

قال ابن جني (وتأويل ذلك أن كسب الحسنة بالإضافة إلى اكتساب

---

(1) المصدر نفسه ج 3/365.
(2) المصدر السابق ج 2/725.
(3) البرهان في علوم القرآن ج 3/34.

السيئة أمر يسير ومستصغر، وذلك لقوله ـ عز وجل ـ: ﴿مَنْ جَآءَ بِالحَسَنَةِ فَلَهُ عَشرُ أمثَالِهَا وَمَن جَآءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلاَ يُجزَى إلاّ مِثلَهَا﴾ [الأنعام: 160].

أفلا ترى أن الحسنة تصغر بإضافتها إلى أجزاء صغر الواحد إلى العشرة ولما كان جزاء السيئة إنما هو بمثلها، لم تحتقر إلى الجزاء عنها فعلم بذلك قوة مثل السيئة على فعل الحسنة... وفخم لفظ العبارة عنها فقيل: ﴿لَهَا مَا كَسَبَت وَعَلَيهَا مَا اكتَسَبَت﴾ [البقرة: 286].

فزيد في لفظ فعل السيئة، وانتقض من لفظ الحسنة)[1].

النمط الثالث ـ «تجانس القيم الصوتية للفظة»:

نقصد بذلك اختيار اللفظة دون غيرها من الألفاظ التي تقاربها في المعنى وتلقى معها في الدلالة ولكننا نتلمس في تناسق حروفها وحركات هذه الحروف مع دلالتها إيماءً إلى المعنى القصود فيرسم جرسها ما يوحي للنفس بإيقاع عميق نحس فيه بجو الفكرة إحساساً قوياً، وقد تنبه إلى ذلك بعض اللغويين، وفي مقدمتهم ابن جني، إذ يقول:

(ومن ذلك قولهم (النضح): للماء ونحوه، و (النضخ): أقوى من (النضح)، قال ـ تعالى ـ: ﴿فِيهِمَا عَينَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾ [الرحمن: 66].

فجعلوا «الحاء» لرقتها ما للماء الضعيف، و «الخاء» لغلظها، لما هو أقوى)[2].

اقرأ قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَاللَيلِ إِذَا عَسعَسَ﴾ [التكوير: 17].

وتأمل دقة الإعجاز المبين في اختيار الألفاظ لمواضعها، ونهوض هذه الألفاظ برسم الصورة التي تؤديها، ومنها لفظة ﴿عسعس﴾:

---

(1) الخصائص ج 3/263.

(2) بلاغة القرآن ص 69.

يقول الراغب (العسعسة، والعساس، رقة الظلام، وذلك في أطراف الليل)[1].

أو بمعنى (أقبل وأدبر معاً، وقيل: في مبدأ الليل ومنتهاه)[2].

ومثلها في التعبير عن «النوم» بـ«النعاس» وعن التنويمة بـ«غشية النعاس» وذلك في قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِذ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنهُ﴾ [الأنفال: 11].

تجد جو النعاس الرقيق اللطيف وكأنه غشاء شفيف يغشى الحواس في لطف ولين ﴿أمنة منه﴾ فالجو كله أمن ودعة وهدوء.

وإذا قرأت قوله ـ تعالى ـ: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلغَيظِ﴾ [الملك: 8].

أخذك من الغيظ مثل ما يأخذ جهنم حين تستمع لفظ ﴿تميز﴾.

ومن ذا الذي يقرأ قوله ـ تعالى ـ: ﴿يُرسَلُ عَلَيكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِران﴾ [الرحمن: 35] ثم لا يتخيل في جو هذه الآية وحدها «الشواظ» الناري يتطاير، والنحاس الملتهب يذوب فوق رؤوس المجرمين وهم يحاولون النفاذ من أقطار السموات.

وتأمل هذه «الشين» و «الهاء» في قوله ـ تعالى ـ: ﴿سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقاً﴾ [الملك: 7].

و «الثاء» و «اللام» و «الظاء» في قوله ـ ﴿تلظى﴾، قال ـ عز وجل ـ: ﴿فَأَنذَرتُكُم نَاراً تَلَظَّىٰ﴾ [الليل: 14].

و «الزاي» و «الفاء» في لفظ «زفير» في قوله ـ تعالى ـ: ﴿سَمِعُواْ لَهَا

(1) المفردات في غريب القرآن ص 334.
(2) روح المعاني ج 3/58.

﴿تَغَيُّظاً وَزَفِيراً﴾ [الفرقان: 12] ألا تجد أن هذه (الحروف تنقل إليك صوت النار مغتاظة غاضبة)[1].

كما تحمل «الخاء» و «الراء» في لقول «مواخر» في قوله ـ عز وجل ـ: ﴿وَتَرَى الفُلْكَ مَوَاخِرَ﴾ [النحل: 14] إلى إذنك صوت الفلك تشق عباب الماء.

قال الزمخشري في تفسيره لقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَيَضَعُ عَنهُم إِصرَهُم وَٱلأَغلَالَ﴾ [الأعراف: 57].

(الإصر: الثقل الذي يأصر صاحبه، أي: يحبسه من الحراك لثقله وهم مثل ثقل تكليفهم وصعوبته)[2]. فقد تناسبت اللفظة ـ بثقل نطقها ـ ودلالتها.

أمعن النظر في هذه الأمثلة القليلة من شواهد قرآنية كثيرة، لا تحصى، يأتي منها اللفظ موحياً إيحاءً قوياً لما تتضمنه المعاني، ونحن نعلم أن ألفاظ الكتاب العزيز كلها شواهد لهذه الظاهرة وغيرها، ولكننا نجد أن المزيد من الشواهد الكريمة تهدي الدارس إلى فوائد جليلة، وتنعم عليه بحكمة جليلة.

قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوماً عَبُوساً قَمطَرِيراً﴾ [الإنسان: 10].

ألا يشعرك لفظ «الطاء» و «الراء» بثقل هذا اليوم[3]، زد على ذلك ثقل تكرار «الراء» التي هي صوت مردد ثم تأمل الألفاظ التي اختار الإعجاز المبين لوصف يوم القيامة، كـ «الصاخة» وهي لفظة تكاد تغرق صماخ الأذن بثقلها وعنف جرسها الذي يصل إلى الأذن صاخاً ملحاً، ومثلها لفظة «الطامة» ذات الدوي، تخيل إليك بجرسها أنها تطم وتعم كالطوفان يغمر كل شيء ويطويه، ومثلها لفظة «الحاقة».

(1) من بلاغة القرآن ص 69.
(2) الكشاف ص 2/166.
(3) من بلاغة القرآن ص 60.

فقد اختارت العبارة القرآنية هذا اللفظ من الناحية التصويرية (لأن له جرساً خاصاً هو أشبه شيء برفع الثقل ثم استقراره استقراراً مكيناً، رفعه في مدة «الحاء» بـ «الألف». واستقراره في تشديد «القاف» بعدها، والانتهاء «بالتاء» المربوطة التي يوقف عليها بـ «الهاء» الساكنة والجرس في ألفاظ القرآن وعباراته يشترك في تصوير المعنى ووقعه الحس)[1].

ومثل ذلك في لفظ «القارعة» و «الواقعة»: (بما فيها من مد ثم سكون أشبه سقوط الجسم الذي يرفع ثم يترك فيهوي واقعاً، فينتظر له الحس فرفعة ورجة وهكذا يلبي السياق ما يتوقعه الحس)[2]. ثم ألا تتلمس بتدرج إيقاع لفظة «هلوعاً» في قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً﴾ [المعارج: 19] فتتصاعد نبراتها فتتناسق مع دلالتها على (سرعة الجزع عند مس المكروه، وسرعة المنع عند مس الخير، من قولهم: ناقة هلوع، سريعة السير)[3].

وأنعم النظر، ثم أنعم النظر في لفظة ﴿العرجون﴾ من قوله ـ عز وجل ـ: ﴿وَالقَمَرَ قَدَّرنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالعُرجُونِ القَدِيمِ﴾ [يس: 39] وتقترب لفظة ﴿العرجون﴾ بمادتها من لفظة «العوج» فالعرجون لا يكون على استقامة أبداً، إذ إن ما يحمل من ثمر يجعله دائماً مقوساً معوقاً ثم ألا تلاحظ أن رسم الحروف (ع ر و ج و ن) تثبت في الذهن هذه الدلالة، فلو أبدلت هذه اللفظة القرآنية بلفظة «العذق» أو «الشمراخ» لاختفى ذلك التأثير العميق في النفس. ثم ألا ترى أن (لفظة «آمن» في قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ . .﴾ [البقرة: 62].

أخف من «صدق» ولذلك كان ذكرها أكثر من ذكر التصديق.

---

(1) مشاهد القيامة في القرآن الكريم ص 180.
(2) المصدر السابق ص 107.
(3) روح المعاني ج 30/61.

و ﴿آثَرَكَ ٱللَّهُ﴾ [يوسف: 91]، أخف من: فضلك.

و ﴿آتَى...﴾ [البقرة: 177] أخف من: أعطى.

و ﴿أَنذَرَ...﴾ [الأحقاف: 21] أخف من: خوف.

والمصدر في نحو ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ﴾ [لقمان: 11] أخف من: مخلوق.

و ﴿تَنكِحَ﴾ [البقرة: 230] أخف من: **تزوج**، لأن «تفعل» أخف من «تفعل» ولهذا كان ذكر «النكاح» فيه أكثر[1]. قال أبو بكر الخطيب (هل تقع في الحسن لفظة، موقع لفظة «ليأخذوه» في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَهَمَّت كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِم لِيَأخُذُوهُ﴾ [غافر: 5]، وهل تقوم مقامه لفظة؟ وهل تسد مسدها في الأصالة نكته؟.

لو وضع موضع ﴿ليأخذوه﴾ ليقتلوه، أو ليرجموه، أو لينفوه، أو ليهلكوه، ونحو هذا... ما كان ذلك بليغاً ولا بارعاً ولا عجباً[2].

ونقل السيوطي عن البازري أن (المجاز في مثل هذا أفضل من الحقيقة، لخفته واختصاره وابتنائه على التشبيه البليغ)[3].

---

(1) الإتقان في علوم القرآن ج 4/22 ـ 23.
(2) إعجاز القرآن ص 300.
(3) الإتقان في علوم القرآن ص 3/23.

المبحث الثاني

القيم الصوتية للفظة داخل التركيب

ويضم هذا المبحث نمطين، هما:

النمط الأول ـ «القيم الصوتية للفظة داخل التركيب ـ بدون تكرار ـ»:

ويضم هذا النمط أربع صور، هي:

الصورة الأولى: إذا أنعمنا النظر في بعض أسرار الإعجاز الصوتي للفظة داخل التركيب غصناً في بحر عميق لا قرار له.

وقد تنبه إلى ذلك كثير من البلاغيين، وفي مقدمتهم الجرجاني والزمخشري وغيرهما فقد تحدث الجرجاني عن أثر التركيب في إظهار اللفظة ورقتها وجزالتها وخفة لفظها جاء هذا الحديث في مجال عرضه لنظرية النظم، فذكر أن (الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة، ولا من حيث هي كلم مفردة، وأن الألفاظ تثبت لها الفضيلة وخلافها في ملاءمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها أو ما شبه ذلك مما لا تعلق له بصريح اللفظة)[1].

وقال الجرجاني في موضع آخر من «دلائل الإعجاز» مستشهداً بقوله ـ تعالى ـ: **﴿وَفَجَّرنَا الأَرضَ عُيُوناً﴾** [القمر: 12].

(التفجير للعيون في المعنى، وأوقع على الأرض في اللفظ)[2].

---

(1) دلائل الإعجاز ص 90.

(2) المصدر السابق ص 133.

وذكر الزمخشري أن معنى النص الكريم (وجعلنا الأرض كلها عيون تتفجر وهو أبلغ من قولك: وفجرنا عيون الأرض)[1].

وأشار الزمخشري ـ في موضوع آخر من الكشاف ـ إلى قوله عز وجل ـ: ﴿تَفِيضُ مِنَ الدَّمعِ﴾ [المائدة: 83].

أبلغ من (يفيض دمعها)، لأن العين كلها دمع فائض و «من» للبيان كقولك: أفديك من رجل[2].

وقد وازن ابن الأثير بين بعض الألفاظ التي استخدمها القرآن الكريم وجاءت في الشعر العربي ومن ذلك (جاءت لفظة واحدة في آية من القرآن الكريم وبيت من الشعر، فجاءت في القرآن الكريم، جزلة متينة، وفي الشعر ركيكة.

أما الآية فهي قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ذلِكُم كَانَ يُؤذِي النَّبِيَّ فَيَستَحِي مِنكُم﴾ [الأحزاب: 53].

أما بيت الشعر، فهو قول المتنبي:

تلذ له المروءة وهي تؤذى ومن يعشق يلذ له الغرام

وهذا البيت من أبيات المعاني الشريفة، إلا أن لفظة «تؤذى» قد جاءت فيه فحطت من قدر البيت لضعف تركيبها، كما جاءت متقطعة، إذ جاء بعدها كلام مستأنف.

وحسن موقعها في تركيب الآية، إذ جاءت مندرجة مع ما يأتي بعدها متعلقه به[3].

(1) الكشاف ج 4/37.
(2) المصدر السابق ح 2/301.
(3) المثل السائر ج 1/57.

ومن المتفق عليه عند أهل اللغة أن من بين ما يختص به أسلوب القرآن هذا الانسجام الموسيقي الذي فيه تكون العبارة منسقة، ذات حركات وسكنات يشعر المرء عند تلاوتها بما يكمن وراء هذا النظام من موسيقى واتساق و (إن هذه الموسيقى التي تكمن وراء هذا النظم هي التي مكنت المرتلين من تلاوته بهذه الأنغام الموسيقية، وإن شدة هذا الانسجام يصل في بعض الأحيان إلى أن تتفق الآية مع وزن بحر من الشعر)[1].

ولتوضيح ما قصدناه، اقرأ قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ [الرحمن: 54].

ألا تلاحظ تماثل لفظتي ﴿جنى الجنتين﴾ قد أعطاهما إيقاعاً ناسب غنة «النون» الشجية في لفظة ﴿دان﴾، ولو جاء القول: وثمر الجنتين قريب، لم يقم مقامه من جهة الجناس بين الـ ﴿جنى﴾ و ﴿الجنتين﴾ ومن جهة أخرى أن الثمر لا يشعر مصيره إلى حال يجنى فيها ومن جهة ثالثة مؤاخاة الفواصل)[2].

واقرأ قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ﴾ [العنكبوت: 48].

تأمل خفة لفظ «تتلو» والتنغيمة المتجانسة مع ليونة «اللام» وانطلاق «الواو» المتناسقة مع ما قبلها ﴿كنت﴾ وما بعدها «من قبله» ولو وضعت لفظة «تقرأ» بدلاً عنها ـ أي عن «تتلو» ـ لتلمست الفرق الذي يبدأ من ثقل «الهمزة» في لفظة «تقرأ» فضلاً عن تنافرها مع بقية التركيب.

وأنعم النظر في قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ

(1) من بلاغة القرآن ص 245.
(2) الإتقان في علوم القرآن ج 4/22.

﴿وَالقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلاَتٍ﴾ [الأعراف: 133].

فقد تضمن النص الكريم خمسة ألفاظ هي ﴿الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم﴾ فلما وردت هذه الألفاظ الخمسة بجملتها، قدم فيها لفظاً ﴿الطوفان﴾ و ﴿الجراد﴾ وأخرت لفظة ﴿الدم﴾ وجعلت لفظة ﴿القمل﴾ و ﴿الضفادع﴾ في الوسط، ليطرق السمع أولاً الحس من الألفاظ الخمسة وينتهي إليه آخراً، ثم إن لفظة ﴿الدم﴾ أحسن من لفظي ﴿الطوفان﴾ و ﴿الجراد﴾ وأخف في الاستعمال ومن أجل ذلك جيء آخراً.

ومما يجري هذا المجرى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَيَأْبَـى اللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ﴾ [التوبة: 32].

يقول الزمخشري: (فإن قلت: كيف جاز (أبـى الله إلا كذا) ولا يقال: كرهت أو أبغضت إلا زيداً قلت: قد أجرى «أبـى» مجرى «لم يرد»، أترى كيف قوبل: «يريدون أن يطفئوا» بقوله: ﴿ويأبـى الله﴾ وكيف أوقع موقعه، ولا يريد الله إلا أن يتم نوره)[1].

الصورة الثانية: من نماذج هذه الصورة ما ذكره الثعالبـي في فصل «في إقامة وصف الشيء مقام اسمه» في مؤلفه «فقه اللغة»[2].

ـ مستشهداً بالآي الكريم ومن ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ﴾ [القمر: 13] يعني «السفينة» فوضع صفتها موضع تسميتها.

وقال ـ عز وجل ـ: ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيهِ بِالعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الجِيَادُ﴾ [ص: 31] يعني «الخيل».

---

(1) الكشاف ج 2/265.
(2) فقه اللغة ـ ص 239.

ومما يجري هذا المجرى أن هناك لفظتين لم ينطق بهما القرآن الكريم ولعله ـ والله أعلم ـ وجد فيهما ثقلاً، واللفظتان هما: «الآجر» و «الأرضين».

أما الأولى فقد أعرض عنها في سورة (القصص)، وذلك في قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَأَوقِد لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجعَل لِّي صَرحاً...﴾ [القصص: 38] فلم يأت لفظ «الآجر»، كأن يكون القول (فهيء لي يا هامان آجراً).

أما اللفظة الثانية فقد تركها السياق في الآية الكريمة: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الأَرضِ مِثلَهُنَّ﴾ [الطلاق: 12].

ولعل من المفيد أن نشير إلى أن القرآن الكريم قد أقل من استخدام بعض الألفاظ فقد استخدمت ألفاظ، مرة أو مرتين، وليس مرجع ذلك ـ والله أعلم ـ لشيء سوى المقام الذي يستدعي ورود هذه اللفظة.

ومن الأسرار العجيبة أن الإعجاز المبين قد يختار لفظة بصيغة الجمع ولم ترد بصيغة المفرد، مثل لفظة «اللب» كقوله ـ عز وجل ـ: ﴿وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُواْ الأَلبَابِ﴾ [ص: 29].

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكرَىٰ لأُوْلِي الأَلبَابِ﴾ [الزمر: 21].

ومن ذلك ـ أيضاً ـ لفظة «الأكواب» التي لم ترد مفردة، وإن لم تكن مستقبحة في حال إفرادها لكن وقعها في النفس بصيغة الجمع يدركه الذوق السليم[1].

وتستوقفنا ـ أيضاً ـ أسرار عجيبة أخرى في ألفاظ يؤثرها الإعجاز المبين ـ دون غيرها ـ في الوصف، ومن ذلك، وصفه (الحلال) بـ (الطيب) كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿مِمَّا فِي الأَرضِ حَلاَلاً طَيِّباً﴾ [البقرة: 168].

---

(1) المثل السائر ج 1/387.

وذكر «السجيل» و «الحجارة» كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ [هود: 82]، [الحجر: 74].

وإضافة «الأساطير» إلى ﴿الأولين﴾[1]، كما في قوله ـ عز وجل ـ: ﴿أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾ [الأنعام: 25].

وجعل ﴿مسنون﴾ وصفاً لـ «الحمأ» كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿من حَمَإٍ مَّسنُونٍ﴾ [الحجر: 26، 28، 33].

وقرن «التأثيم» بـ «اللغو» كما في قوله ـ عز وجل ـ: ﴿لاَّ لَغوٌ فِيهَا وَلاَ تَأْثِيمٌ﴾ [الطور: 23].

وقرن ـ أيضاً ـ «مختال» بـ «فخور» كما قال ـ عز من قائل ـ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُختَالاً فَخُوراً﴾ [النساء: 36].

ووصف «الكذاب» بـ ﴿أشر﴾ في قوله ـ تعالى ـ: ﴿بَل هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ﴾ [القمر: 25]. .

الصورة الثالثة: وتتضمن (مجانسة اللفظ اللفظ في الكلام والمعنى مختلف)[2].

ومن ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿يَا أَسفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ [يوسف: 84].

فقد أفاد اقتران «الفاء» بـ «السين» وتكرارهما، الإيحاء بجرس حزين وإيقاع مؤثر.

قال الزمخشري: (أضاف الأسف وهو أشد الحزن والحسرة إلى نفسه

---

(1) سورة الأنفال، الآية: 31 ـ سورة النحل، الآية: 24 ـ سورة المؤمنون، الآية: 83 ـ سورة الفرقان، الآية: 5 ـ سورة النمل، الآية: 68 ـ سورة الأحقاف، الآية: 17 ـ سورة القلم، الآية: 15 ـ سورة المطففين، الآية: 13.

(2) فقه اللغة ص 258.

و «الألف» بدل من «ياء» الإضافة، والتجانس بين لفظتي «الأسف» و «يوسف» مما يقع مطبوعاً غير محتمل فيملح ويبدع)[1].

وذكر آخرون أن «الألف» في «أسفاً» بدل من «ياء» المتكلم للتخفيف والمعنى: يا لأسفي تعال فهذا أوانك)[2].

اقرأ ـ أيضاً ـ قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَلَمَّا أَسلَمَا وَتَلَّهُ لِلجَبِينِ﴾ [الصافات: 103].

وتأمل السر العجيب في تكرار «اللام» في كل لفظة من الألفاظ التي تضمنها النص الكريم فلو أبدلت لفظ ﴿تله﴾ بدل «سحبه» ـ التي تقاربها في الدلالة ـ لاختفت تلك اللمحات المضيئة التي حققها تجانس الألفاظ، وجزالة نطقها، وتناسق أنغامها.

وتأمل هذا التناسق العظيم وتناغم الإيقاع في «الحاء» الواقعة في لفظتي «روح وريحان» في قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَرَوحٌ وَرَيحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ﴾ [الواقعة: 89].

وأنعم النظر في تكرار صرف (القلقلة: القاف) الدال على قوة القول والثقة بالدين الحنيف، في قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَأَقِم وَجهَكَ لِلدِّينِ القَيِّمِ﴾ [الروم: 43].

أو في قوله ـ عز وجل ـ: ﴿يَخَافُونَ يَوماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ القُلُوبُ وَالأَبصَارُ﴾ [النور: 37].

فلو أبدلت لفظة «القلوب» بـ «الأفئدة» ـ التي تقاربها في الدلالة ـ لاضطربت صورة خوفهم وهلعهم، وتلاشت هذه النغمة العجيبة المحببة للقلوب والعقول.

وكما قلنا سابقاً، أننا نجد في التوسع في الشواهد الكريمة ما يزيد فائدة

---

(1) الكشاف ج 2/496.

(2) روح المعاني ج 13/309.

الدارس وتحقق له حكمة جليلة ونعمة عظيمة. فاقرأ قوله ـ عز وجل ـ: ﴿وَأَسلَمتُ مَعَ سُلَيمَانَ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمينَ﴾ [النمل: 44].

﴿فَأَدلَى دَلوَهُ﴾ [يوسف: 19].

﴿وَهُم يَنهَونَ عَنهُ وَيَنأَونَ عَنهُ﴾ [الأنعام: 26].

﴿وَهُم يَحسَبُونَ أَنَّهُم يُحسِنُونَ صُنعاً﴾ [الكهف: 104].

﴿أرجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرضِيَّةً﴾ [الفجر: 28].

﴿وَتَعِيَهَا أُذُنٌ واعِيَةٌ﴾ [الحاقة: 12].

﴿والذَّارِيَاتِ ذَرواً﴾ [الذاريات: 1].

الصورة الرابعة: هذه الصورة فنونها البلاغية كثيرة، ولكل فن أكثر من حكمة جليلة فقد يستثقل تكرار اللفظة فيعدل إلى معناها ومن ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَمَهِّلِ الكَافِرِينَ أَمهِلهُم رُوَيداً﴾ [الطارق: 17].

قال الزركشي: (لما أعيد اللفظ غير «فعل» إلى «أفعل» فلما ثلث ترك اللفظ «مهل» و «أمهل» أصلاً فقال ﴿رويداً﴾ ومثله قوله ـ عز وجل ـ: ﴿لَقَد جِئتَ شَيئاً إِمراً﴾ [الكهف: 71].

ثم قال ـ تعالى ـ: ﴿لَّقَد جِئتَ شَيئاً نُكراً﴾ [الكهف: 74].

قال الكسائي: معناه: شيئاً منكراً كثير الدهاء. من جهة الإنكار من قولهم: أمر القوم، إذا كثروا وقال أبو علي: وأنا أستحسن قوله هذا...)[1].

وقد تتكرر اللفظة فتأتي مرادفة لها مضافة إليها، كقوله ـ عز وجل ـ: ﴿عَذَابٌ مِّن رِّجزٍ أَلِيمٌ﴾ [سبأ: 5].

والقصد المبالغة، أي: عذاب مضاعف.

---

(1) البرهان في علوم القرآن ج 3/34.

أو تأتي اللفظة المرادفة معطوفة عليها، كقوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّمَا أَشكُواْ بَثِّي وَحُزنِي إِلَىٰ اللَّهِ﴾ [يوسف: 86]. .

وقوله ـ عز وجل ـ: ﴿فَاعفُواْ وَاصفَحُواْ﴾ [البقرة: 109].

النمط الثاني ـ «دلالة اللفظة داخل التركيب مع تكرار بعض الوحدات الصوتية:

ويتألف هذا النمط من صورتين:

الصورة الأولى ـ التكرار الصوتي داخل الآية:

إن اتزان الإيقاع في داخل الآيات يبدو محسوساً واضحاً، وهذا الإيقاع يأتي من تناسق الحروف (الوحدات الصوتية) وتجانس الألفاظ في الجمل، وأنك لتجد هذا التناسق مبنياً على سياق يختل إذا قدمت أو أخرت أو عدلت في النظم أي تعديل.

والسر في ذلك ـ والله أعلم ـ يعود إلى (الحس الداخلي والإدراك الموسيقي الذي يفرق بين إيقاع موسيقي وإيقاع، ولو اتحدت الفواصل والأوزان[1].

وقد تنبه شبح البلاغيين (الجرجاني) على هذه الصورة، فذكر بعض النصوص الكريمة، ومنها قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرضُ ابلَعِي مَآءَكِ، وَيَٰسَمَآءُ أَقلِعِي وَغِيضَ المَآءُ وَقُضِيَ الأَمرُ، وَاستَوَت عَلَى الجُودِيِّ﴾ [هود: 41].

يقول الجرجاني: (. . . ـ فتأمل، هل ترى لفظة منها بحيث لو أخذت من بين أخوتها وأفردت لأدت من الفصاحة ما تؤديه وهي مكانها من الآية)[2].

أنعم النظر في لفظتي ﴿أقلعي﴾ و ﴿ابلعي﴾ وتجانسهما في أصوات «اللام» و «العين» و «الياء»، مما يستحضر عند تصور جرسها الضخم العميق هيبة تحيط بالنفس، ورهبة تجلجل في الأعماق من نطق لفظتين يكاد يضيق

---

(1) التصوير الفني في القرآن الكريم ص 86.

(2) دلائل الإعجاز ص 89.

الفم بهما ويحبس النفس للنطق بهما.

وقد أشار الزمخشري إلى ما أفصح عنه السياق من قوة وعمق في التأثير المنبعث من (حسن تجانس لفظتي ﴿ابلعي﴾ و ﴿اقلعي﴾ فضلاً عما تضمنه من معان ونكت)[1].

وتأمل قوله ـ عز وجل ـ: ﴿شَهرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ القُرءآنُ، هُدىً لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الهُدَىٰ وَالفُرقَانِ﴾ [البقرة: 185].

وأنعم النظر في ما أحدثته «النون» و «التنوين» من صوت الغنة الذي يملأ القلوب آمناً وسكينة واطمئناناً وإيماناً لدى الناس بشهر الرحمة والهدى ﴿رمضان﴾ ثم بين الناس وكتاب الرحمة والهدى والمغفرة ﴿القرآن﴾. إن شواهد هذه الصورة كثيرة جداً يصعب حصرها لكننا نقول ـ والحق ما نقول ـ إن الإعجاز المبين يتبع إيقاعاً خاصاً منسجماً باطراد لا يستثنى مع الجو الخاص للآيات ومع الجو العام للسورة.

الصورة الثانية ـ التكرار في فواصل الآيات:

إذا قرأت أية سورة قرآنية، قصيرة أو طويلة مكية أو مدنية، وجدت أن الوحدات الصوتية المتكررة في الفاصلة، تنزل من آياتها فتكمل معناها، ويتم به النغم الموسيقي للآية الكريمة.

ومن الأمور المتفق عليها عند أهل اللغة (أنه لا تحسن المحافظة على الفواصل لمجردها إلا مع بقاء المعاني على سدادها، على النهج الذي يقتضيه حسن النظم والتئامه كما لا يحسن تخير الألفاظ الموثقة في السمع السلسة على اللسان إلا مع مجيئها منقادة للمعاني الصحيحة المنتظمة).

وقد تابع الدارسون المعاصرون العلماء القدامى فيما ذهبوا إليه، يقول

---

(1) الكشاف ج 2/398.

د. فاضل السامرائي في مؤلفه «التعبير القرآني»:

(إن القرآن الكريم لا يعني بالفاصلة على حساب المعنى ولا على حساب مقتضى الحال والسياق بل هو يحسب لكل ذلك حسابه، فهو يختار الفاصلة مراعياً فيها، ـ المعنى والسياق والجرس، ويراعي فيها خواتم الآية وجو السورة، ويراعي فيها كل الأمور التعبيرية والفنية الأخرى، بل يراعي فيها إلى جانب ذلك كله عموم التعبير القرآني وفواصله بحيث تدرك أنه اختار هذه الفاصلة في هذه السورة لسبب ما، واختار غيرها أو شبهاً بها في سورة أخرى لسبب دعا إليه، وجمع بين كل ذلك ونسقه بطريقة فنية في غاية الروعة والجمال حتى كأنك تحس أنها جاءت بصورة طبيعية غير مقصودة مع أنه في أعلى درجات الفن والصياغة والجمال، فما أجمله من كلام وما أعظمه من تعبير)[1].

فالقرآن الكريم ـ مع بالغ عنايته بالمعنى الدقيق والأسلوب الفذ ـ لم يغفل أمر الفواصل بل عني بها أيما عناية فجعلها متناسبة متكافئة متناسقة متآخية لا متنافرة ولا متعادية، اقرأ ـ مثلاً ـ قوله ـ عز وجل ـ: **﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ * سَيَصْلَىٰ نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ * وَامرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الحَطَبِ * فِي جِيدِهَا حَبلٌ مِّن مَسَدِ﴾**.

تأمل كيف يلتقي الجرس الموسيقي، مع حركة الجمل الصوتية (تتناسق الصور في جزيئاتها المتناسبة، بتناسق الجناس اللفظي ومراعاة النظير في التعبير، ويتسق مع جو السورة وسبب النزول ويتم هذا كله في خمس فقرات قصار وفي سورة من أقصر سور القرآن. . . يتجه الوجدان إلى الصور والظلال وإلى الإيقاع والتناسق ليجد هذه الوفرة من السمات الفنية)[2].

(1) التعبير القرآني ص 211.
(2) مشاهد القيامة في القرآن الكريم ص 56.

إن طبيعة هذه الدراسة تدفعنا إلى البحث عن قيمة التآلف اللفظي والإيقاعي لهذا النسق الباهر الذي تتجلى فيه فنية البلاغة، وتؤدى فيه المعنى بأرهف لفظ وأجمل إيقاع و (تعفينا عن خصومة أصحاب اللفظ وأصحاب المعنى التي لا يعرفها ذوق العربية المرهف في البيان الأعلى بالكتاب العربي المبين)(1).

ولقد وجدنا من المفيد ـ بعد استقراء مواضع كثيرة في القرآن الكريم لسور طوال وقصار، مكية أو مدنية ـ أن نعرض في هذا النمط الملاحظات الآتية:

الملاحظة الأولى: إن الوحدات الصوتية التي كثيراً ما تنتهي بها الفاصلة، هي: (النون) و (الميم) و (حروف المد)، وتلك هي الحروف الطبيعية في الموسيقى.

قال سيبويه: (إن العرب إذا ترنموا فإنهم يلحقون «الألف» و «الواو» و «الياء» ما ينون وما لا ينون، لأنهم أرادوا مد الصوت، وإذا أنشدوا ولم يترنموا فأهل الحجاز يدعون القوافي ـ على حالها في الترنيم، وناس من بني تميم يبدلون مكان المد النون)(2).

وذكر الزركشي أنه: (قد كثر في القرآن الكريم ختم كلمة المقطع من الفاصلة بحرف «المد» و «اللين» وإلحاق «النون» وحكمته وجود التمكن من التطريب بذلك)(3).

ومعنى ذلك أن هذه الوحدات الصوتية تحقق الترنم المؤثر في النفس، المشوق للمتلقي على الإصغاء والاستماع، والفهم.

---

(1) الإعجاز البياني للقرآن الكريم ص 258.

(2) الكتاب ص 4/204 وما بعدها.

(3) البرهان في علوم القرآن ج 1/70 ـ ينظر ـ أيضاً ـ الإتقان في علوم القرآن ج 3/134.

الملاحظة الثانية: ذكر بعض الدارسين[1]، أن الفاصلة في كثير من السور الكريمة لا تتغير لمجرد التنويع، بل إن تغيير نظام الفاصلة والقافية يعني شيئاً خاصاً فلو قرأنا سورة «مريم» ـ عليها السلام ـ لوجدنا أن الفاصلة تتغير هكذا:

﴿ذِكرُ رَحمَةِ رَبِّكَ عَبدَهُ زَكَرِّيا * إذ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَآءً خَفِيًّا * قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ العَظمُ مِنِّي وَاشتَعَلَ الرَّأسُ شَيباً وَلَم أَكُنْ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا * وَإِنِّي خِفْتُ المَوَالِيَ مِن وَرَآئِي وَكَانَتِ امرَأَتِي عَاقِراً فَهَب لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِن آلِ يَعقُوبَ وَاجْعَلهُ رَبِّ رَضِيًّا. . .﴾ إلى قوله ـ عز وجل ـ: **﴿وَآتَيناهُ الحُكمَ صَبِيّاً * وَحَنَاناً مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا﴾** [مريم: 2 ـ 13].

فتبدأ قصة مريم ـ عليها السلام ـ بقوله ـ عز وجل ـ: **﴿وَٱذكُر فِي الكِتَابِ مَريَم إِذَا انتَبَذَت مِن أَهلِهَا مَكَاناً شَرقِيًّا. . .﴾** إلى قوله ـ تعالى ـ: **﴿وَالسَّلاَمُ عَلَيَّ يَومَ وُلِدتُّ وَيَومَ أَمُوتُ وَيَومَ أُبعَثُ حَيًّا﴾** [مريم: 16 ـ 33] وتنتهي القصتان على روي واحد.

وفجأة يتغير هذا النسق بعد آخر فقرة في قصة «عيسى» ـ عليه السلام ـ على النحو الآتي: **﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبنُ مَريَمَ قَولَ الحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمتَرُونَ * مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ: كُن فَيَكُونُ * وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّستَقِيمٌ * فَاختَلَفَ الأَحزَابُ مِن بَينِهِم فَوَيلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن مَّشهَدِ يَومٍ عَظِيمٍ﴾** [مريم: 34 ـ 37].

فإنك تجد أن نظام الفاصلة يتغير (فتطول، ويتغير نظام القافية فتصبح بحرف «النون» أو بحرف «الميم» وقبلها مد طويل، ـ وكأنما هو في هذه الآيات الأخيرة يصدر حكماً بعد نهاية القصة مستمداً منها، ولهجة الحكم

---

(1) ينظر مثلاً: التعبير القرآني ص 197 ـ من بلاغة القرآن ص 76.

تقتضي أسلوباً موسيقياً غير أسلوب الاستعراض وتقتضي إيقاعاً قوياً رصيناً، بدل إيقاع القصة الرخي المسترسل، وكأنما لهذا السبب كان التغير)[1].

وحين تعود السورة إلى قصة «إبراهيم» ـ عليه الصلاة والسلام ـ يعود الروي نفسه الذي ورد في قصتي «زكريا» و «مريم»، ﴿وَاذكُر فِي الكِتَابِ إِبرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَّبِياً﴾ [مريم: 41].

﴿إِذ قَالَ لأَبِيهِ، يَا أَبَتِ لِمَ تَعبُدُ مَا لاَ يَسمَعُ وَلاَ يُبصِرُ وَلاَ يُغنِي عَنكَ شَيئاً﴾ [مريم: 42].

وكذلك في الإشارة إلى قصة «موسى» ـ عليه السلام ـ: ﴿وَاذكُر فِي الكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخلَصاً وَكَانَ رَسُولاً نَّبِياً﴾ [مريم: 51].

ومثله في الإشارة إلى «إسماعيل» و «إدريس» ـ عليهما السلام ـ: ﴿وَاذكُر فِي الكِتَابِ إِسمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الوَعدِ وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيًّا﴾ [مريم: 54].

﴿وَٱذكُر فِي الكِتَابِ إِدرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَّبِيًّا﴾ [مريم: 56].

وخلاصة القول: إن نسق فواصل الآي يتبدل الغرض، فبمجرد الانتهاء من إصدار حكم، وإلقاء قرار يعود السياق القرآني إلى النظام الأول في القافية والفاصلة لأنه عاد إلى قصة جديدة.

اقرأ ـ مثلاً ـ سورة «النبأ» تجدها مبدوءة بقافية «النون» و «الميم».

﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ * عَنِ النَّبَإِ العَظِيمِ * الَّذِي لهُم فِيهِ مُختَلِفُونَ * كَلاَّ سَيَعلَمُونَ * ثُمَّ كَلاَّ سَيَعلَمُونَ﴾ [النبأ: 1 ـ 5].

فلما ينتهي هذا التقرير، يبدأ نسق معنوي جديد، فيتغير النظام، على النحو الآتي:

---

(1) ينظر/ التصوير الفني في القرآن الكريم ص 92.

﴿أَلَم نَجعَلِ الأَرضَ مِهَاداً * وَالجِبَالَ أَوتَاداً* وَخَلَقنَاكُم أَزوَاجاً* وَجَعَلنَا نومَكُم سُبَاتاً * وَجَعَلنَا اللَيلَ لِبَاساً * وَجَعَلنَا النَّهَارَ مَعَاشاً﴾ [النبأ: 6 ـ 11].

الملاحظة الثالثة: إن الأسلوب الموسيقي الإيقاعي يتنوع بتنوع الأجواء التي تطلق فيها، فأنت تتلمس بيقين أن هناك نظاماً خاصاً منسجماً مع الجو العام باطراد لا يستثنى.

فإذا قرأت سورة «النازعات» ـ مثلاً ـ وجدت أسلوبين موسيقيين وإيقاعين منسجمين مع جوين في السورة الكريمة تمام الانسجام:

الأول: يظهر في النص الكريم ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرقاً * وَالنَّاشِطَاتِ نَشطاً * وَالسَّابِحَاتِ سَبحاً * فَالسَّابِقَاتِ سَبقاً * فَالمُدَبِّرَاتِ أَمراً * يَومَ تَرجُفُ الرَّاجِفَةُ * تَتبَعُهَا الرَّادِفَةُ * قُلُوبٌ يَومَئِذٍ وَاجِفَةٌ * أَبصَارُهَا خَاشِعَةٌ * يَقُولُونَ أَإِنَّا لَمَردُودُونَ فِي الحَافِرَةِ * أَإِذَا كُنَّا عِظَاماً نَّخِرةً * قَالُوا: تِلكَ إِذاً كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ * فَإِنَّمَا هِيَ زَجرَةٌ وَاحِدَةٌ * فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ﴾ [النازعات: 1 ـ 14].

يظهر في النص الكريم أسلوب ذو حركة سريعة، قصيرة، قوية المبنى لينسجم مع جو سريع النبض، شديد الارتجاف، ينسجم مع حديث الكرة الخاسرة والزجرة وحديث السهرة.

الثاني: يظهر حين تستمر في قراءة السورة نفسها ﴿هَل أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ...﴾ إلى قوله ـ عز وجل ـ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبرَةً لِّمَن يَخشَىٰ﴾ [النازعات: 15 ـ 26].

فتحس أسلوباً منسجماً مع الجو القصصي. ولا يخفى عليك الفرق بين الأسلوبين والإيقاعين، فهو واضح منسجم مع الجو الذي تطلق فيه الموسيقى التي تصاحب كل مشهد.

وتأمل قوله ـ تعالى ـ: ﴿... وَهِيَ تَجرِي بِهِم فِي مَوجٍ كَالجِبَالِ،

وَنَادَى نُوحٌ ابنَهُ وَكَانَ فِي مَعزِلٍ يَا بُنَيَّ اركَب مَّعَنَا وَلاَ تَكُن مَّعَ الكَافِرِينَ * قَالَ: سَآوِي إِلىٰ جَبَلٍ يَعصِمُنِي مِن المَآءِ قَالَ: لاَ عَاصِمَ اليَومَ مِن أَمرِ اللَّهِ إِلاَّ مَن رَّحِمَ وَحالَ بَينَهُمَا المَوجُ فَكَانَ مِنَ المُغرَقِينَ﴾ [هود: 42 ـ 43].

تتلمس الإيقاع الموسيقي (يذهب طولاً وعرضاً في عمق وارتفاع ليشرك في رسم الهواء العريض، والمدات المتوالية المتنوعة في التكوين اللفظي للآية تساعد في إكمال الإيقاع وتكوينه واتساقه مع جو المشهد الرهيب العميق)(1).

وأنعم النظر في آخر النص الكريم ﴿وحال بينهما الموج فكان من المغرقين﴾.

وتأكد بنفسك كيف قادنا هذا الإيقاع الرهيب إلى نهاية الموقف ﴿فكان من المغرقين﴾.

ولو استمعت إلى ترتيل كريم لقوله ـ عز وجل ـ: ﴿يَآ أَيَّتُها النَّفسُ المُطمَئِنَّةُ * ارجِعِي إِلىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرضِيَّةً * فَادخُلِي فِي عِبَادِي * وَادخُلِي جَنَّتِي﴾ [الفجر: 27 ـ 30].

لأدركت عظمة تلك النغمة الرخية المتماوجة (إنها تشبه الموجة الرضية في ارتفاعها لقمتها وانبساطها إلى نهايتها، في هدوء واطمئنان يتفقان مع جو الطمأنينة في المشهد كله، ولعل لتوازن المد إلى أعلى بـ «الألف» وإلى أسفل بـ «الياء» على التوالي شأناً في هذا التموج، ولكنه ليس كل الشأن، فهو يفسر الأوزان لا الألحان، يفسر الاتزان الخارجي من النغمة لا الروح الداخلي فيها، ذلك الروح مرده إلى خصائص غامضة في جرس الحروف والكلمات، يدركه من يقرأ التعبير القرآني في حساسية وترهاف)(2).

---

(1) التصوير الفني في القرآن الكريم ص 95.

(2) المصدر السابق ص 96.

وأعلم أن من أساليب النغم القرآني، القافية القرآنية، التي تأتي في الإعجاز المبين (متمكنة في مكانها، مستقرة في قرارها، مطمئنة في موضعها غير نافرة ولا قلقة يتعلق معناها بمعنى الآية كلها تعلقاً تاماً بحيث لو طرحت لاختل المعنى واضطرب الفهم)[1].

وتنافر جرس الألفاظ، فالفاصلة تؤدي في مكانها جزءاً من معنى الآية ينتقص ويختل بنقصانها.

وعلى الرغم من أننا نجد أن كل النصوص القرآنية الكريمة هي شواهد لما ذكرنا لكننا لا بد لنا أن نكتفي ببعض الأمثلة، اقرأ قوله ـ عز وجل ـ: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَرفُوعَةٌ * وَأَكوَابٌ مَّوضُوعَةٌ﴾ [الغاشية: 14].

﴿إِنَّ إِلينَآ إِيَابَهُم، ثُمَّ إِنَّ عَلَينَا حِسَابَهُم﴾ [الغاشية: 26].

﴿إِنَّ الأَبرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * وَإِنَّ الفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ [الانفطار: 13].

﴿فِي سِدرٍ مَّخضُودٍ * وَطَلعٍ مَّنضُودٍ * وَظِلٍّ مَّمدُودٍ﴾ [الواقعة: 30].

ثم ألا ترى أن الفاصلتين اتحدتا في الوزن والقافية ـ أيضاً ـ.

ويبدو لنا ـ والله أعلم ـ أن الفاصلة القرآنية يشتد تمكنها في مواضعها حتى كأنها تهيء الذهن والنفس ـ بما فيها من إيقاع مؤثر ـ للآيات قبل نطقها.

(هذه الفواصل لها قيمتها في إتمام المعنى، وهي مرتبطة بآياتها تمام الارتباط ولها أثرها الموسيقي في نظم الكلام، ولهذه الموسيقى أثرها في النفس وأسلوب القرآن فيه الموسيقى المؤثرة، ومن أجلها حدث في نظم الآية ما يجعل هذه المناسبة أمراً مرعياً)[2].

---

(1) من بلاغة القرآن ص 87.

(2) إحياء علوم الدين ج 1/301.

الملاحظة الرابعة: إن هذه الظاهرة البلاغية الفنية ـ أعني الفاصلة ـ قد أشار إليها كثير من البلاغيين والمفسرين القدامى والمحدثين[1].

وهم متفقون على أن (القرآن الكريم لا يعني بالفاصلة على حساب المعنى ولا على حساب مقتضى الحال والسياق. بل هو يحسب لكل ذلك حسابه. . .

بحيث تدرك أنه اختار هذه الفاصلة في هذه السورة لسبب ما، واختار غيرها أو شبيهاً بها في سورة أخرى لسبب دعا إليه. وجمع بين كل ذلك ونسقه بطريقة فنية في غاية الروعة والجمال حتى كأنك تحس أنه جاءت بصورة طبيعية غير مقصودة)[2].

وقد نقل الزركشي قول (الزمخشري) في كشافه القديم: (إنه لا تحسن المحافظة على الفواصل لمجردها إلا مع بقاء المعاني على سدادها على النهج الذي يقتضيه حسن النظم والتآمه كما لا يحسن تخير الألفاظ الموسيقية في السمع، السلسة على اللسان إلا مع مجيئها منقادة للمعاني الصحيحة المنتظمة، فأَما أن تهمل المعاني ويهتم بتحسن اللفظ وحده، غير منظور إلى مؤداه على بال، فليس من البلاغة في فتيل أو نقير)[3].

---

(1) ينظر مثلاً/ كتاب الصناعتين ص 26 ـ سر الفصاحة ص 165 ـ البرهان في علوم القرآن ج 1/ 72 ـ المثل السائر ج 1/ 277 ـ ج 2/ 286 ـ الطراز ج 3/ 28 ـ الإيضاح ج 2/ 393 ـ إعجاز القرآن ص 59.

ومن الدراسات المعاصرة: التعبير القرآني ص 195 ـ وما بعدها دفاع عن البلاغة ص 129 ـ وما بعدها. ـ فن الأسجاع ج 1/ 99 ـ الإعجاز البياني ص 258 ـ من بلاغة القرآن ص 76 ـ التصوير الفني في القرآن ص 89.

(2) التعبير القرآني ص 197.

(3) البرهان في علوم القرآن ج 1/ 72.

بعض المصادر والمراجع

القرآن الكريم:

1 ـ الإتقان في علوم القرآن ـ السيوطي (ت 911هـ) ـ تحقيق/ محمد أبي الفضل إبراهيم ـ ط (1) ـ مكتبة ومطبعة الحسيني ـ القاهرة.

2 ـ إحياء علوم القرآن ـ لأبي حامد الغزالي (ت 505هـ) ـ القاهرة ـ مطبعة الحلبي ـ 1939.

3 ـ إعجاز القرآن ـ عبد الكريم الخطيب ـ دار الفكر العربي ـ القاهرة ـ 1964.

4 ـ الإعجاز البياني للقرآن الكريم ـ عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطىء) ـ القاهرة ـ 1971.

5 ـ إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ـ مصطفى صادق الرافعي ـ ط (3) ـ المقتطف ـ 1938م.

6 ـ الإيضاح ـ الخطيب القزويني (ت 739هـ) ـ مطبعة صبيح ـ القاهرة ـ 1971.

7 ـ البرهان في علوم القرآن ـ الزركشي (ت 794هـ) ـ تحقيق/ محمد أبي الفضل إبراهيم ـ ط (2) ـ مطبعة البابي الحلبي ـ 1973.

8 ـ البيان والتبيين ـ الجاحظ (ت 255هـ) ـ تحقيق/ عبد السلام هارون ـ القاهرة ـ 1948م.

9 ـ التصوير الفني في القرآن ـ سيد قطب ـ القاهرة ـ دار المعارف ـ 1386هـ ـ 1966م.

10 ـ التعبير القرآن ـ د. فاضل صالح السامرائي ـ دار الحكمة (جامعة بغداد) ـ 1986 ـ 1987م.

11 ـ التفسير البياني ـ د. عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطىء) دار المعارف ـ مصر ـ 1968 ـ 1974.

12 ـ تفسير البيضاوي، المسمى (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) ـ عبد الله بن عمر البيضاوي (ت 685هـ).

13 ـ الخصائص ـ ابن جني (ت 393هـ) ـ تحقيق/ محمد علي النجار ـ دار الهدى للطباعة، ـ ط (1) ـ بيروت.

14 ـ دفاع عن البلاغة ـ د. أحمد حسن الزيات ـ عالم الكتب.

15 ـ دلائل الإعجاز ـ عبد القاهر الجرجاني ـ تحقيق/ عبد المنعم خفاجي ـ مكتبة القاهرة ـ 1976 (ت/).

16 ـ روح المعاني ـ شهاب الدين السيد محمود الألوسي (ت 1270هـ) ـ دار الطباعة المنيرية لإحياء التراث ـ القاهرة ـ مصر.

17 ـ سر الفصاحة ـ ابن سنان الخفاجي (ت 466هـ) ـ تحقيق/ عبد المتعال الصعيدي ـ 1953.

18 ـ الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ـ يحيى بن حمزة العلوي (ت/ 749) ـ مطبعة دار المقتطف ـ القاهرة ـ 1914.

19 ـ فقه اللغة وسر العربية: أبو منصور الثعالبي (ت 429هـ) ـ تحقيق/ الأبياري، وشلبي وسقا ـ مطبعة البابي الحلبي ـ 1954.

20 ـ فن الإسجاع ـ د. علي الجندي ـ القاهرة ـ مصر.

21 ـ الكتاب ـ سيبويه (ت 180هـ) ـ تحقيق/ عبد السلام هارون ـ الهيئة المصرية ـ 1971 ـ 1977.

22 ـ كتاب الصناعتين ـ أبو هلال العسكري (ت 395هـ) ـ دار إحياء الكتب العربية ـ القاهرة ـ 1371هـ.

23 ـ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ـ الزمخشري (ت 538هـ) ـ دار المعرفة ـ بيروت.
24 ـ مباحث في علوم القرآن ـ صبحي الصالح ـ بيروت ـ دار العلم للملايين ـ 1964.
25 ـ المثل السائر ـ ابن الأثير (ت 637هـ) ـ تحقيق/ أحمد الحوفي ـ د. بدوي طبانة ـ مكتبة النهضة مصر.
26 ـ المفردات في غريب القرآن ـ الراغب الأصفهاني (ت 502هـ) ـ تحقيق/ محمد سيد كيلاني.
27 ـ من بلاغة القرآن ـ د. أحمد أحمد بدوي ـ مكتبة نهضة مصر ـ ط (3 ـ 1950.
28 ـ النجم الزاهر ـ نكّل يونس كشموله ـ ط ـ (2) ـ 1988.

فهرس الموضوعات